دعوة إلى الحق

تأليف
حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه
الخليفة الثاني
لسيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

ترجمة: مبارك أحمد ملك

ISLAM
INTERNATIONAL
PUBLICATIONS LTD

اسم الكتاب: دعوة إلى الحق
الطبعة الأولى: ١٤٤٥ هـ /٢٠٢٤م

Invitation to Ahmadiyyat

An Arabic rendering of

Da'watul-Ameer

By: Hazrat Mirza Bashir-ud-Deen Mahmud Ahmad
Khalifatul-Masih II, (may Allah be pleased with him)

Translated from Urdu by: Late Malik Mubarak Ahamad

© Islam International Publications Ltd.

First Arabic translation published in 1948
Present revised edition published in the UK 2024
Islam International Publications Ltd.
Unit 3, Bourne Mill Business Park,
Guildford Road, Farnham, Surrey, GU9 9PS
United Kingdom

Printed in the UK at:
Raqeem Press
Farnham, Surrey
GU9 9PS

For further information please contact:
Phone: +44 1252 891330
www.islamahmadiyya.net
www.alislam.org

ISBN: 978-1-84880-451-7

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس

مقدمة الناشر	أ
من عبد الله الضعيف... إلى فخامة الملك أمان الله خان	١
خلافنا مع الآخرين	٩
دعوى سيدنا ميرزا غلام أحمد عليه الصلاة والسلام	٤٦
الأدلة على صدق دعواه	٤٦
الدليل الأول: حاجة العصر	٤٨
الدليل الثاني: شهادة سيد الأنبياء ﷺ	٦٢
الأوضاع الدينية في عصر المسيح الموعود	٦٧
الحالة الدينية الداخلية للمسلمين	٦٩
الحالة الأخلاقية	٧٣
الحالة العلمية	٧٩
الأوضاع التمدنية والاجتماعية	٨٠
تغير اجتماعي آخر	٨١
الحالة الجسمانية والصحية	٨٥
النسبة بين جنسَي البشر (الرجل والمرأة)	٨٧
العلاقات بين الدول	٨٨
الأوضاع الاقتصادية	٨٩
الأوضاع السياسية	٩١

التقلبات الأرضية	٩٤
العلامات السماوية	٩٤
الدليل الثالث: النفس الناطقة.. وليس أدل على وجود الشمس من نفسها	١٠٠
الدليل الرابع: غلبة الإسلام على الأديان الأخرى	١٠٨
الضربات على المسيحية	١١١
سلاح موحّد لسائر الأديان	١١٤
الدليل الخامس: تجديد الدين	١٣٠
الدليل السادس: النصر الإلهي	١٦٠
الدليل السابع: هلاك الأعداء	١٧٠
الدليل الثامن: سجود الملائكة	١٧٧
الدليل التاسع: كشف العلوم السماوية	١٨٣
الدليل العاشر: الأنباء	٢٠٢
النبأ الأول: عن استشهاد الشيخين... وما حدث بعد ذلك	٢٠٣
النبأ الثاني: ثورة إيران	٢٠٩
النبأ الثالث:عن القسيس آتهم	٢١٢
النبأ الرابع: عن "دوئي" المتنبئ الأمريكي	٢١٨
النبأ الخامس: عن ليكهرام الهندوسي	٢٢٤
النبأ السادس: عن الأمير دليب سنغ	٢٢٩
النبأ السابع: عن الطاعون	٢٣٠
النبأ الثامن: عن الزلزلة العظيمة	٢٣٤
النبأ التاسع: عن الحرب العالمية	٢٣٦

النبأ العاشر : عن ازدهار قاديان	٢٥١
النبأ الحادي عشر:عن النصرة المالية	٢٥٤
النبأ الثاني عشر: عن تقدم الجماعة	٢٤٠
الدليل الحادي عشر: حب حضرته عليه السلام لله ولرسوله ﷺ	٢٦٤
الدليل الثاني عشر: قوته عليه السلام للإحياء	٢٧٧
الملحق	٢٨٤

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

بفضل الله ورحمته، هو الناصر

من عبد الله الضعيف مرزا بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني للمسيح الموعود ؑ وإمام الجماعة الإسلامية الأحمدية،

إلى فخامة الملك أمان الله خان

ملكِ أفغانستان والممالك المحروسة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

آمل أنك على الرغم من ضيق وقتك، ستمنّ عليّ بقراءة هذه الأوراق القليلة التي أبعثها إليك مطبوعة نظرا إلى سمو مرتبتك وبنيّة الفائدة العامة، لتنال رضوان الله.

أهدف من إرسال هذا المكتوب أمرين: أولهما أن أبلّغك النداء الذي صدر من الله تعالى لجمع العالم تحت راية الإسلام. والثاني: إطْلاعك على معتقدات أبناء الجماعة الإسلامية الأحمدية الذين يعيشون في بلادك وذلك لأنه إذا رُفعت ضدهم أي شكوى إليك فتستطيع أن تحكم فيها بناء على معلوماتك الشخصية.

أولا وقبل كل شيء أرى لزاما علي أن أبين لك أن الجماعة الأحمدية ليست دينا جديدا، بل إن دينها هو الإسلام لا غير، وأنها تعتقد أن الانحراف عن حظيرة الإسلام، وإن كان قيد شعرة حرام ويؤدي إلى الشقاء الأبدي. إن اسمها الجديد لا

يدل على ابتداع دين، وإنما يهدف ليميزها عن الفِرق التي تنتمي إلى الإسلام. إنّ الإسلام اسم محبوب وهبه الله بنفسه للأمة الإسلامية وقد جعل له العظمة والرفعة بحيث ظل ينبِّئ عنه عن طريق من سبق من الأنبياء كما يقول الله ﷻ: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ (الحج: ٧٩). فعندما نرجع إلى الكتب السابقة نجد في سِفر إشعياء[١] النبوءة إلى الآن: "ستدعى باسم جديد يتكلم به الله بنفسه".

فأي اسم أقدس من الاسم الذي أحبه الله لعباده وأكرمه لدرجة أنْ أنبأ به على لسان الأنبياء السابقين. فمن الذي يرضى بترك هذا الاسم المقدس. أما نحن فنرى هذا الاسم أعز من أنفسنا ونعتبر هذا الدين سبب حياتنا الحقيقية، لكن بما أن الفرق الإسلامية في العصر الراهن قد اختارت لأنفسها أسماء تختلف بناء على أفكارهم الخاصة، لذا كان من الضروري أن نتخذ لأنفسنا اسما يميزنا عن هؤلاء الفرق، وكان أفضل الأسماء وأجدرها نظرا إلى أوضاع عصرنا هو الأحمدي، لأن هذا العصر هو عصر نشر الرسالة التي جاء بها النبي الكريم ﷺ، وهو عصر نشر حمد الله ﷻ، فنظرًا إلى وقت تجلي صفة النبي "أحمد" لم يكن ثمة اسم مميز أفضل من هذا الاسم.

ملخص القول إننا مسلمون من صميم أفئدتنا وأعماق قلوبنا، ونؤمن بكل ما يجب على المسلم الصادق أن يؤمن به، ونرفض كل ما يجب أن يرفضه كل مسلم صادق الإسلام، والذي يرمينا بالكفر رغم إيماننا بجميع الحقائق والأحكام الإسلامية ويقذفنا بالإيمان بدين جديد، إنما هو يظلمنا وسيكون مسئولا عند الله.

إن الإنسان يؤاخَذ على ما يتفوه به من كلام لا على ما يخطر بباله من خواطر. فمن ذا الذي يقدر على معرفة ما في الصدور؟ فإن من يتهم غيره بأن ما يتفوه به ليس في قلبه فإنما يدّعي الألوهية، لأن الله تعالى هو وحده يحيط علمًا بما

[١] إشعياء ٦٢: ٢

في الصدور، وليس لأحد سواه أن يدعي معرفة ما في القلوب. ومن ذا الذي هو أعلم من رسول الله ﷺ وهو يقول عن نفسه:

"إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر مثلكم ولعل بعضكم أن يكون ألحنَ بحجته من بعض، فإن قضيتُ لأحد منكم بشيء من حق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار، فلا يأخذ منه شيئا".[١]

كذلك ورد في الحديث ما معناه:

أمّر رسول الله ﷺ أسامة بن زيد على جيش، فلقي رجلا من الكفار وهاجمه، فشهد الرجل بشهادة الإسلام، فقتله أسامة، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ سأله لماذا قتلته؟ فقال: كان يتظاهر بالإسلام خوفا، فقال: "أفلا شققت عن قلبه".[٢] أي ما أدراك أنه أظهر إسلامه خوفا أو من صميم فؤاده لأن حال القلب يخفى على إنسان آخر.

وقصارى القول أن الفتوى لا تجوز إلا على ما يتكلم به الناس، وليس لها سبيل على ما يخطر بقلوبهم من أفكار، لأن الله هو وحده يعلم ما في القلوب، فمن يتهم غيره على أساس أنه يكنّ في قلبه أفكارًا معينة فهو كاذب ومؤاخذ عند الله.

فما دمنا نحن أعضاء الجماعة الإسلامية الأحمدية ندّعي بأننا مسلمون، فلا يحق لأحد أن يفتي بأن إسلامنا إنما هو رياء، وأننا لا نؤمن برسول الله ﷺ أو نشهد بغير شهادة الإسلام ونستقبل غير قبلة المسلمين.

وإذا كان من الجائز أن تُعزى إلينا مثل هذه التهم الباطلة، أفليس من حقنا أن نقول عن هؤلاء المتعندين أنهم يتظاهرون بالإسلام وحين يخلون في بيوتهم يسبون رسول الله والإسلام، والعياذ بالله. لكن لا يمكننا أن نترك طريق الحق لمجرد عداوة

---

[١] الترمذي، أبواب الأحكام، بَاب مَا جَاءَ فِي التَّشْدِيدِ عَلَى مَنْ يُقْضَى لَهُ بِشَيْءٍ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهُ.

[٢] مسند أحمد بن حنبل، مسند الأنصار، حَدِيثُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ حِبِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

أحد، ولا نفتي على أحد بأنه يخفي في قلبه ما لا يبديه للناس، بل لا نبحث في فتوانا بحسب حكم الشريعة إلا فيما يبديه الإنسان بنفسه.

والآن أعرض على سموك معتقدات جماعتنا لتسبر أغوارها وتتأكد إذا كانت تتعارض بالإسلام:

١. إننا نحن الأحمديون نؤمن بأن وجود الله حق وأن الإيمان به اعتراف وإقرار بكبرى الحقائق جميعا وليس مجرد اتباع الأوهام والظنون.

٢. إننا نؤمن بأن الله واحد لا شريك له في الأرض ولا في السماء وما عداه مخلوق كله، وهذا المخلوق يحتاج إلى عونه والاتكال عليه في كل حين وآن، ليس له ابن ولا بنت ولا زوج ولا أخ ولا أب ولا أمٌّ وهو أحدٌ في توحيده وتفريده.

٣. إننا نؤمن بأن الله قدوس ومنزه عن كل عيب، وأنه جامع لكافة الفضائل، لا عيب فيه، ولا فضيلة هو بمعزل عنها، وأن قدرته لا نهائية وعلمه غير محدود، هو يحيط بكل شيء، ولا يحيط به شيء، وهو الأول والآخر والظاهر والباطن، هو خالق الكون كلّه، ولم تبطل قدرته ولن تبطل أبداً، هو الحي الذي لا يموت والقيوم الذي لا يزول، جميع أعماله تصدر عن إرادة وليست عن اضطرار، إن حُكمه يسود العالم الآن كما كان يسوده من قبل، ولا يطرأ على صفاته تعطل أو انقطاع، بل تتجلى قدرته في كل وقت.

٤. إننا نؤمن بأن الملائكة مخلوقون ويحققون ما يأمرهم به الله حسب قوله عَجَلّ: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٥١) وقد خلقهم بحكمته الكاملة لإنجاز أعمال مختلفة، إنهم موجودون فعلا وإن ذكرهم ليس مجرد استعارة، وإنهم يحتاجون إليه عَجَلّ كما يحتاج إليه الناس وسائر المخلوقات- وليس هو بمحتاج إليهم في تنفيذ قدرته عز وعلا، ولو أراد أن يظهر إرادته بغير هذا المخلوق لأمكنه ذلك - لكن حكمته الكاملة اقتضت أن يخلق هذا المخلوق فخُلِق، فكما أن الله عَجَلّ ينور أعين الناس بضوء الشمس ويملأ بطونهم بالطعام ولا

تعوزه الشمس ولا الطعام، كذلك الملائكة إذا سخرهم الله لإظهار قدرته فلا احتياج له في ذلك ولا عوز.

٥. إننا نؤمن بأن الله يكلّم عباده ويظهر إرادته عليهم وأن هذا الكلام ينزل بألفاظ خاصة ولا دخل فيه لأي إنسان، لا يكون المراد منه من بنات أفكار الإنسان ولا يكون لفظه من تركيب الإنسان، إن معناه ولفظه كليهما من عند الله سبحانه، وهذا هو الغذاء الحقيقي للإنسان وبه يوهب البقاء وبه يتصل بالله. إن هذا الكلام منقطع النظير قوة وشوكة، وليس بإمكان إنسان أن يأتي له بمثيل وهو ينزل وتنزل معه خزائن العلوم التي لا تحد، وهو كالمعدن مهما حفرتموه يزدكم لآلئ ثمينة وجواهر قيمة، بل هو أفضل منه وأكبر، لأن كنوزه تنفد في يوم من الأيام لكن معارف هذا الكلام لا تنفد أبداً، وهو كالبحر يعلوه العنبر وقعره مفروش باللآلئ، ومن يلقي على مظهره نظرة يبهر قلبه بشذاه، ومن يغص فيه يغتني علماً وعرفانا.

إن هذا الكلام على عدة أقسام فتارة يشتمل على الأحكام والشرائع وطورا يحوي المواعظ والنصائح، وأحيانا يفتح به أبواب الغيب، وأحيانا أخرى تتجلى به دفائن العلم وخفاياه وتارة يُظهر الله تعالى رضاه على عبده وتارة يخبره بأنه راض عنه، وتارة أخرى يطمئن قلبه بحديث الحب وأحيانا ينبهه بالتوبيخ ويلفت نظره إلى واجبه أحيانا أخرى ويفتح عليه خفايا الأخلاق مرة ويطلعه على خبايا المساوئ.

فباختصار، نؤمن بأن الله يكلّم عباده وأن كلامه تختلف درجاته حسب اختلاف ظروف المنزّل عليهم، وأن أفضل الكلام الذي سبق نزوله وأكمله وأسماه هو القرآن الكريم، وأن الشريعة التي نزلت به هي خالدة غير زائلة لن ينسخها كلام آخر أبدا.

٦. وكذلك نؤمن بأن العالم كلما ساده الظلام وانغمس أهله إلى الفسق والفجور واستحال تخليصهم من مخالب الشيطان إلا بنصرة سماوية، عندئذ وبداعي

الرحمة والشفقة اصطفى الله من عباده الصالحين الطاهرين وبعثهم لهداية الدنيا ورشدها.

كما يقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٥).

إن هؤلاء العباد الطيبين يهدونهم بأسوتهم الحسنة إلى العمل الصالح والسلوك النزيه. وأن الله يُظهر بهم إراداته في هذا العالم. فمن تولى عنهم استولى عليه الهلاك ومن اتبعهم أحبهم الله وفتحت عليهم أبواب البركة والرحمة وتشرفوا بالسيادة على من يليهم وقدر لهم الخير في كلا العالمين.

وكذلك إننا نؤمن بأن هؤلاء المرسلين الذين يُخرجون العالم من الظلمات إلى النور كانوا ذوي درجات ومراتب وأن سيدهم وأفضلهم هو محمد المصطفى ﷺ الذي جعله الله سيد وَلد آدم وأرسله إلى الناس كافة وأظهر عليه جميع العلوم الكاملة والذي نصره بالرعب والمهابة لدرجة اقشعر عندها جبابرة الملوك، وقد جعل الله له الأرض كلها مسجدا حتى سجدت أمته في كل شبر من الأرض لله الواحد الذي لا شريك له، وامتلأت الأرض عدلا بعد ما ملئت ظلماً وجَوراً.

وإننا نؤمن بأن جميع الأنبياء الذين سبقوا رسول الله ﷺ لو كانوا في عصر هذا النبي الكامل ما كان لهم بد من اتّباعه كما يقول الله عَزَّوَجَلَّ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (آل عمران: ٨٢).

وكما قال النبي ﷺ: "لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي".[١]

٧. نؤمن أيضا بأن الله يجيب أدعية عباده، ويزيل مشاكلهم، وأنه إله حي يشعر الإنسان بحياته في كل عصر وفي كل وقت. هو ليس كالمرقاة التي تركّب لبناء بئر ثم تزال وتهدم عند تمام البناء لأنها لم تعد ذات فائدة وتحول دون الاستقاء، بل

---

[١] اليواقيت والجواهر ج٢ ص٢٢ طبعة مصر ١٣٢١هـ.

إن الله ﷻ نور وكل ما عداه ظلمة، وروح بدونها يسود الموت في كل مكان، إذا عزلتم وجوده عن العباد بقوا جثثا هامدة، ولايصح القول إنه خلق الكون مرة والآن يجلس صامتا بل إن صلته مع عباده دائمة ويعطف عليهم عند تواضعهم، وإذا نسوه ذكرهم بنفسه ويخبرهم برسله الخواص:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٧).

نؤمن بأن الله لا ينفك ينفّذ قدَره الخاص في العالمين. لم يصدر منه قانون الطبيعة الساري المفعول فقط بل له قدر خاص أيضا يُظهر بواسطته قوته وسلطانه، ويبرهن على قدرته. هذه القدرة نفسها يرفضها بعض السطحيين لقلة علمهم، ولا يسلِّمون بوجود أيّ قانون غير قانون الطبيعة ويسمونه الظاهرة الكونية. مع أنه يمكن أن يسمّى قانون الطبيعة ولكنه لا يسمى قدرا خاصا لأن لله عدة قوانين أخرى عدا هذا القانون ويستعملها لنصرة عباده وإهلاك أعدائهم، ولو لم يكن مثل هذا القانون لما كان من الممكن أن ينتصر موسى الضعيف على ملك جبّار مثل فرعون وأن يتقوى هذا الضعيف ويترقى، ويلقى ذلك القوي الدمار رغم قوته، ولو لم يكن هناك غير القانون الطبيعي فكيف أمكن أن العرب عن بكرة أبيهم أرادوا هلاك رسول الله ﷺ ودماره لكن الله تعالى ظل يجعله غالبا في كل ميدان ويعصمه عند كل هجوم عدائي، ولو لم يكن ذلك لما كان من الممكن أن يقود رسول الله ﷺ عشرة آلاف مقاتل ضد كفار مكة التي خرج منها مضطراً وهو ثاني اثنين مع أحد مخلصيه، فهل من الممكن أن يؤدي القانون الطبيعي إلى مثل هذه النتائج؟ كلا! بل إن القانون الطبيعي لا ينم إلا عن أن كل قوة أدنى تُمزق مقابل القوة العليا وأن كل ضعيف يهلك بيد القوي.

٨. إننا نؤمن بأن الإنسان سيبعث بعد موته وسيحاسب على أعماله، فمن عمل صالحا يلقى أحسن مما عمل، ومن عصى أوامر ربه فسيعذب عذاباً شديداً، ولن يتخلص الإنسان من هذا البعث المحتم بحيلة من الحيل، ولو أكله الطير أو افترسه مفترس في الغابات ولو أتت الديدان على كل ذرة من ذرات جسمه وحولته إلى صورة أخرى، ولو حرقت عظامه سيبعث رغم كل هذه الحوادث وسيحاسب أمام خالقه، لأن قدرته الكاملة لا تحتاج لبعثه إلى جسمه الأول، بل الحق أنه يستطيع أن يبعثه من أصغر وأدق ذرة ممكنة من جسمه أو ألطف أثر من روحه، وكذلك سيكون، فإن الأجسام تندرس لكن ذراتها الدقيقة لا تبلى وكذلك الروح التي تلازمها لن تفنى إلا بإذن خالقها.

٩. إننا نؤمن بأن الذين ينكرون الله ﷻ ويجحدون بدينه إذا لم يغفر لهم الله برحمته الكاملة فسيدخلون جهنم؛ فيها عذاب من النار والبرد القارس، ولن تكون لمجرد التعذيب بل روعي فيها إصلاحهم، ولن يكون لهم هناك إلا البكاء والعويل وصك الأسنان إلى أن يحين اليوم الذي تغشاهم فيه رحمة الله التي تسع كل شيء ويتحقق وعد: يأتي على جهنم زمان ليس فيها أحد ونسيم الصبا تحرك أبوابها[١].

١٠. إننا نؤمن بأن الذين يؤمنون بالله وأنبيائه وملائكته وكتبه ويتبعون أحكامه من صميم أفئدتهم ويسلكون سبل الخشوع والتواضع والذين يتظاهرون بالضعف مع أنهم عظماء ويستأثرون عيش الفقراء مع أنهم أغنياء ويتولون خدمة خلق الله ويؤثرون راحة الناس على راحتهم ويتجنبون الظلم والاعتداء والخيانة ويتمسكون بالمثل العليا من الأخلاق الفاضلة السامية، ويسمون بأنفسهم عن الرذائل

---

[١] (انظر: تفسير معالم التنزيل الجزء الثالث ص٢٤٣ طبعة دار الفكر). وردت في تفسير معالم التنزيل كلمات الرواية كما يلي: ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون أحقابًا.

والسفاسف- أولئك الذين سيشرفهم الله بالجنة، وفيها تشملهم الراحة والسعادة ولا يعرف الألم والشقاء إليها سبيلا، والتي توفر للإنسان مرضاة ربه وسيحظى فيها بتجليه ﷻ وسيغمره رداء رحمة الله ويقربه الله حتى يصير مرآة صادقة لصفاته، ويتخلص من جميع الأهواء السفلية فتصبح إرادته إرادة الله، عندئذ سينال حياة خالدة، وسيكون مظهرا لصفات الله.

هذا ما نؤمن به من العقائد ولا نعرف من أسس الإسلام غير ما ذكرناه، ولقد ظل أئمة الإسلام يقرون بهذه العقائد ونحن متفقون معهم على ذلك كل الاتفاق.

خلافنا مع الآخرين

لعلك تستغرب أنه ما دمنا نعتنق جميع معتقدات الإسلام، فما هي خلافاتنا إذن مع سائر المسلمين، ولماذا يضمر لنا العلماء هذا العداء والعناد ولماذا يفتون بتكفيرنا؟

فيا جلالة الملك، وقاك الله شر هذه الدنيا وفتح لك أبواب فضله؛ الآن أتناول تلك الاعتراضات التي توجَّه إلينا ويُفتى بسببها أننا مارقون من الإسلام:

إن أول اعتراض من قبل معارضينا هو أننا نقول بأن المسيح الناصري عليه السلام قد توفي، وبذلك نسيء إلى المسيح ونكذب القرآن كذلك، ونرفض حكم رسول الله ﷺ في ذلك. لكننا وإن كان إقرارنا بوفاة المسيح حقاً، ولكن ليس صحيحا أننا بذلك نسيء إلى المسيح ونكذب القرآن ونرفض حكم رسول الله ﷺ، لأننا مهما أمعنا النظر، وجدنا أن هذه التهم لا تتحقق ضدنا بسبب الاعتقاد بوفاة المسيح عليه السلام بل على العكس، إذا قلنا بحياة المسيح، تعرضنا لهذه التهم.

إننا نحن مسلمون، فبصفتنا مسلمين ما يخطر ببالنا أولا وقبل كل شيء هو عظمة الله وكرامة الرسول ﷺ وإننا وإن كنا نؤمن بجميع الرسل، لكن حبنا وحميتنا ليفوران بالطبع أكثر وأشد للنبي الذي تكبد لأجلنا المصائب وتحمل جميع الأعباء

ليخفف عنا، وسلط على نفسه الموت هما وحزنا حينما وجدنا نموت، وابتعد لراحتنا عن كل راحة وتدلّى بنفسه لأجل إعلائنا وقضى أيامه في التفكير لسعادتنا، وقام لياليه ساهراً لأجلنا حتى تورمت قدماه، وابتهل مستغفراً لأجل ذنوبنا ونجاتنا من العذاب وهو مطهر منها، حتى ابتل موضع سجوده، واشتد لأجلنا تضرعه وإلحاحه حتى أن صدره كان يغلي أكثر من غليان المرجل.

استمطر لأجلنا رحمة الله واستمد لنا مرضاته وشملنا برداء فضله وخلع علينا عباءة الرحمة، وألبسنا رداء لقائه واكتشف لنا طريق الاتصال به ﷻ، ووفر لنا من المرافق ما لم يوفره لأمته أي نبي سلف.

إن ألقاب التكفير أحب إلينا من أن نسوي المسيح الناصري بخالقنا ومحيينا وحافظنا ورازقنا وواهبنا علما وحكمة وهدى، وكما أن الله حي في السماء من دون أكل أو شرب نحسب المسيح الناصري حيا في السماء دون أن يحتاج ويستعمل ما يحتاج إليه الناس.

إننا نكنّ للمسيح الناصري إجلالاً واحتراماً لكونه نبي ربنا، إننا نحبه لأنه كان يحب الله وكان الله يحبه. إن علاقتنا مع المسيح ليست مباشرة بل لكونه حبيب الله، فكيف يمكن أن نتجاسر لأجله على الإساءة إلى الله وننسى نعماءه علينا، ونساعد القساوسة المسيحيين أعداء الإسلام والقرآن ونتيح لهم الفرصة لأن يزعموا: أليس الذي هو حي خالد في السماء بإله؟ وإنه لماذا لم يمت مثل غيره من الناس إن كان إنسانا؟ فلماذا إذن نفتح منفذا للهجوم على وحدانية الله ولماذا نبيد الإسلام بأيدينا. إن مشايخ هذا العصر مهما رمونا بالتهم، ومهما جعلونا عرضة للتعذيب وإن صلبونا أو رجمونا، لا يسعنا أن نترك الله من أجل المسيح، إننا نؤثر الموت ألف مرة على أن نتفوه بكلمة الكفر ونقول أن المسيح حي مع إلهنا سبحانه وتعالى، ذلك المسيح الذي لأجل بنوته ينال المسيحيون من كرامة الله القيوم، وإن لم يكن لنا علم بذلك،

لكان من الممكن أن نخوض مع الخائضين، لكن الآن حينما كشف مأمور من الله لنا الغطاء عن الحقيقة، وبين لنا مكانته ﷻ من قدرته وسلطانه وعظمته فمهما يكن من شيء لن نقبل عن الله بديلا، فإذا فعلنا ذلك فلا نعرف مصيرنا، وذلك لأن الشرف كله والكرامة بأسرها من الله ﷻ، فإذا رأينا عيانا أن حياة المسيح تمس بكرامة الله، فكيف يمكن أن نسلّم بهذه العقيدة الفاسدة.

إننا نستبعد صلة وفاة المسيح بإهانته، لأن الأنبياء الذين هم أفضل منه قد توفوا وماتوا ولم تحصل لهم أي إهانة بالموت، فكيف أدى موت المسيح عليه السلام إلى إهانته وذلته، لكن لو لم يكن مِن بدٍّ- لا قدر الله- بين إهانة المسيح وبين النيل من كرامة الله، لقبلنا برحابة الصدر ما يهين المسيح ولن نقبل ما يُشتمّ منه إهانة الله سبحانه وتعالى علواً كبيراً، وإننا متأكدون أن المسيح الذي كان من عشاق الله، لن يقبل المساس بكرامة الله وتوحيده، كما يقول الله ﷻ في القرآن:

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ (النساء: ١٧٣).

وماذا نفعل بكلام الله إذ يقول بلسان المسيح:

﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة: ١١٨).

إن الله تعالى يبين في هذه الآية على لسان المسيح الناصري بأن الفساد تطرق إلى النصارى عقب وفاته، أما أثناء حياته فكانوا مؤمنين، بعد هذا القول الفصل كيف يمكن أن نزعم بأن المسيح حي في السماء، وكيف نعرض عن قوله تعالى:

﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ٥٦).

يتبين من ذلك أن رفع المسيح حصل بعد وفاته، فكيف نغض النظر عن هذا القول؟ فليقل الذين يزعمون -والعياذ بالله- أنهم أفصح من الله إن الله قدم الفعل "مُتَوَفِّيكَ" (مع أنه كان متأخراً) وكان يجب أن يقدم "رَافِعُكَ" على: متوفيك، لكننا نؤمن بأن كلام الله أفصح من كل كلام وأسمى من كل خطأ فكيف لنا أن نخطّئ الخالق ونحن مخلوقون، وأنى لنا أن ننبه العليم على خطئه ونحن غارقون في الجهل، يقال لنا: قولوا: إنه قد حصل خطأ في كلام الله ولا تقولوا أننا قد أخطأنا في فهمه، فكيف نخضع لهذا القول ونحن نرى فيه هلاكنا، وكيف نقع في الهاوية ونحن مبصرون وكيف لا نبعد كأس السم عن أفواهنا ونحن نملك أيدينا؟

إننا نحب محمداً رسول الله ﷺ بعد حب الله ﷻ لأنه أولاً أفضل الأنبياء أجمعين، ثانياً: كلّ ما نملكه إنما وجدناه عن طريقه ووسيلته فحسب، وهو فعل لأجل خيرنا ما لم يفعل عُشر معشاره أي إنسان نبيا كان أو غير نبي. فلا يمكن لنا أن نكرم أحداً أكثر منه، كما أنه من المستحيل أن نتصور المسيح حياً في السماء ونرى محمداً ﷺ مدفونا في الأرض رغم إيماننا بأنه أفضل من المسيح. وكيف يمكن أن يحتل أدنى درجة مَنْ رفعه الله إلى السماء لأدنى خطر تعرض له، ويُعدُّ مقابله أفضل مَن أحدقت به أشد الأخطار ولاحقه الأعداء إلى أبعد الحدود ولم يرفعه الله ولا إلى النجوم؟ إن كان المسيح عليه السلام حياً في السماء حقا وسيدنا ونبينا مدفون في الأرض فما أشد من هذا الموت، ولا يمكن أن نواجه المسيحيين، لكن كلا!! إن الله لن يعامل حبيبه ونبيه مثل هذه المعاملة الشائنة، إنه لأحكم الحاكمين فكيف كان ممكنا أن يلقبه سيد ولد آدم ويُحب المسيح أكثر منه، ويهتم بآلامه اهتماماً أشد من اهتمامه برسول الله؟ وإذا كان الله قد قلب العالم رأسا على عقب وجعل عاليه سافله لأجل كرامة محمد ﷺ وأذل كل من أراد أدنى إهانته، فهل كان من الممكن أن يحط بنفسه من شأنه، ويتيح للأعداء فرصة الطعن والاعتراض عليه؟ إذا خيل إلي أن

المسيح عليه السلام حي في السماء وأن سيدي ومولاي محمدًا رسول الله ﷺ مدفون في الأرض يقشعر لذلك بدني وتختنق أنفاسي، وعندئذ ينادي قلبي: ليس الله مَن يفعل ذلك، إنه يحب محمداً رسول الله ﷺ حبا أكثر من غيره على الإطلاق، ولم يكن ليرضى أن يظل حبيبه هذا مدفونا بينما يقبع المسيح عليه السلام حياً في السماء. وإن كان أحد حقيقا بأن يبقى حياً في السماء فهو سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ، فإنْ توفي هو فجميع الأنبياء متوفون. ونظراً إلى علو مكانة محمد رسول الله ﷺ ورفعة شأنه كيف نسلم أنه حينما اضطر لأن يرتقي جبل الثور مستندا على كتف أبي بكر فلم يرسل الله له ملكا، ولكن المسيح لما جاء اليهود يعتقلونه رفعه الله فوراً إلى السماء وأحله في السماء الرابعة؟[١]

وكذلك كيف نسلّم أن الأعداء لما وجدوا رسول الله ﷺ يوم أُحُد في لفيف من أصحابه، لم يرفعه الله إلى السماء لوقت قليل ليستبدل به شخصا آخر لتكسر أسنانه، بل ترك الأعداء يهاجمونه حتى أغمي عليه وخر على الأرض كالأموات، أخذ العدو يرفع الهتافات فرحا أنه قد ظفر بقتل محمد رسول الله ﷺ، ولكن الله لم يرض للمسيح أن يصاب بأتفه أذى، وحالما قرر اليهود صلبه رفعه إلى السماء واستبدل به أحد أعدائه ليُصلب؟

إننا نستغرب جداً، ولا نعرف ماذا دها هؤلاء؟ فمن ناحية يدعون حب رسول الله ويهاجمون كرامته من ناحية أخرى، ولا يقتنعون بذلك، بل يؤذون الذين يرفضون أفضلية أحد على رسول الله بدافع حبه ويعتبرون فعلهم هذا كفرا.

هل الكفر هو الدفاع عن كرامة رسول الله ﷺ؟ وهل الإلحاد هو الاعتراف بمكانته السامية وهل الارتداد هو عبارة عن حبه؟ إن كان هذا هو الكفر، وإن كان هذا هو الإلحاد وان كان هذا هو الارتداد، فإننا والله نفضل هذا الكفر ألف

---

[١] لعله سهو، والصحيح "الثانية" كما ذكرها المؤلف أيضا في مؤلفه التفسير الكبير. (المترجم)

مرة على إيمانهم، ونؤثر هذا الإلحاد ألف مرة على تدينهم، ونرجح هذا الارتداد على استقامتهم ونقول علناً غير خائفين لومة لائم ما قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام بالفارسية ما تعريبه:

"إني لنشوانٌ بعشق محمد من بعد حب الله جل جلاله

إن كان هذا الكفر إني لكافر ربي شهيد قد سباني جماله."

كل إنسان صائر إلى الموت عاجلاً أم آجلاً وماثل أمام الله وآنئذ سيرجع الأمر إليه سبحانه وتعالى فلماذا نخاف الناس إذن؟ إنهم لا يستطيعون أن ينالوا منا شيئا، وإننا نخاف الله وحده ونحبه هو فقط، وبعده فإن قلوبنا لمفعمة بحب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحترامه، لو اضطررنا لأجله إلى أن نتنازل عن كرامات الدنيا كلها وعن علاقات الدنيا كلها وعن سعادة الدنيا كلها لكان أهون علينا، ولكن الذي من المستحيل أن نتحمله هو إهانته.

إننا لا نهاجم كرامة الأنبياء الآخرين، لكن رغم ذلك نظرا إلى قوته القدسية وعلمه الزاخر ومعرفته الغزيرة وعلاقته بالله عز وجل، ليس بإمكاننا أن نسلم أن الله استأثر لحبه أحداً ممن عداه من الأنبياء، وإذا فعلنا ذلك، لكنا أجدر الناس بأشد العقاب.

إن سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم لما طالبه الكفار بصعوده إلى السماء قائلين: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ﴾ (الإسراء: ٩٤).

ردّ الله على مطالبتهم قائلا: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الإسراء: ٩٤).

فكيف نقبل أن المسيح عندما تعرض للأذى رفعه الله إلى السماء. ففي قصة سيدنا ومولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نُخبَر أن الرقي إلى السماء محظور على بني الإنسان لكن الله رفع المسيح إلى السماء بلا أي داع، ألا ينتج عن هذا القول–

والعياذ بالله- أن المسيح لم يكن بشراً بل كان إلها، أو كان أفضل من محمد ﷺ وأحب منه إلى الله؟ لكن إن كان من البيّن جدا أن محمدا رسول الله ﷺ أفضل من الأنبياء والرسل أجمعين، فإذن كيف للعقل أن يقبل بأن يرفع المسيح إلى السماء ويبقى فيها آلاف السنين ويُتوفى محمد في هذه الأرض ويظل مدفونا فيها؟

ثم إن هذه القضية لا تتصل بالغيرة فقط، بل ترتبط بصدقه ﷺ إذ يقول: "لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعهما إلا اتباعي"[1] فلو كان عيسى حيا لكان قوله باطلاً، والعياذ بالله، لأنه يؤكد وفاة كلا النبيين بقوله: "لو كان" وذكر موسى وعيسى معا.

بعد شهادة رسول الله فمَن مِن الأمة المسلمة يتجاسر على القول بأن المسيح حي؟ فإن كان المسيح حيا فهذا يعرّض صدق رسول الله ﷺ وعلمه للاعتراض لأنه قد صرّح بوفاته.

ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال لفاطمة أثناء مرضه الذي توفي به:

"إن جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة وأنه عارضني بالقرآن العام مرتين وأخبرني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصف الذي قبله وأن عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين."[2]

إن موضوع هذا الحديث تلقاه النبي ﷺ بالوحي لأنه روى ذلك عن جبريل ولم يحدث عن نفسه شيئا بل أخبر ما قاله جبريل وهو أن عيسى بن مريم عاش مائة وعشرين سنة. فإنّ زعم الناس أن المسيح الناصري رفع إلى السماء وهو ابن اثنتين وثلاثين، فلا أساس له من الصحة، لأن عيسى بن مريم لو كان رُفع إلى السماء

---

[1] تفسير البحر المحيط: سورة الكهف، الآية: ٦٥.

[2] شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية: المجلد الأول ص٣٥ طبعة مصر ١٣٢٥هـ.

في هذا العمر لكان من الواجب أن يكون قد بلغ من العمر ستمائة سنة في زمن الرسول وليس مئة وعشرين سنة، ومن هذا المنطلق كان من اللازم أن يبلغ الرسول ﷺ ثلاث مائة سنة على الأقل لكن وفاة النبي ﷺ في سن الثالثة والستين وإخباره في الإلهام أن عيسى عليه السلام تُوُفي وهو ابن مائة وعشرين عاما لأمران يوجبان أن عقيدة حياة المسيح عليه السلام وكونه جالسا في السماء تخالف التعاليم الإسلامية، وإلهاماته ترفض ذلك مطلقًا.

فإذا كان هذا هو الواقع، فكيف يمكن أن نقبل حياة المسيح الناصري عليه السلام بقول شخص ما تاركين النبي ﷺ؟

يقال: ألم تنكشف هذه القضية خلال ثلاثة عشر قرنا إلا على المسيح الموعود عليه السلام فقط ولم يكن السلف الصالح مطلعين على حقيقتها؟ لكن المعترضين مع الأسف الشديد، يقصرون نظرهم على طائفة من ذوي الاتجاه الخاص، ثم يسمون ذلك إجماعاً، ولا يلاحظون أن أول علماء الإسلام هم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين واستمر بعدهم انتشار العلماء وعمَّ سائر العالم، وأما رأي الصحابة في هذه القضية، فإنهم متفقون معنا تمام الاتفاق، ولم يكن ممكنا من هؤلاء العشاق- ولو للحظة – أن يميلوا إلى عقيدة تنافي كرامة متبوعهم وحبيبهم.

ولم يكتفوا بالاتفاق معنا على هذه المسألة فحسب، بل إن أول أمر أجمعوا عليه بعد وفاة الرسول ﷺ هو وفاة عيسى عليه السلام كما نرى ذلك فيما ورد في الحديث والتاريخ من الروايات ما ملخصه:

كانت صدمة وفاة رسول الله ﷺ شديدة الوقع على الصحابة، فأصيبوا بالذهول، وأصاب بعضهم العيُّ فلم يستطيعوا النطق، وشُلّت حركة بعضهم، وفقد بعضهم السيطرة على حواسهم وعقولهم، وبعضهم لم يتحملوا هذه الصدمة العنيفة وذابت لها نفوسهم حتى توفوا في بضعة أيام، وكان من أشدهم تأثراً عمر رضي الله عنه إذ لم

يصدق خبر الوفاة، وقام يهدد من يقول بوفاته، قائلاً: من قال بوفاته ﷺ ضربتُ عنقه، إنما دُعي إلى الله كما دُعي إليه موسى فغاب عن قومه أربعين ليلة وسيرجع ويضرب أعناق رجال اتهموه ويقتل المنافقين منهم ويصلبهم. وكان متحمسا لادعائه لدرجة أنه لم يجرؤ أحد من الصحابة على أن يرد عليه، حتى أيقن بعضهم بعدم وفاة النبي ﷺ، وتأكدوا من حياته، وبذا تهللت وجوههم فرحا، فإذا برؤوسهم مرفوعة بعد أن كانت مطرقة، فنظراً إلى هذه الحالة المضطربة أرسل بعض الفطنين من الصحابة شخصًا إلى أبي بكر- الذي بعد أن رأى تحسن صحة رسول الله ﷺ كان قد خرج بإذن منه إلى قرية مجاورة للمدينة- فلقي أبو بكر رضي الله عنه الشخص المرسَل في طريقه إلى المدينة، فلم يتمالك الرجل نفسه وبكى، فأدرك أبو بكر بالأمر فسأله عن وفاة النبي ﷺ، فأجابه أن عمر يقول إنه من قال بأن النبي ﷺ قد مات فسوف يضرب عنقه. فنزل أبو بكر إلى بيت النبي ﷺ، فتيمم رسولَ الله وهو مغشي بثوب حِبَرَةٍ، فكشف عن وجهه وعرف أن النبي ﷺ قد انتقل إلى رفيقه الأعلى فاغرورقت عيناه لحزن فراق حبيبه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متّها والله قد أصيب العالم بموتك ما لم يصب بموت أحد من الأنبياء، إنك أسمى من الوصف والنعوت ولا تخفف فجيعتَك فاجعة، لو كان لنا أن نحول دون وفاتك لفديناك بنفوسنا. ثم غطاه بالثوب وخرج حيث كان عمر يكلم الناس ويقول بأن النبي ﷺ لم يمت وإنما هو حي، فقال له أبو بكر على رسلك يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس عليه وتركوا عمر، فتلا الآيتين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٥)، ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣١). ثم قال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمدا قد مات[١]، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

---

[١] صحيح البخاري، كتاب المناقب.

وأخبر الناسَ بوفاته ﷺ فانكشفت الحقيقة عليهم فأجهشوا بالبكاء. يقول أحد رواة الحديث:

"والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها..."

قال عمر: والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلّني رجلاي حتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها علمت أن النبي ﷺ قد مات."[1]

تتحقق من هذه الروايات ثلاثة أمور:

١- إن أول أمر أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة الرسول هو أن جميع الأنبياء قبل رسول الله قد توفوا، وإنه لو كانت هناك أي شائبة من شك في وفاة أحد منهم، لرد بعضهم على أبي بكر بأن الأمر الذي استدللت به على وفاة النبي ليس بصحيح، لأن عيسى عليه السلام ما زال حياً في السماء منذ ستمائة سنة، وقد أخطأت في قولك بأن جميع الأنبياء قبل رسول الله قد ماتوا ولحقوا بالأموات، فإذا كان بعضهم حياً إلى الآن فلماذا لا يمكن أن يتمتع رسول الله بالحياة أيضا؟

٢- إن اعتقادهم بوفاة الأنبياء السابقين لم يكن عن مجرد تفكيرهم الشخصي بل إنهم كانوا يستدلون على ذلك بآيات القرآن الحكيم، ولو لم يكن ذلك لعارض بعضهم هذا الاستدلال. فإن استشهاد أبي بكر بآية ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ وسكوت الصحابة جميعهم على ذلك، بل استحسانهم لذلك الاستدلال القيم وترديدهم لها في طرقات المدينة وأسواقها لدليل واضح على صحة هذا الاستدلال.

٣- والأمر الثالث الذي يتبين من هذه الرواية أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا يعتقدون بحياة المسيح الناصري عليه السلام مطلقًا وسواء أكانوا متأكدين من وفاة أحد من الأنبياء أم لم يكونوا متأكدين، لأنه كما يتضح من

---

[1] صحيح البخاري، كتاب المغازي.

الأحاديث الصحيحة والروايات الموثوق بها أن عمر ﵁ عندما كان في هياج شديد وكان يهدد الصحابة بأنه من قال بوفاة الرسول فسوف يضرب عنقه وكان يستشهد على ذلك، ببقاء موسى في الجبل أربعين ليلة ولكنه لم يستشهد ولا مرة واحدة بحياة عيسى ﵇، فلو كان الصحابة يعتقدون بحياة عيسى لاستشهد عمر وزملاؤه بذلك، لكن سكوتهم عليه واستدلالهم بذهاب موسى إلى الجبل لدليل جلي على أن فكرة حياة المسيح لم تكن تخطر ببالهم. وعلاوة على إجماع الصحابة على ذلك، فإن أهل بيت النبي ﷺ أيضا قد اتفقوا على وفاة المسيح ﵇ كما ورد في المجلد الثالث من طبقات ابن سعد برواية الحسن ﵁ في وفاة أبيه علي كرم الله وجهه قوله:

"أيها الناس قد قُبض الليلة رجل لم يسبقه الأولون ولا يدركه الآخرون. قد كان رسول الله يبعثه المبعث، فيكتنفه جبريل عن يمينه وميكائيل عن شماله، فلا ينثني حتى يفتح الله له. وما ترك إلا سبع مائة درهم أراد أن يشتري بها خادما. ولقد قبض في الليلة التي عُرج فيها بروح عيسى بن مريم، ليلة سبع وعشرين من رمضان".[١]

يتبين من هذه الرواية أن أهل بيت النبي أيضا كانوا يعتقدون بوفاة المسيح، ولو لم يكن ذلك لما صرح الحسن ﵁ بقوله: "لقد قبض في الليلة التي عرج فيها بروح عيسى بن مريم".

إن العلماء بعد الصحابة ﵃ وأهل بيت النبي لا بد أن يكونوا معتقدين بوفاة المسيح ﵇، وذلك لأنهم كانوا يعشقون القرآن الكريم وكلام النبي ﷺ وأقوال الصحابة وآراء أهل بيته ﵃ أجمعين، ولكن بما أنهم لم يقيموا لهذه المسألة وزنا لذلك لم يحفظ فيهما أقوالهم، لكن الذي نجده لا يخرج عن دعم ما قلنا عن وفاة المسيح ﵇ كما ورد في مجمع بحار الأنوار: "قال مالك: مات".[٢]

[١] الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص ٣٨-٣٩ طبعة بيروت ١٤٠٥هـ.

[٢] مجمع بحار الأنوار ج١ ص٢٨٦ طبعة المطبع العالي المنشي نولكشور ١٣١٤هـ.

فعلاوة على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة إن إجماع الصحابة وآراء أهل بيت النبي وأقوال الأئمة تدل على صحة ما ذهبنا إليه أن المسيح عليه السلام مات، فإن اتهامنا بأن اعتقادنا بوفاة المسيح يؤدي إلى إهانته وإلى إنكارنا القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لهو اتهام باطل لا يمت إلى الحقيقة بصلة، لأننا لا ننال به من كرامته، بل نعمل على صيانة التوحيد وعلى الدفاع عن كرامة النبي ومكانته السامية، بل ونخدم بذلك المسيح عليه السلام نفسه، لأنه أيضا لن يرضى أن يكون بموقف يسيء إلى التوحيد، وأن يكون عوناً والعياذ بالله على نشر الشرك وعلى المساس بكرامة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم.

فالآن يا جلالة الملك، فكّرْ بنفسك، هل معارضونا على الحق في اتهامنا بذلك أم نحن على الحق؟ أيحقّ لهم أن يسخطوا علينا أم يحق لنا أن نسخط عليهم؟ لأنهم جعلوا شريكا مع إلهنا وأهانوا رسولنا وأصبحوا يهاجمونه كالأعداء مع أنهم من أمته.

والتهمة الثانية التي تلصق بنا هي أننا -خلاف عقيدة المسلمين الآخرين- نؤمن برجل من هذه الأمة أنه المسيح الموعود مع أن ذلك ضد الأحاديث النبوية التي تصرح بنزول المسيح من السماء.

صحيح تماما أننا نؤمن بمؤسس الجماعة الأحمدية حضرة ميرزا غلام أحمد من قاديان في محافظة غورداسبور- البنجاب، بالهند مسيحا موعودا ومهديا مسعودا، لكن إذا كان قد تحقق من القرآن والأحاديث والعقل السليم أن المسيح الناصري عليه السلام قد توفي، فكيف أصبحت عقيدتنا معارضة للقران الكريم والأحاديث حيث أن القرآن والأحاديث كذلك تشهد على وفاة المسيح عليه السلام وحيث أن الأحاديث نفسها تصرح بظهور موعود يعرف بابن مريم، ومن البين أن هذا الموعود من هذه الأمة وليس المسيح الناصري الذي لحق بالأموات.

يقال إن وفاة المسيح وإن كانت متحققة في القرآن والأحاديث، رغم ذلك ينبغي أن نؤمن بمجيء المسيح ابن مريم، لأن الأحاديث تخبر بذلك، أفليس الله

بقادر على أن يعيد الحياة إلى المسيح ويبعثه لإصلاح العالم؟ وعلى ذلك، فإنهم يتهموننا بأننا لا نؤمن بقدرة الله، لكن الواقع لا يدعم ذلك، لأننا بعكس ذلك تماما - إيمانا بقدرة الله وليس بسبب إنكار قدرته تعالى- نقول بأن الله لن يرسل حضرة المسيح الناصري عليه السلام بنفسه بعد أن يحييه مرة ثانية وإنما بعث فردا من هذه الأمة مسيحا موعودا. إننا لا نفهم ولا نتوقع أن يقتنع من يمعن النظر في هذه المسألة بأن مجيء المسيح نفسه مرة أخرى بإحيائه من الأموات دليل على قدرة الله عز وجل.

إننا نرى من عادة الدنيا أن الغني لا يقلب ثوبه القديم ليستعمله مرة ثانية بل يخلعه، بل يستبدل به ثوباً جديدا آخر عند الضرورة. أما الفقراء والبؤساء فإنهم مضطرون إلى أن يقلبوا ملابسهم عدة مرات وبأشكال مختلفة، ويبالغون في الاهتمام والاعتناء بأغراضهم، متى كان الله بهذه الدرجة من الضيق والعوز أن اضطر لأن يبعث نبيا ممن توفي من الأنبياء إذا احتاج عباده إلى الإرشاد والهداية، مع أنه عز وجل ظل يصطفي لهداية الناس أحدا من عباده الموجودين في ذلك العصر، ولم يحدث -ولا مرة واحدة- منذ آدم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث لإصلاح العالم رسولا من الأموات بعد إحيائه مرة ثانية، ولا يمكن ذلك إلا إذا تعذر عليه إصلاحهم في عصر من العصور وارتفع حكمه عن العالم، لكنه من المستحيل أن يحدث ذلك في يوم من الأيام، فعليه فإن بعثة نبي من الأموات بعد إخراجه من الجنة لإصلاح الناس لمستحيل كذلك، إنه قادر قدرة كاملة، إذا كان باستطاعته أن يبعث بعد عيسى عليه السلام رسولا عظيما كسيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه فبقدرته أيضا أن يبعث مثيلا للمسيح بل أفضل منه.

وخلاصة القول إننا لا نرفض مجيء المسيح الناصري لأن الله ليس بقادر على ذلك بل لأننا نحسب الله قديرا يقدر على أن يبعث من عباده هاديا إذا شاء بغير

أن يضطر إلى إحياء نبي قديم من الأنبياء وبه يدعو إلى عتباته الذين ضلوا السبيل، والذين يظنون أن الله لا يقدر على ذلك وإنه سيبعث نبيا سابقا عند الحاجة فأولئك هم المخطئون، وما قدروا الله حق قدره.

وعلاوة على أن حياة المسيح وبعثته مرة ثانية تنال من قدرته ﷻ فإنها تحط من قوة رسول الله ﷺ القدسية، لأن مجيء المسيح ثانية لا يعني إلا أن الأمم الخالية كلما احتاجت إلى الهداية بعث الله منهم من هداهم، لكن الأمة المحمدية إذا تطرق إليها الفساد، لم يجد منها أحدًا يضطلع بهداية أبنائها بل اضطر لأن يبعث لأجلهم نبيا ممن سبق من الأنبياء، وإذا اعترفنا بذلك، فإننا والله لسنا إذن أقل عداوة لرسول الله ﷺ من اليهود والنصارى، لأنهم أيضا يحطون من مكانة رسول الله الروحانية، وبموجب هذه العقيدة نغدو نحن أيضا من المعترضين على قوة رسول الله ﷺ القدسية. إذا كان السراج مضيئا، فيمكن أن يضاء منه أسرجة أخرى، أما الذي لا يستضاء به سراج آخر فهو المنطفئ. فلما كان من المقدر أن يأتي على الأمة الإسلامية زمان يتسرب فيه الفساد إليها ولا يستطيع أحد من أبنائها أن ينهض من أجل إصلاحها، اضطررنا إذن لأن نعترف بأن بركة رسول الله ﷺ -والعياذ بالله- قد نفدت وجفت منابعها. مَن مِن المسلمين يجهل أن الله ﷻ لما أراد أن ينشئ أمة لموسى عليه السلام، لم يبرح يرسل من أتباعه من يصلحهم، لكنه ﷻ عندما أراد أن يقطع النبوة عن أمته، حوّل عنها النبوة إلى بني إسماعيل، فكذلك إن ظهر في الأمة المسلمة نبي من الأمة الموسوية بعد رسول الله ﷺ فمعنى ذلك أن الله ﷻ سيقضي على أمة النبي ﷺ والعياذ بالله، وسيستبدل بها أمة أخرى، وإن قوة رسول الله القدسية يصيبها الانهيار التام ولم يعد يستفيد منها أحد من الأمة أو يستنير من نورها حتى يصلح أبناءها ويوجههم إلى الصراط المستقيم.

من المؤسف جداً أن الناس يفيضون غيرة لأجل أنفسهم، ولا يرضون أن يعزى إليهم نقص أو عيب، ما أسرعهم وأجرأهم على لصق العيوب بذات رسول الله ﷺ، ماذا نعمل بالحب الذي لا يتجاوز الحناجر ولا يعرف إلى القلوب سبيلاً؟ وما لنا وللحماس الذي لا يدعمه دليل، فلوا أحبوا رسول الله ﷺ في الحقيقة، لما ارتضوا ولا لدقيقة واحدة أن يبعث نبي من بني إسرائيل لإصلاح أمة محمد، وهل من الغيرة في شيء أن أحداً يتكفف الناس وبيته يتدفق متاعا ونعيما؟ أو يستنجد بأحد وهو قوي.

هؤلاء العلماء الذين يزعمون أن المسيح الناصري سينزل لأجل تخليصهم من الآلام والمصائب، والعياذ بالله، هم يبلغون من الغيرة لأنفسهم درجة لا يعترفون بسببها بهزيمتهم في الحوار وإن أفحمهم الحق وأعياهم الدليل، حتى ولا يقبلون أن يستعينوا بأحد، وإذا استعد أحد لذلك من تلقائه، ما قبلوا منته عليهم بل نهروه قائلين أإنا جاهلون حتى نحتاج إلى تلقينك، لكنهم يبدون أقصى وقاحة في حق الرسول ﷺ عندما يقولون بأن المسيح الناصري سينزل لمساعدة محمد ﷺ وأن قوته الروحانية سوف تكون عاطلة لا تحرك ساكنا.

وا أسفاه! هل ماتت القلوب أم مسخت العقول، أو تبذل كل الغيرة لأجل أنفسهم، ولم يبق منها شيء لأجل الله ورسوله، وهل كل الحماس يستفرغ لأعدائهم هم ولم يعد منه شيء لأجل الله والرسول؟

يقال لنا لماذا ترفضون مجيء نبي إسرائيلي، لكن ماذا نفعل بقلوبنا التي تأبى إلا أن تفيض بحب محمد رسول الله، وكيف نقضي على آثار الحب التي تتجدد في قلوبنا كل حين وآن، إن أعز الأعراض عندنا هو عرض محمد رسول الله ﷺ، إننا لا يمكن أن نتحمل ولا لثانية واحدة أن يكون محمد رسول الله مدينا لمنة لأحد. لن تستسيغ قلوبنا ولا لثانية واحدة أن يكون سيدنا ومولانا محمد في يوم القيامة -عندما يجتمع الأولون والآخرون وينادى كل بعمله على رؤوس الأشهاد- ناكس

الرأس أمام المسيح الإسرائيلي بسبب مننه عليه والعياذ بالله، وعندئذ سينادي الملائكة على الملأ:

إن محمداً لما عجزت قوته الروحانية عن إصلاح أمته، منَّ عليه المسيح وأحب لنفسه أن يخرج من الجنة ويتنازل عنها ويذهب إلى الدنيا لإصلاح أمة محمد وإنقاذها من الدمار، إننا نؤثر أن نقلع ألسنتنا قبل أن ننطق بإهانة الرسول هذه، وأن تشل أيدينا وأناملنا قبل أن تسجل هذه الكلمات النابية بحق رسول الله ﷺ.

إن سيدنا ومولانا محمدًا حبيب الله الأعظم، فلن تبطل قوته القدسية أبدا، إنه خاتم النبيين ولن تنقطع إفاضته، ولن يضطر لأن ينكس رأسه لمنة أحد، وإنما إحسانه يعم جميع الأنبياء. ليس ثمة نبي جعل الناس يؤمنون بحضرته، لكن أليس هناك مئات الملايين الذين جعلهم الرسول ﷺ يؤمنون بسائر الأنبياء؟ إن عدد المسلمين في الهند (قبل التقسيم) كان يقدر بثمانين مليون نسمة، وفيهم قلة من الأجانب وأكثريتهم من السكان الأصليين الذين لم يكونوا يعرفون ولا نبياً واحداً، لكنهم بإيمانهم بمحمد المصطفى ﷺ آمنوا بإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام جميعاً، فلو لم يكن الإسلام قد دخل في بيوتهم، لكانوا إلى يومنا هذا ممن يسبون هؤلاء الأنبياء ويكفرون بهم كما يزعم أهل بلادهم الآخرون إلى الآن. وكذلك إن أهل أفغانستان والصين وإيران ما كانوا ليؤمنوا بموسى وعيسى لو لم يكن الرسول ﷺ فرض عليهم ذلك، فإن إحسانه يعم جميع الأنبياء السابقين، وذلك لأن صدقهم كان قد اشتبه على الناس فبينه الرسول لهم، لكن ما من أحد استطاع إن يمنَّ على النبي، ولم يكن الله ليأتي عليه يوم تنقطع فيه إفادته الروحية، ويبعث نبيا آخر من أمة أخرى لإصلاح أمته بل كلما احتاجت أمته للإصلاح فسوف يبعث من تلاميذه وأمته من يستمدون من معرفته الزاخرة ويستقون من معينه الدفاق، ليقوموا بإصلاح الفاسد وإعادة الضال إلى الإسلام، إن عمل هؤلاء التلامذة لن يكون إلا عمله، لأن التلميذ لا ينفصل

عن أستاذه والأمّتي لا يغاير عن متبوعه، إن أعناق مثل هؤلاء التلامذة ستُنكس لإحسانه وإن قلوبهم سوف تفيض بحبه وإن رؤوسهم سوف تترنح بنشوة عشقه.

وقصارى القول إن ظهور نبي ممن توفي من الأنبياء لمساس بكرامة النبي وإبطال لمكانته التي شرفه الله بها، يقول ﷻ:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (الرعد: ١٢) أي أن الله تعالى لا ينزع نعمة أنعمها على أحد إلا إذا فسدوا بأنفسهم.

فتطبيقا لهذا المبدأ ينبغي أن نعترف والعياذ بالله - بأن تغيراً قد طرأ على النبي ﷺ، أو أن الله قد أخلف سنته واسترد منه -بلا مبرر- نعمة أنعمها عليه، مع أن عادته مع عامة الناس تخالف ذلك أشد المخالفة، وكلا الأمرين كفر بواح، لأن أحدهما يؤدي إلى الكفر بالله والآخر يدفع إلى إنكار رسوله. فلأجل هذه الأسباب كلها نحن نتبرأ من مثل هذه العقائد ونعتقد أن المسيح الذي وُعد بمجيئه هو من هذه الأمة وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

إن أحاديث رسول الله تدل على أن المسيح الموعود سيكون من هذه الأمة، يقول النبي ﷺ: "وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ"[١] وكذلك يقول: "كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ."[٢]

إذا أمعنا النظر في كلا الحديثين تبين لنا جليا أنه لا يوجد في عصر المسيح الموعود غير نفسه، فهو سيكون إمام هذه الأمة وهو من أفرادها، ولا يكون أجنبيا عنها، فإن الظن بأن المسيح والمهدي وجودان متغايران باطل ومخالف لحديث "وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى". فإن على المؤمن أن يتدبر في أقوال رسول الله وإذا بدا له تناقض رفعه بتدبره، وإذا كان رسول الله ﷺ صرح مرة بأن المهدي سيظهر ثم ينزل

---

[١] سنن ابن ماجه: كتاب الفتن، باب شدة الزمان

[٢] صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب نزول عيسى بن مريم

عيسى ويصلي وراءه وقال أيضا: "وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى"، فهل يجب علينا عندئذ أن نرفض أحد القولين أو نفكر في كليهما ونسعى إلى رفع التعارض بينهما؟ إذا ألقينا نظرة عابرة على كلا الحديثين فسندرك أن وجه رفع التعارض بين الحديثين هو أن حديث "وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى" شرحٌ للحديث الآخر. فإن رسول الله ﷺ حين أخبر عن نزول المسيح بكلمات قد تدفع القارئ إلى الاعتقاد بأن المهدي والمسيح وجودان متغايران، أزال هذا الاشتباه بقوله: "وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى" ودل بذلك على أن الحديث الأول يتضمن استعارة، وتلك الاستعارة لا تعني إلا أن الموعود من هذه الأمة يدعي أولاً بمجرد إصلاح الناس ولا يكون نبياً، لكن بعد ذلك يتحقق في شخصه نبأ نزول المسيح بن مريم فيدعي أنه هو عيسى الذي وعد بنزوله فكأن هذين الحديثين يدلان على ظهوره بمظهرين؛ مظهر التجديد والإصلاح ومظهر المسيحية. وأن هذا الأسلوب المجازي يعم جميع الأنباء، ولو لم يكن ذلك لاستحال فهمها.

ولو لم نأخذ هذين الحديثين بالمفهوم الذي ذكرناه لاضطررنا إلى قبول أحد الأمرين اللذين أحلاهما مرٌّ؛ فإما أن نقول إن حديث "وَلَا الْمَهْدِيُّ إِلَّا عِيسَى" باطل من أساسه أو أنه ليس المراد من هذا الحديث أن لا وجود منفصلا للمسيح مطلقا وإنما جرت هنا مقارنة بين درجات المسيح والمهدي، وفي هذا الحديث ذُكر أن المهدي الحقيقي هو المسيح، أما مجرد المهدي إزاءه فليس بشيء يذكر، كما يقولون "لا عالم إلا فلان" فليس المراد هنا نفي العلم مطلقا، بل معناه أنه بلغ من العلم ما لم يبلغه غيره. فكلا المعنيين يؤدي إلى نتائج خطيرة، لأن إبطال الحديث بغير سبب أمر خطير جداً، ولا سيما إذا كان الحديث تشهد بصحته الشواهد، هذا وإن القول بأن المهدي ليس بشيء بالنسبة إلى المسيح، يعارض الأحاديث التي تقول بأن المهدي سيكون إماما وأن المسيح سيقتدي به، فإذن لا يمكن إلا

أن نؤول الحديث بأنه يخبر عن شخص سيقوم أولا بإصلاح الناس ثم يعلن أنه هو المسيح الموعود.

في الحقيقة إن عامة الناس قد انخدعوا بكلمة النزول وأخذوها على أن المسيح الأول بنفسه سينزل في الدنيا مرة أخرى، مع أن معناها ليس كما يظن الناس، بل إن لفظ النزول في اللغة العربية يدل على خلق شيء نافع للناس أو على تطور مبارك يؤدي إلى ظهور جلال الله كما يقول الله عز وجل:

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٢٦). ثم قال: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا﴾ (آل عمران: ١٥٥) ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ (الزمر: ٧). كما قال: ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٧).

وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ (البقرة: ٥٨). وقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحديد: ٢٦). وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى: ٢٨).

والآن من البين جداً أن السكينة تتولد في القلب، والنوم فعل الدماغ، وأن الأنعام واللباس والزروع والمنّ والحديد وغيرها من أشياء الدنيا كلُّها تستخرج من الأرض ولم يرها أحد نازلة من السماء ولا يتحقق نزولها الظاهري من القرآن أو الحديث بل إن الله عز وجل يصرح بجلاء ويقول:

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ (فصلت: ١١).

أي أننا أنشأنا على سطح الأرض جبالاً، وخلقنا أمتعة كثيرة وأغذية من كل نوع، وكل ذلك من خلق الأرض وتكوين الأمتعة والحيوانات قد تم في أربعة

مراحل، وإن هذا الأمر سواء لجميع السائلين أي أن هذا الموضوع يتضمن المسائل الطبيعية والدقائق العلمية وإن كان بعضها قد ظهر في هذا العصر وبعضها سوف يظهر في أزمان مقبلة وتنشأ عنها أسئلة متنوعة، لكننا وضعنا هذه الحقائق بصورة تتفق والتطورات العلمية في كل عصر وفي كل طبقة من الناس، وسيجد فيها كل سائل ضالته وطمأنينته.

ومجمل القول أن الأشياء التي ذكرها القرآن بالنزول أو مشتقاته لم تنزل من السماء بل أنبتها الله من هذه الأرض، وعلى ذلك لا تؤول كلمة النزول التي استُعملت للمسيح المقبل إجلالا وتعظيما له، وهي لا تمت إلى النزول من السماء بصلة، كما استعملها القرآن للرسول ﷺ، وجميع المفسرين متفقون على أن المراد منه عظمة النبي ﷺ، وهم في ذلك مضطرون وذلك لأن الجميع يعرفون أنه وُلد في عائلة كبيرة من قريش وأن أباه عبد الله وأمه آمنة، والآية التي وردت فيها كلمة النزول للرسول هي:

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (الطَّلَاق: ١١-١٢).

وما أدعى للاستغراب أن ثمة كلمة واحدة تستعمل للرسول ﷺ وللمسيح عليه السلام، لكنها تفهم بحق المسيح بغير ما يفهم منها للرسول ﷺ. ما دام رسول الله ﷺ قد وُلد في هذه الأرض واستُعملت في حقه كلمة النزول، فلا داعي للاستغراب إذا قلنا إن المراد من نزول المسيح الناصري عليه السلام هو بعثته أو ظهوره.

والشبهة الثالثة هي أن الشخص الآتي قد سُمِّي في الأحاديث عيسى بن مريم، ويتبين من ذلك أنه سينزل بنفسه، لكن المعترضين لا يفكرون بأنه قد أصبح من عادة الناس أن يستعملوا في قصائدهم كلمة عيسى لغير المسيح، إلا أنهم لا يجدونه محلّا للاعتراض، لكنهم يستغربون إذا سمى الله أحدا بعيسى، بل إنهم كل

يوم يصفون شخصا كريما بحاتم الطائي وذا المواهب العلمية بالطوسي وصاحب قوة الاستخراج غير العادية بفخر الدين الرازي، لكنهم يظنون بكلمة ابن مريم ظنونا، فإذا قيل أن ابن مريم يدل على عيسى بعينه، فلماذا لا نقصد بحاتم الطائي والطوسي والرازي أنفسهم؟ فإذا لم نرد بهذه الكلمات أن الشخص المسمى بها هو نفس أمير طيء أو هو ذات العلامة الطوسي الذي كان يسكن في طوس، أو عين الرازي، فلماذا إذن يؤدي استعمال "ابن مريم" إلى الزعم بأنّ الشخص المبعوث في هذا الزمن سيكون نفس عيسى بن مريم النبي الذي بعث قبل تسعة عشر قرنا، هذا وأن الطائي والطوسي والرازي ليست بكلمات تستعمل عادة للمجاز ولكن الله اختص اسم مريم باستعمالها في القرآن للدلالة على وضع خاص من أوضاع المؤمنين كما يقول عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ (التحريم: ١٢-١٣)

فإذا كان الله قد سمى وضعا من أوضاع المؤمنين بمريم ولقّب حالة المؤمن هذه بمريم، كان لقب ابن مريم الذي اختص بموعود هذا العصر راجعا إلى أنه سيترقى تدريجا من حالته المريمية إلى حالته العيسوية، إن أول حياته يكون نزيها ومصونا من كل عيب وآخر حياته يكون كعيسى، مؤيداً بروح القدس وسيبذله في العمل على إصلاح الناس وتثبيت الحقائق في قلوبهم.

وكأنه غدا حرامًا على علماء هذا العصر أن يتدبروا في معاني القرآن ويخوضوا في بحره الزاخر باللآلئ والمعارف، ولو أمعن هؤلاء النظر في العلوم التي قد استنبطها العلماء الروحانيون بالتدبر في القرآن وبالمثل العليا للأنبياء وأحاديثهم ودونوها في كتبهم، لما تعثروا.

يقول الشيخ شهابُ الدين السُّهْرَوَرْدي في كتابه "عوارف المعارف": هناك ولادة غير الولادة البدنية وتسمى الولادة المعنوية، ولتأييد هذا الأمر أورد شاهدا، وهو ليس من أحد غير سيدنا عيسى عليه السلام. فقال:

"يصير المريد جزء الشيخ كما أن الولد جزء الوالد في الولادة الطبعية وتصير هذه الولادة آنفا ولادة معنوية كما ورد من عيسى صلوات الله عليه لن يلج ملكوت السماوات من لم يولد مرتين. فبالولادة الأولى يصير له ارتباط بعالم الملك، وبهذه الولادة يصير له ارتباط بالملكوت. قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٦)" انتهى قول الشيخ.[١]

يتبين مما سبق أن الشيخ شهاب الدين السهروردي يرى من اللازم أن يكون لكل إنسان ولادة معنوية، ويستشهد على ذلك بالقرآن وقول المسيح المعروف، فإذا كانت الولادة المعنوية أمراً لا بد منه ويراها المسيح مبدأ أساسيا للتقدم الروحي فلماذا إذن يكون وجود مثل هذه الولادة محال لمثيل المسيح.

ملخص الكلام أن عودة المسيح إلى الحياة ثانيةً ونزوله الظاهري من السماء يتعارض مع علو ذات الله السامية ويخالف كتابه وينافي عظمة رسوله وأحاديثه. ما أُسست عليه هذه الفكرة ناشئ عن قلة التدبر وضآلة التفكير، والحق عندنا أن النبأ كان يتضمن مجيء شخص من هذه الأمة متصفاً بصفات المسيح، وقد ظهر ذلك الشخص واستمد الكثيرون منه الهدى، واهتدى كثير من الضالين إلى الصراط المستقيم.

إن الاعتراض الرابع الذي يوجه إلينا هو أننا نعتقد أن الوحي والنبوة غير التشريعية لم تنقطع بعد رسول الله ﷺ. إن هذا الاعتراض إما ناشئ عن قلة التدبر أو عن العداء والبغضاء. الحقيقة التي نجهر بها علنا هي أننا لا تهمنا الألفاظ، بل

---

[١] انظر: عوارف المعارف للشيخ شهاب الدين السهروردي ج١ ص٤٥.

نتمسك بكل ما يلائم كرامة الله ورسوله، ولا يمكن أن نفكر ولا لدقيقة واحدة أن هناك شخصا سيأتي بعد النبي ﷺ ويقضي على الرسالة المحمدية ويبتدع شهادتين أو قبلة جديدة وشريعة تنسخ الشريعة الإسلامية أو يخرج الناس عن طاعة الرسول ﷺ إلى طاعته أو يخرج هو بنفسه عن طاعة الرسول ﷺ وينال مكانة روحية مباشرة من غير توسط الرسول ﷺ، إن ظهور مثل هذا الشخص يُبطل الإسلام والوعود التي وعدها الله رسولَ الله ﷺ، لكننا لا نرضى بأن يكون رسول الله ﷺ مانعا لنعم الله ﷻ. ويصبح عقبة في سبيل تقدم العالم بدلا من أن يكون معاونا له وكأنه - والعياذ بالله- لا يصل بالإنسانية إلى ربها بل يحرمها من أسمى درجات التقرب إليه. فكما أن الفكرة الأولى تجتث جذور الإسلام كذلك الفكرة الثانية أخطر هجوم على شخصية الرسول ﷺ، فلا نرضى بالأول منهما كما لا نتحمل الثاني أيضا، إننا نؤمن حق الإيمان بأن رسول الله كان رحمة للعالمين، إننا على يقين تام كما أن هذا الأمر بيّن لكل ذي عينين أنه ﷺ لم يحرم الدنيا من الفيوض السماوية بل بمجيئه زاد فيوض الله غزارة وتدفقًا. وإن كانت تجري من قبل كقناة صغيرة، فالآن كنهر زاخر، لأن العلم قبله لم يبلغ ذروة الكمال، ولا يمكن الحصول على العرفان الحقيقي الكامل إلا بالعلم وهو الآن قد بلغ أوجه.

إن القرآن الكريم يضم بين دفتيه من المعارف ما لم يضمه كتاب من قبل، فالرسول الأعظم ﷺ فتح أبواب المعرفة على مصراعيها ومكّن الناس من الوصول إلى المناصب الروحية التي ما كان لأحد أن ينالها قبله. فإذا لم نعتقد هذا الاعتقاد الجازم فلن تبقى لرسول الله أية أفضلية على غيره من الأنبياء. وبناء على ذلك فإننا نرفض النبوة المباشرة التي تُنال بغير واسطة الرسول ﷺ رفضا باتا، ولذلك نرفض ظهور المسيح الناصري بعينه بعد النبي ﷺ، لكننا لا يسعنا أن ننكر النبوة التي تضاعف عظمة النبي وتزيده سمواً وعلواً.

أيها الملك، جعل الله قلبك مهبط الأنوار وشرح صدرك لقبول الحق. إن الشريعة السالفة لا تُنسخ إلا بالنبوة التشريعية الجديدة التي تُنال مباشرة من الله ومن دون توسط النبي السالف، أما النبوة التي تُستمد من إفاضة واتباع النبي السابق وتهدف إلى نشر شريعة النبي السابق وتعمل على دعم عظمته وكرامته، فهذه النبوة لا تهين النبي السابق بل هي مظهر رائع لتكريمه واحترامه للنبوة السابقة، وإن هذا النوع من النبوة كما بين القرآن والحديث والعقل السليم يمكن أن ينالها أبناء هذه الأمة، فلولا هذه النبوة لما بقي لهذه الأمة من فضيلة على غيرها من الأمم.

يقول رسول الله ﷺ بأنه ظهر كثير من المحدَّثين في الأمة الموسوية أيضا[1]، فلو كانت نبوة رسول الله ﷺ وقوته القدسية لا ترقى بالإنسان إلا إلى مقام المحدَّثية فقط، فما وجه تفضيله على سائر الأنبياء ووصفه بسيد ولد آدم وإمام الأنبياء، إن لقب خير الرسل يقتضي وجود فضائل لم تعهد فيمن سلف من الأنبياء، ونؤمن بأن محمداً ﷺ وحده، يتمتع بميزة عظيمة وهي أن أتباعه ينالون بفضل قوته القدسية مراتب النبوة، أما أتباع الأنبياء السابقين فلم يكونوا يجتازون بقوتهم القدسية إلا مقام المحدثية، وهذه القوة القدسية المنقطعة النظير للنبي ﷺ هي التي تأسر قلوب المؤمنين وتغمرها حباً وعشقاً لرسول الله ﷺ.

فلو كان رسول الله قد ألغى هذه النبوة أيضا، لكان مجيئه عذاباً ونقمة ولصار القرآن معطلاً لا يعود على العالم بفائدة، لأن ذلك يدفعنا إلى القول: كان الإنسان ينال قبل رسول الله ﷺ أعلى الدرجات الروحانية، لكنه حرم من هذه النعمة السماوية، وأن الكتب السماوية قبل القرآن كانت تساعد على التمتع بدرجة النبوة أي كانت تصل بالإنسان إلى مكانة يستحق بها أن ينتخبه الله ليربيه

[1] صحيح البخاري، كتاب المناقب.

لمقام النبوة. لكن من هذا المنطلق فإن الإنسان لا يبلغ هذه الدرجة إذا عمل بالقرآن، فلو كان هذا هو الواقع، لذابت قلوب الصادقين من عباد الله حزنا وتحطمت نفوسهم من هذه الفجيعة، لأنهم كانوا مطمئنين ببعثة رحمة للعالمين وسيد الأنبياء أجمعين لأن باب التقدم الروحي قد فُتح لهم على مصراعيه وسوف يتسنّى لهم الآن أن يصبحوا أقرب ما يمكن لهم من حبيبهم رب العالمين، ولكن تبددت آمالهم إذ سد الرسول ما كان مفتوحاً من قبل والعياذ بالله.

فهل أحد من المؤمنين يدع هذا الوسواس ليجد إلى قلبه سبيلا ولو للحظة واحدة؟ وهل من عشاق الرسول من يستطيع أن يستسيغ هذه الفكرة ولو لأقصر فترة؟

والله كان محمد رسول الله ﷺ بحراً زاخراً للبَرَكة وكان للتطور الروحي سماء لم يستطع أحد إدراك سعتها. وهو لم يسد أبواب رحمة الله بل فتحها، وإن الفارق بينه وبين من سلف من الأنبياء هو أن تلامذتهم كانوا ينالون مجرد المحدثية، ولنيل مقام النبوة كان من المتحتم أن يتلقوا تربية خاصة، لكن ببركة تلمذة حضرته ﷺ يمكن للإنسان أن ينال مقام النبوة مع بقائه في أمته، ومهما تقدم لا يمكنه التحرر من نير طاعته. وإن علو مرتبته لا يعتقه من أن يُسمّى "أُمّتيًّا" بل إنه يزداد عليه عبء إحساناته ﷺ بقدر سمو مقامه، لأنه بلغ من القرب إلى الله ما لم يبلغه أحد من العالمين وسما إلى مكانة لم تعد بمتناول أحد من الناس وأنه لا يزال في تقدم مستمر يقصر عن إدراكه العقل، فإن أمته تقدمت بتقدمه وازدهرت بازدهاره.

إن مكانة رسول الله العليا التي استعرضناها آنفا تدفعنا إلى الاعتقاد ببقاء هذا النوع من النبوة، لأن كرامته منوطة بها ولأن انقطاعها يمس بشرفه وينال منه منالا خطيرا. من لا يدرك أن عبقرية التلميذ تدل على عبقرية الأستاذ، وأن الإمبراطور العظيم هو مَن ينقاد له كبار الملوك، فإن كان تلامذة أحد من الأساتذة على مستوى منحط فليس بأستاذ نابغة، وإن كانت حاشية ملك من الدرجة الوطيئة

فليس بملك عظيم. إن العاهل يملك أسمى مكانة دنيوية فكذلك النبي الذي يورث أتباعه النبوة دون أن يخرجوا من أمته هو يتمتع بمكانة أسمى من غيره من الأنبياء.

الحق أن الخطأ الذي وقع فيه المسلمون اليوم – أقول اليوم لأن كتب السلف الصالح كمحيي الدين بن عربي والملا علي القاري والعلامة ابن القيّم وجلال الدين الرومي ومكتوبات مجدد القرن الحادي عشر الشيخ أحمد السرهندي تعارض هذه العقيدة– يرجع إلى خطئهم في تحديدهم معنى النبوة لأنهم يظنون أن النبي لا بد أن يأتي بشريعة جديدة أو ينسخ بعض أحكام الشريعة السابقة أو يكون خارجا عن طاعة نبي قبله. لكن الواقع أن هذه الأمور ليست ضرورية للنبي بل يمكن أن يكون تابعا لأحد هذه الأقسام الثلاثة أو لا يكون على صلة بها، أيْ يمكن أن لا يأتي بكتاب جديد ولا ينسخ ولا أمرا واحدا من الشريعة السابقة ولا ينال النبوة مباشرة، ومع ذلك يكون نبيا، لأن النبوة درجة خاصة من درجات القرب، فإذا تشرف بها أحد، كان من واجبه أن يقوم بإصلاح الناس ويدعوهم إلى الله وينفخ الحياة في قلوبهم الميتة وينضّر الأرض الجدباء ويبلغ للناس ما نزل عليه من كلام الله لهدايتهم ويؤسس جماعة تقف على نشر دعوة الحق، وتعمل في ضوء أسوته على إصلاح نفسها وتقويم أعمالها.

وقصارى القول، إن خطأ انقطاع النبوة قد نشأ عن الخطأ في فهم معنى النبوة، وإلا فإن بعض أقسام النبوة تضاعف مكانة النبي ولا تنال منها شيئا، يقولون إن القرآن يسد باب النبوة بعد النبي ﷺ لأنه يقول:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤١)، فلا نبي بعده ولا رسول. لكن هؤلاء المعترضين لا يفكرون في القرآن ولا ينظرون إلى أن الخاتَم في القرآن ورد بفتح التاء ليس بكسره ومعناه الآلة التي يختم بها وليس الإنهاء. الخاتم يثبَّت للتصديق، فمعنى الآية إذن أنه ﷺ هو آلة

الختم التي ختم الله بها جميع النبيين، كما يقول الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في معنى هذه الآية، معتمداً في ذلك على عدة أحاديث تدل على أنه كان على جسم الرسول ﷺ علامة الختم.

ليت الناس فكروا في القرآن ولم يتخبطوا في الاشتباهات، ولو عرفوا أنه ما هو الأمر المهم الذي يهدف إليه القرآن بهذه الآية، لأدركوا أن هذه الآية تصرح بأن محمدا ﷺ ليس بأبٍ لأحد منكم، ثم عقب ذلك أورد: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ ومن البين جدا أن "لكن" تستعمل للاستدراك، وأيضا لا يخفى على مسلم أن الأمر الذي يثير الشك هنا هو قوله في سورة الكوثر: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ٤).

أي أن عدوك هو الذي سيكون أبتر ولست أنت، لكن أقر هنا بأنه لم يكن أبا أحد من الرجال، فرد الله سبحانه وتعالى على هذه الشبهة، وقال بأن رسول الله ليس أبتر وإن لم يكن أبا لأحد من الرجال من الناحية الجسمانية، لأنه "رسول الله" وإن نسله الروحاني لن ينقطع إلى يوم القيامة، ثم ما اكتفى بذلك، بل قال مضيفا إلى تقدمه وازدهاره:

كان ﴿خَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ أي أنه لم يكن مجرد أب للمؤمنين، بل إنه أبو الأنبياء جميعهم وخاتمهم الذي يصدقهم ويمنح النبوة لمن يشاء من أمته.

فملخص القول أن هذه الآية لا تحظر النبوة التي ذكرناها آنفا ولكنها تنفي النبوة التشريعية أو النبوة المباشرة لأن هذا القسم من النبوة ينافي الأبوة الروحانية له التي أقرتها هذه الآية.

ويقال أيضا إن رسول الله يقول: "فإني آخر الأنبياء"[1] وكذلك قال: لا نبي بعدي[2]، ويقولون بأنه لا يمكن أن يأتي نبي من أي نوع بحسب هذين الحديثين،

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الحج

[2] صحيح مسلم، كتاب الإمارة

لكن من المؤسف أن هؤلاء يأخذون بالعبارة "آخر الأنبياء" ولا يلتفتون إلى ما ورد في الحديث نفسه في صحيح مسلم: "وَإِنَّ مَسْجِدِي آخِرُ الْمَسَاجِدِ"[١]. فلو كان معنى آخر الأنبياء، أنه لن يأتي بعده نبي من أي نوع لدل "آخر المساجد" على أنه لا يُسمح ببناء مسجد بعد المسجد النبوي، لكن الذين يستدلون بقوله ﷺ "فإني آخر الأنبياء" على انتهاء النبوة على الاطلاق، فإنهم على الرغم من وجود العبارة "وإن مسجدي آخر المساجد" ما برحوا مندفعين نحو بناء المساجد التي كثرت إلى درجة أدت إلى خراب بعضها وتجد في الحي نفسه مساجد كثيرة. فلو كان مجيء آخر الأنبياء يعني إنهاء النبوة على الاطلاق لكان من المستحيل أيضا أن يكون هناك مسجد آخر بعد مسجد النبي.

يجاب على ذلك بأن هذه المساجد كلها أيضا لرسول الله ﷺ لأن طريق العبادة الذي لأجله أسس مسجد رسول الله ﷺ هو نفس طريق العبادة في هذه المساجد، فإنها لا تغايره، لأنها تابعة له كالظل، ولذا لا تنافي كونه آخر المساجد. إن هذا الجواب صحيح، كذلك نقول بأن رسول الله رغم كونه آخر الأنبياء لا يعارض مجيء أظلاله من الأنبياء الذين لا يأتون بشريعة جديدة بل هم خاضعون لشريعته ﷺ، ولا يبعثون إلا لنشر دينه وإحياء شريعته ويستمدون كل فضل من سيدهم ومولاهم محمد رسول الله، فإن أمثال هؤلاء الأنبياء لا ينافون كونه آخر الأنبياء كما لا تنافي هذه المساجد كون مسجده آخر المساجد.

هذا وإن حديث "لا نبي بعدي" أيضا لا يدل على نفي النبوة مطلقا بل يهدف إلى نفي النبوة الناسخة لشريعة محمد، لأن النبوة المرتبطة بـ"بعد"، لن تبدأ إلا بعد انتهاء ما قبلها، فالنبي الذي يأتي مصدقا لرسالة محمد لا يُعتبر نبيا بعد النبي ﷺ لأنه داخل نبوته. ولن يعتبر "بعده" إلا إذا نسخ حكما من أحكام شريعته. ومن

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الحج

الحصافة أن يتدبر الإنسان في الموضوع كله حتى يدرك حقيقته ولعل هؤلاء هم الذين عنتهم عائشة بقولها بشأنه ﷺ: "قولوا خاتم النبيين، ولا تقولوا لا نبي بعده".[١]

لو اعتقدت عائشة بنفي النبوة على وجه الإطلاق لما منعتهم من القول "لا نبي بعده". وإن لم يكن قولها صحيحا فلماذا لم يقاطعها الصحابة ﷺ، إن نهي عائشة عن قول "لا نبي بعده" إن دل على شيء فإنما يدل على أنها كانت تعتقد بأنه يمكن أن يأتي نبيٌّ بعد رسول الله ﷺ، ولكن لا يمكن أن يُبعث نبي يأتي بالشريعة أو يكون مستقلًّا خارجًا عن طاعة النبي ﷺ. وإن سكوت الصحابة على قولها يؤكد بأنهم كانوا يرون رأيها.

من المؤسف جدا أن الناس لا يفكرون في القرآن فيَضلون ويُضلون الآخرين. ثم إننا نبدي مزيد الأسف على الذين يستاؤون من الذين لا يَضلون مثلهم ويعتبرونهم الملاحدة الكفرة، لكن المؤمن لا يبالي بسخط الناس وإنما يخاف سخط الله وحده، فالإنسان لا يستطيع أن يضر أحدًا بشيء. وغاية ما يستطيع أن يلحق الضرر بأحد هو أن يقضي عليه، والمؤمن لا يخاف الموت. وذلك لأن الموت بالنسبة له إنما هو وسيلة للقاء حبيبه جلّ شأنه. ليت الناس فكروا في القرآن وعرفوا أنه كنز لا يعرف الحدود وذخيرة لا يخاف عليها من النفاذ، وهو يسد حاجات الإنسان جمعاء ويتضمن من السبل الكفيلة للتقدم الروحي ما لم تتضمنه الكتب السابقة عُشر معشاره، ولو عرفوا ذلك لما ارتضوا بحالتهم، بل مضوا للتقرب إلى الله، ولو عرفوا أهمية إصلاح القلوب مقابل الكلمات الرنانة لما اقتنعوا بالعلوم الظاهرية، بل سعوا للاتصال بخالقهم. ولو نشأت هذه الرغبة في قلوبهم لأدت بهم إلى أن يتحروا السبل التي قد فتحها القرآن لتطورهم ورقيهم، ولعلموا آنذاك أن ما تشبثوا به إنما هو ظاهر القشور وأن ما تهافتوا عليه هو كأس

---

[١] الدر المنثور للسيوطي: ج٦، سورة الأحزاب، قوله: "وخاتم النبيين".

فارغة ليس إلا. وما لهؤلاء يقرؤون الفاتحة ولا تنشأ لديهم رغبة في نيل الإنعامات التي تبينها هذه السورة؟ إنهم يرددون "اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم" خمسين مرة في في الليل والنهار ولكن لا يخطر بباهم ولا مرة واحدة ما هي النعمة التي يطلبونها. ولو أنهم صلوا الصلاة مرة واحدة مدركين معانيها ومفهومها لانبثقت لديهم رغبة عارمة في معرفة المراد من "الصراط المستقيم" و "صراط الذين أنعمت عليهم"، فالتفتوا إلى قوله ﷻ:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (النساء: ٦٧-٧١)

يتبين من هذه الآيات أن الاهتداء إلى جماعة المنعم عليهم تعني الانضمام إلى طائفة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فإذا كان الله قد علمنا عن طريق رسوله أن نقرأ كل يوم "اهدنا الصراط المستقيم" أربعين مرة تقريبا، وشرح لنا بنفسه أن ذلك الصراط المستقيم هو انضمام الإنسان إلى طائفة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فكيف يمكن إذن أن يحجب باب النبوة عن الأمة المسلمة على الإطلاق، أليس ذلك من المضحك؟ أوَليس الله أسمى من الاستهزاء؟ وهل من الممكن أنه ﷻ من ناحية يوصينا أن نطلب منه سبحانه وتعالى إنعامات الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ومن ناحية أخرى يقول علنا والعياذ بالله- إنني حَرمت عليكم هذه النعمة إلى الأبد؟ حاشا وكلا! إن الله ﷻ أسمى وأعلى من كل عيب ومنزه من كل سوء، فلو كان ﷻ قد حرم علينا هذه النعمة لما علَّمنا في سورة الفاتحة الدعاء لهداية صراط المنعم عليهم، وما شرح لنا هذا الصراط بأن اتباع هذا النبي يشرف الإنسان بالنبوة.

يقال إن ما ورد في آية النساء هو ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ وليس "من الذين أنعم عليهم"، فإن المراد منه بأن بعض أفراد هذه الأمة سوف يكونون مع الأنبياء ولن يكونوا من جنس الأنبياء، لكن هؤلاء المعترضين لا ينتبهون إلى أن هذه الآية لا تذكر الأنبياء فقط بل تتضمن الصديقين والشهداء والصالحين أيضا، فلو سلَّمنا بالمعنى الذي أرادوه لـ"مع" في هذه الآية لاضطررنا إلى القول بأنه لن يكون في هذه الأمة صِديقٌ بل يكون البعض مع الصديقين، ولن يكون شهيدٌ بل يكون البعض مع الشهداء ولا يكون صالحٌ بل يكون البعض مع الصالحين، أو بتعبير آخر إن هذه الأمة بأسرها تكون منحطة لدرجة أن جميع أفرادها سيُحرمون من جلّ مدارج الصلاح والتقوى سيكونون في هذه الإنعامات مع الناس من الأمم الأخرى. ولكن هل من أحد من المسلمين يخيل ذلك إلى نفسه؟ ما أعظمها من مهانة وما أشدها من ذلة للإسلام والقرآن ورسول الله ﷺ إذا لم يكن أحد من أمته صالحا، بل يتطفل أتباعه على الصالحين.

والملخص أننا إذا اعتبرنا سلسلة النبوة مقطوعة بسبب استعمال كلمة "مع" فبسببها ستكون الأمة الإسلامية عاطلة من الصديقية والشهادة والصلاح.

إن الحقيقة التي لا غبار عليها من الشك هي أن "مع" لا يكون دائما بمعنى مجرد المصاحبة لشيئين في مكان أو زمان بل أحيانا تعني الاشتراك والمساهمة في المنصب كما يقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء: ١٤٦-١٤٧).

ولقد ضم الله في هذه الآية التائبين المخلصين المعتصمين بالله تعالى إلى طائفة المؤمنين واستعمل لهذا الضم والاستحقاق كلمة "مع" فلو كان "مع" هنا بمجرد

المصاحبة، لما أصبح هؤلاء رغم توبتهم وإخلاصهم واعتصامهم بالله من المؤمنين وإنما يكونون مع المؤمنين فقط، وهو باطل بالبداهة. فإن "مع" أحيانا تدل على الاشتراك في المنزلة، وهذا ما عُني به في الآية ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ....﴾.

ويتبين من مواضع أخرى من القرآن أن باب النبوة التي هي ظل لنبوة رسول الله ﷺ ووسيلة لنشرها وثمرة الانقياد والطاعة له ﷺ، لمفتوح على مصراعيه، كما يقول الله تعالى خلال ذكر الرسول وأمته ﷺ:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * يَا بَنِي آَدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأعراف: ٣٤-٣٦).

ويتبين من هذه الآيات جليا أن الأنبياء سيبعثون من هذه الأمة أيضا، لأن الله تعالى يذكّر هنا الأمة الإسلامية بأن الأنبياء إن بعثوا إليكم فعليكم أن تؤمنوا بهم وإلا تكونون عرضة للآلام والمصائب.

ولا يصح أن يقال هنا بأن "إما" للشرط، إذ أن الكلمة نفسها قد وردت في القرآن الكريم عن بعثة الأنبياء بعد آدم أيضا. وحتى لو سلّمنا أن "إما" للشرط فإنها تدل على أن النبوة ليست منقطعة عند الله، لأن ذلك ينافي عظمة الله أن يحظر شيئا أولا ثم يبينه ولو بصورة الشرط.

وعلاوة على شواهد القرآن الحكيم يتبين من أحاديث الرسول ﷺ أيضا أن باب النبوة ليس بمسدود مطلقا، لأنه ذكر المسيح الموعود بصفة النبي مرارا،[1] ولو لم يكن وجود النبوة ممكنا قط لما وصف النبي المسيح بصفة النبي.

[1] صحيح مسلم، كتاب الفتن.

الأمر الرابع الذي يثار ضدنا هو أننا ننكر الجهاد. إنني أستغرب بشدة كيف يستسيغ الإنسان الكذب إلى هذه الدرجة، لأن القول بأننا نرفض الجهاد افتراء وبهتان عظيم، لأن الجهاد عندنا عنصر هام من عناصر الإيمان، بل إن الانهيار العام الذي أصاب الإسلام والمسلمين والضعف والخور الذي دعا إلى حرمانهم من الإيمان لا يرجع إلا إلى تهاونهم في الجهاد. فاتهامنا بإهمال الجهاد افتراء ليس إلا، كيف يمكن ذلك والقرآن يؤكد لنا بالجهاد في عشرات من الآيات، فنحن بصفتنا مسلمين مؤمنين بالقرآن الكريم، لا يمكن أن ننكر الجهاد لكن الأمر الذي نقاومه أشد المقاومة هو أن تستباح إثارة الفتنة وسفك الدماء والغدر والسرقة والنهب باسم الإسلام لأن ذلك مما يشوه وجه الإسلام الأغر. ولسنا لنصبر على أن تعيث يد التلاعب في أحكام الإسلام لنيل المطامع والأهواء والمصالح الشخصية. مجمل القول لسنا ممن ينكر الجهاد، بل إننا نعارض من يسمي الظلم والعدوان بالجهاد أشد المعارضة.

أيها الملك، لعلك على علم بمدى الاستياء والغضب الذي يبديه المحب إذا عاب أحدٌ حبيبه، وعلى ذلك فنشكو إلى الله أولئك الذي يسيئون إلى الإسلام وهم ينتمون إليه، ويعادونه وهم ينتحلون اسمه. إن العالم اليوم يرى الإسلام دينا لا يعرف إلى الحضارة والثقافة سبيلا ويعتقد أن نبي الإسلام لم يكن إلا ملكا جباراً، هل لأنهم رأوا في حياة الرسول أمرا يخالف التقاة والصدق؟ كلا، بل إن أعمال المسلمين اليوم قد دفعتهم إلى هذه المزاعم التي لا تكاد تفارقهم. وعندي أن من أخطر المظالم التي جناها المسلمون ضد الرسول – الذي كان رحمة للعالمين وما كان يتحمل أن يؤذى حتى الحيوان الحقير كالنمل– هو أنهم قدموا لأعداء الإسلام شخصية الرسول بصورة جعلتهم ينفرون منه وأغرت نفوسهم عليه حقداً وعداء.

إن النداء بالجهاد يغمرنا من كل حدب وصوب، لكن لاحظوا الفرق بين الجهاد الذي كان الله ورسوله يدعوان إليه وبين الجهاد الذي يدعو إليه الناس اليوم! إن الجهاد الذي يدعو إليه القرآن هو:

﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ (الفرقان: ٥٣).

هل المسلمون اليوم يدعون إلى هذا الجهاد؟ ومن منهم يحمل القرآن ويبارز الكفار بهذا الجهاد، أليس في الإسلام والقرآن كفاءة ذاتية تجذب بها الناس إليهما، فإذا كان الأمر كذلك، فما الدليل على صدق الإسلام؟ من المعلوم أن كلمات الناس لتخلب قلوب الآخرين، فهل كلام الله فقط هو الذي لا يحظى بأي تأثير تُفتح به القلوب فيحتاج إلى سيف يرغم به الناس على قبوله؟ لكننا لم نر حتى اليوم أن القلوب خضعت للسيوف، والإسلام يلعن اعتناق الدين خوفاً وطمعا كما يقول الله عز وجل:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (المنافقون: ٢).

لو كان الجهاد بالسيف جائزا لأجل نشر الإسلام لما ذكر الله بهذه الكلمات مَن أسلموا ظاهرًا بيد أنهم كانوا منافقين، لأنهم في هذه الحالة لا بد أن يكونوا ثمرة تعاليم القرآن التي تأمر -والعياذ بالله- بنشر الإسلام بالسيف، فمَن يظن أنه يستطيع أن يؤلف جماعة من المخلصين بواسطة السيف. إذن مِن الخطأ البين الزعم أن الإسلام يأمر بإدخال الناس إليه من الأديان الأخرى عنوة بحد السيف، بل الحق أن الإسلام هو أول دين يقر بحرية العقيدة كما قال الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٧)

فلكل شخص حق التحديد لعقيدته بالدلائل، وكذلك يقول عز وعلا:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩١)

فإذا كان الإسلام لا يأمر بالمحاربة الدينية إلا ضد الذين يحاربون المسلمين على أساس الاختلاف الديني ويريدون أن يردوهم عن دينهم جبرا وعنوة، وضد هؤلاء المحاربين أيضا يؤكد بعدم الاعتداء عليهم، وليس هذا فحسب بل يأمر بترك محاربتهم إذا انتهوا عن العدوان، فكيف لأحد أن يزعم بأن الإسلام يحارب غير المسلمين لأجل نشر دين الإسلام، إن الله عَزَّوَجَلَّ يأمر بالمحاربة دفاعاً عن جميع الأديان وليس للقضاء عليها، كما يقول:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠-٤١).

ما أدل هذه الآيات على أن الحروب الدينية لا تجوز إلا ضد من يمنع من القول ﴿رَبُّنَا اللهُ﴾ أي يتدخل في الدين، وأن مثل هذه الحروب لا تهدف إلى هدم المعابد والكنائس ولا إلى إكراه غير المسلمين على ترك دينهم أو إلى قتلهم، بل إنها ترمي إلى الدفاع عن سائر الملل والأديان والحفاظ على معابدها، وهذه الغاية هي التي تتفق وتعاليم الإسلام؛ لأن الإسلام إنما جاء شاهدا ومحافظا على كرامة بني الإنسان وحريتهم، ولم يجئ جباراً ظالما.

قصارى القول إن الجهاد الذي أجازه الإسلام هو محاربة من يرغم المسلمين على الارتداد عن الإسلام أو يستعمل القوة لصد الناس عنه. أو يقتل الناس لمجرد اعتناقهم للإسلام، فمحاربة أحد لغير هذه الجرائم لا تجوز مطلقا. أما الحروب السياسية والوطنية فلا تخضع لهذه القيود، ويمكن أن تقع حتى بين طائفتين إسلاميتين.

إن الحرب الوحشية التي لا تعدو أن تكون غارات إرهابية تسفك الدماء لسوء الحظ هي دخيلة على الإسلام من قبل الأديان الأخرى، وإلا فإنها لا تمت إلى الإسلام بصلة، وأعظم مسئول عن نشر هذه العقيدة هم المسيحيون الذين هم اليوم أشد أعداء الإسلام اعتراضا على ذلك. وكانت هذه الحروب الدينية سائدة في القرون الوسطى حيث صارت أوروبا جمعاء منهمكة في هذا النوع من الحروب. فكان هؤلاء المسيحيون يشنون الغارات على حدود البلاد الإسلامية من جهة، ويهاجمون الشعوب الأوروبية غير المسيحية من جهة أخرى، وكانوا يرون هذه الهجمات الوحشية مدعاة لمرضاة الله وتقربه. يظهر أن الرجل الغضبان كما يفقد العقل كذلك المسلمون قلدوا المسيحيين في شدة غضبهم وأخذوا يُغيرون مثل غاراتهم، وفي نهاية المطاف نسوا التعاليم الإسلامية كليا، حتى بدا المسيحيون الذين كان المسلمون قد تعلموا منهم هذه الحركات الإرهابية يتهمونهم بها. لكن من المؤسف جداً أن المسلمين رغم هذه التهم الشديدة لا يُدركون الحقيقة، إن أعداء الإسلام في العالم كله يستعملون ضده هذا السلاح لكن مع ذلك لا تتفتح أبصار المسلمين، ولا يزالون يقدمون السيف للأعداء لكي يهاجموا الإسلام. ولا يتنبهون إلى أن هذه الغارات الوحشية التي تسمى بالجهاد، لا تجدي الإسلام نفعا. بل بالعكس هي تضره أضرارا بالغة، فأيُّ القوات في العالم انتصرت بهذا السلاح؟ إن الكثرة بمفردها لا تغني في الحرب شيئا بل إن الفنون الحربية والتدريبات العسكرية والنظام القوي المحكم والعتاد الحربي والحماس البالغ ومناصرة الأمم الأخرى، كل ذلك يلعب دوراً حاسماً، وبهذه الأمور يمكن أن تهزم بعض الشعوب القليلة عددا من الحكومات الكبيرة، وبدونها تكون الجيوش الكبيرة عديمة الجدوى. فكان على المسلمين أن يستنفدوا جهودهم لاتخاذ هذه الوسائل الحيوية بدلا من أن يُسيئوا إلى الإسلام بهذا الجهاد المزعوم فيخسروا أنفسهم، لأن الأمم إذا تبين لها أن

أمة ما تحارب حربا دنيوية تحت ستار الدين، تألبت عليها مجتمعة، لأنها تحس من قبل تلك الأمة خطراً يقلق حتى أعدل الدول جمعاء وتتوجس منها كل أمة خيفة وحذراً، لأنها تعرف يقينا أنها مهما أحسنت معاملتها مع تلك الحكومة الدينية، لا يمكن أن تأمن منها، لأن تلك الحكومة الدينية لا تحارب لأجل كراهية الظلم والعدوان بل إنها تحارب على أساس الخلافات الدينية.

قصارى القول إننا لا ننكر الجهاد، وإنما نخالف معناه الخاطئ الذي يُسيء إلى الإسلام اليوم إساءة بالغة، وإننا نرى أن نهضة المسلمين تتوقف على فهم هذا الأمر فهما صحيحا، ذلك أنهم لو تبينوا أن الجهاد الكبير هو بالقرآن لا بالسيف ولو أدركوا أن الاختلاف الديني لا يبيح نفس أحد وماله وعرضه[1]، لحدثت في قلوبهم تطورات توجههم نحو الصراط المستقيم، وبعملهم حسب قول الله ﷻ تعلّموا أسس الرقي والتطور الأصيلة وعملوا بها: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١٩٠).

يا ملك أفغانستان، كما أن اسمك يشير إلى الأمان، ندعو الله تعالى أن يستتب الأمن بسببك في بلد أفغانستان والمناطق المجاورة للحدود. قد بينت لك معتقدات الجماعة الإسلامية الأحمدية الأساسية والاعتراضات الواردة والرد عليها، والآن أريد أن ألم بدعوى ميرزا غلام أحمد مؤسس الجماعة، وأوضح الأدلة التي تستند إليها هذه الدعوى كي أكون بريئاً عند الله من عدم تبليغ رسالته، ولكي تطّلع عليها وتسعى للعمل بها وترث فضل الله وتستحق حبه عز وعلا.

---

[1] ﴿فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: ٩١) ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (البقرة: ١٩١) ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة: ٩)

دعوى سيدنا ميرزا غلام أحمد عليه الصلاة والسلام

كانت دعوى حضرته بأن الله تعالى قد بعثه لهداية خلق الله وإرشاده، وأنه هو ذلك المسيح الذي وعد بظهوره في الأحاديث، وأنه هو المهدي الذي تنبأ ببعثته سيدنا ومولانا محمد ﷺ، وأنه هو محقق جميع الأنباء الواردة في كتب الأديان المختلفة عن ظهور مصلح في آخر الأزمان، وأن الله تعالى قد بعثه لأجل تأييد الإسلام، ووهبه فهم القرآن ودرايته، وفتح عليه معارفه وحقائقه، وأطلعه على سبل التقوى الدقيقة، وفوض إليه مهمة إظهار مكانة الرسول ﷺ وعظمته، وإظهار الإسلام على الأديان كلها، وأنه أرسله إلى العالم لكي يخبر أهله بأن الله تعالى يحب الإسلام ورسول الإسلام محمدًا ﷺ وأنه لا يحب أن يظل الناس نائمين عنهما غافلين.

كذلك كان من دعاوى حضرته عليه السلام: لما كان رسول الله ﷺ قد بُعث إلى أمم الدنيا كلها، وبما أنه كان من مشيئة الله عز وجل أن يجمع جميع الشعوب والملل على يده، فلذلك جعل الله الأئمة السلف من جميع الأديان يتنبئون ببعثة ثانية في الزمن الأخير لنبي ممن خلا من الأديان، لكيلا تحول العصبية الدينية دون الإيمان بخاتم النبيين ﷺ، وكانت هذه الأنباء في الواقع تخبر بمصلح من أمة محمد ﷺ ليجمع سائر الأديان على يده بعد أن يكون وجوده مصدقا للرسول الأعظم ﷺ، فتحققت هذه الأنباء بوجوده، فكان حضرته مسيحا للنصارى واليهود و"مسيودر بهمي" للزرادشتيين، وكرشنا للهندوس، لكي يتحقق ويتبين صدقه لسائر الملل من كتبها السماوية ويحملوا نير اتباع الرسول ﷺ.

الأدلة على صدق دعواه

وأرى من الأنسب -بعد أن أوجزت دعواه- أن أسوق بعض الحقائق المبدئية التي تتكون منها الدلائل على صدق المرسلين من الله، وألقي بها ضوءًا على دعوى

حضرة المؤسس عليه السلام، لأنه إذا ثبت في الواقع كون أحد مرسَلا من الله، وجب الإيمان بجميع دعاويه، لأن العقل السليم لا يمكن أن يقتنع بكون أحدٍ مرسلاً من ربه وخادعا للناس في نفس الوقت ومُبعدهم عن الله أيضا، ولو صح ذلك، لكان تهمة كبرى بعلم الله عز وعلا، وتحقق بذلك - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- أنه أخطأ في انتخابه خطأ فاحشا وأنه اصطفى للنبوة من كان باطنه أفسد ما يكون وإنما كان يبتغي العزة والكبرياء لنفسه دون أن ينشر الحق، وكان يؤثر نفسه على الله عز وعلا.

وعلاوة على كون مثل هذه العقيدة مخالفة للعقل السليم، يكذبه القرآن الحكيم تكذيبا بيّنا، إذ يقول الله فيه:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ٨٠).

وقصارى القول أن السؤال المهم هو: هل المرسل صادق في دعواه أم لا؟ فإذا تحقق صدقه تحققت بذلك جميع دعاويه أيضا، وإذا لم يتحقق صدقه، كان البحث عن دعاويه عبثاً.

فطبقا لهذا المبدأ أريد أن أقدم دعوى حضرة المؤسس عليه السلام وأدلة صدقها التي بيّنها لكي تطلع عليها والتي قد صدّقه مئات الألوف من الناس حتى اليوم وآمنوا به بناء عليها.

الدليل الأول: حاجة العصر

إن أول دليل تتحقق بها نبوة مرسل هو حاجة العصر، ومن سنة الله أنه لا يعمل عملا في غير محله وفي غير أوانه، ولا يُنزل شيئا إذا لم يكن ثمة حاجة ملحة لنزوله، ولا يمسك شيئا تدعو إليه الضرورة الحقيقية. ولا شيء من ضرورات الإنسان الجسدية حتى أصغرها إلا وقد هيأها الله له، وإذا كان اهتمامه ﷻ بضرورات الإنسان الجسمانية قد بلغ هذا المبلغ من الدقة، كان مما يتنافى مع علو مكانته وسمو ذاته أن يصرف النظر عن حاجته الروحية، ولا يهتم بسدها مع أن الجسم معرّض للفناء ولوازمه مؤقتة وتقدمه محدود، لكن الروح بعكس ذلك قد كتب لها الخلود وإن ضروراتها قد تتجاوز مدى الزمن كما أن مسالك تقدمها تتعدى نطاق العقل.

كل من يتعمق في صفات الله ﷻ في ضوء العلم الذي يُنال من القرآن الكريم لا يسعه إلا أن يعترف بأنه من المستحيل أن يكون العالم بحاجة إلى مصلح، ولا يبعث الله أحداً، يقول الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الدخان: ٣٩ — ٤٠)

والحق أن بني البشر كلما أصابهم تدهور روحاني وانبعثت حاجة إلى مصلح، بعث الله من ينقذهم ويهديهم إلى الصراط المستقيم ويزيل ضعفهم الروحاني.

وإنه من المستحيل عقلا أيضا نظرا إلى صفات الله تعالى أن يخذل عباده عند الضرورة، وقد بيّن الله تعالى هذا الموضوع في القرآن الكريم بصراحة تامة إذ يقول: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ (الحجر: ٢٢) أي إننا نُنزل كل شيء حسب مقتضى الضرورة، وإن أفعالنا ليست بلا حكمة، وليست يدنا مغلولة حتى لا نتمكن من إنزاله عند الضرورة، كذلك يقول:

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (إبراهيم: ٣٥) والمراد بالسؤال في هذه الآية أن الله ﷻ إنما يعطي الإنسان حاجته الحقيقية ولا يعطيه كل ما يطلب، غير أنه تعالى يمنحه كل ما تقتضيه الفطرة الإنسانية من الحاجات أو كل ما تتأثر به حياته الأبدية. هذا هو القانون العام ولكنه ﷻ يقول بوجه خاص عن إرشاد الناس وتوجيههم إلى الحق بالذكر، ويصرح بأن الناس عندما يحتاجون إلى الهدى يسهل لهم طرق الاهتداء بالضرورة، بل إنه فرض ذلك على نفسه، ولم يرض في ذلك شريكا كما يقول: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (الليل: ١٣) إن القرآن الكريم لا يتناول أهمية إرشاد الناس طبقا لمقتضيات كل عصر فقط بل يبين أن الله ﷻ لو لم يضع نظاما خاصًّا لهداية الناس لكان من حقهم أن يعترضوا عليه ويقولوا يوم القيامة: لماذا يعاقبهم الله ولم يرسل إليهم من يهديهم إلى الحق، كما يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ (طه: ١٣٥) فإن الله تعالى لا يعارض هذا الاعتراض وإنما يقبل حقهم في ذلك وفوق ذلك يثبت أهمية هذا الموضوع ببيانه في مواضع شتى.

وليس هذا فحسب وإنما يعتبر الله إنزال العذاب ظلما بغير إرسال الهداة، كما يقول ﷻ: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (الأنعام: ١٣١-١٣٢)

يتبين من هذه الآيات أنه من الظلم أن يُفرض العذاب على قوم لم يُبعث إليهم من ينبههم على المعصية أو ينقذهم من الضلال، أو بأسلوب آخر أنه إذا كان ثمة قوم بحاجة إلى الهداية ولم يرسل الله إليهم هاديا ومع ذلك يعذبهم يوم القيامة على

أنهم لم يمتثلوا لأوامر الله فإنه لظلم، وليس الله بظالم، فلا يمكن أن يكون الناس بحاجة إلى الهداية وهو لا يُهيئ لهم أسباب الرشد والهداية.

وعلاوة على هذا القانون العام يتبين من القرآن أن هناك عهدا خاصا قد أخذه الله على نفسه من أجل الأمة الإسلامية وهو: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠).

والحفاظة على قسمين: قسم يتصل بحفظ النص وآخر يتعلق بحفظ المعنى، وإذا لم يتحقق أحدهما بطلت الحفاظة أصلا، خذوا مثلا هيكل طائر مع منقاره املؤوه تبنا فهل ترونه سيبقى محفوظا من أثر الزمن! وكذلك إذا كُسر منقاره أو بليت رجلاه أو نفش ريشه، فهل تحسبونه مصونا! فكذلك الكتاب الذي عملت فيه يد التحريف والتبديل والحذف عملها أو انقرضت لغته ولم يعد باستطاعة أحد أن يفهمها أو الذي أصبح قاصرا عن تحقيق الأهداف التي أُنزل لأجلها لا يعتبر محفوظا، لأنه وإن كان لفظه محفوظا لكن ضاع معناه، والمعنى هو الأصل إذ يُحفظ اللفظ أيضا لحفظ المعنى، فالمراد بحفاظة القرآن حفظ اللفظ والمعنى كليهما.

وتحقيقا لجانب من هذه الحفاظة أي حفاظة اللفظ للقرآن الكريم، قد أوجد الله ﷻ وسائل تدهش العقلَ كثرتُها وتنوعها ، إن اللغة العربية لم تكن مدونة قبل نزول القرآن كما لم تكن قواعدها مرتبةً بعد ولم تستنبط علومها من التعبير والمعاني والبيان كذلك، وأيضا لم يكن هناك طريق خاص لحفظ الكتابات، لكن عندما نزل القرآن ألقى الله في قلوب الناس فقاموا بتدوين العلوم المختلفة من الصرف والنحو والمعاني والبيان والتجويد واللغة والأمثال والتاريخ والقواعد لتدوين التاريخ والفقه وغيرهما، وجميع هذه العلوم إنما أسست لأجل فهم معاني القرآن وازدهرت على أساس صلتها بحفظ القرآن، وإن أوثقها صلة مع القرآن هو الصرف والنحو والمعاجم، فنالت هذه العلوم تقدما باهرا أدهش علماء أوروبا المعاصرين وجعلهم يرون هذه العلوم العربية أكمل وأحكم من أمثالها في اللغات الأخرى.

وعلاوة على ازدهار هذه العلوم ألقى الله في روع مئات الألوف من الناس أن يحفظوا القرآن عن ظهر غيب، وجُعل القرآن وسطا بين الشعر والنثر حيث أصبح حفظه ميسورا وكل شخص أتيحت له فرصة حفظ أجزائه يعلم أن حفظ القرآن أسهل بكثير من حفظ نصوص أخرى. ومجمل القول إن الله ﷻ جعل حفظ القرآن من السهولة بمكان من ناحية، وألهم مئات الألوف من الناس بحفظه من ناحية أخرى، وكذلك فرض الله على كل مسلم أن يحفظ جزءا منه ويقرأه في كل صلاة، فلو تجاسر أحد من الأعداء على إتلاف جميع نُسَخ القرآن لظل القرآن محفوظا.

هذه بعض الشواهد التي سقتُها لتكفي دليلا على أن الله قد خلق لأجل حفاظة القرآن وسائل عديدة ليستحيل ضياعه.

وهنا يجب أن نقف قليلا ونفكر في أن الله ﷻ إذا كان قد وفر هذه الوسائل كلها لحفاظة ألفاظ القرآن التي ليست هي الغاية، فهل من الممكن أن يهمل معانيه ولا يهتم بحفظها؟ إن كل شخص عاقل حصيف ليجيب على ذلك بأن ذلك من المستحيل. وإن كان الله قد هيأ الأسباب لحفاظة الألفاظ، فلا بد أن يكون قد اهتم بحفاظة المعاني أكثر من ذلك بكثير. وهذا هو الصواب، إن الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠)، تضمن الحفاظة اللفظية والمعنوية كلتيهما. وإن أهم حفاظة معنوية هي أن يتخذ الله من الوسائل ما يعيد إلى تعاليم القرآن تأثيرها في النفوس وتتجلى به معانيها ويحوّلها من قصة بالية إلى حياة تفيض نشاطا ونضارة بعد أن انصرف الناس عنها وأصبحت قلوبهم خِلْوًا من تأثيرها وتقلص نورها إلى مجرد الألفاظ وهذا ما يصدقه الحديث الصحيح للرسول ﷺ كما روى عنه أبو هريرة أنه قال: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها.[١]

[١] سنن أبي داود، كتاب الملاحم. والمستدرك، كتاب الفتن.

إن هذا الحديث في الحقيقة يفسر الآية الكريمة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ١٠)

وإن رسول الله ﷺ قد بين به ناحية موضوع الآية بأسلوب سلس سهل وذلك لئلا يتمسك البسطاء والسطحيون بظاهر الآية ولا يتعثروا بأنفسهم ولا يتسببوا في تعثر الآخرين مُهملين طريقا رائعا لحفظ الإسلام.

يتبين من هذا الحديث أيضا أن موعد المصلحين لهذا الفساد- الذي يكون قد نتج عن جهل الناس بمعاني القرآن وابتعادهم عن أهدافه- هو رأس القرن، كأنه قد أُسّس بذلك سلسلة من الحصون المنيعة لأجل الدفاع عن حياض القرآن، حيث لا يأتي على الإسلام حين يخلو من المجددين، أو الذين اتبعوهم بإيمان أو الذين عاصروا أولئك المتبعين وبذلك يصبح الإسلام بمنجاة من الفساد الذي ساد سائر الأديان وأدى إلى الإخلال بها وتدهورها، ودخلها التحريف والتبدل، وسيظل محفوظا حسب وعد الله عز وعلا.

ونستخلص من ذلك إلى:

(١) يتبين من القرآن الكريم أن الله ﷻ كتب على نفسه أنه يسد للإنسان ضروراته الروحانية والطبعية وخاصة الروحانية منها لأنها بخطورتها وتأثيراتها متقدمة على أخواتها الطبعية، فلولا هذا النظام لبطل الهدف من خلق الكون.

(٢) وأن الله ﷻ قد وعد أيضا أنه سيهيئ للإنسان وسائل الاهتداء إذا احتاج إلى ذلك.

(٣) وأن الله ﷻ لو لم يخلق هذه الوسائل لكان من حق الإنسان أن يعترض عليه.

(٤) وإذا لم يؤمّن الله ما يكفل هدايتهم وعاقبهم على ضلالتهم، فسيعدّ ظالما وهو ليس بظلام للعبيد.

(٥) قد أكد الله بأنه لن ينفك يبعث لهذه الأمة من يعمل على حفاظة القرآن المعنوية.

(٦) يتبين من الأحاديث أن هؤلاء المصلحين لا بد أن يظهروا على رأس كل قرن على الأقل.

فيا فخامة الملك! شرح الله صدرك لقبول الحق! لك أن تفكر: هل يحتاج هذا العصر إلى مصلح ربّاني أم لا؟ إن الأحاديث تؤكد بأنه لا بد أن يحتاج الناس على رأس كل قرن إلى من يبين لهم معارف القرآن ويكشف لهم عن حقائقه.

والآن وقد مضى رأس القرن بل ونصفه أيضا. ولكننا نصرف النظر عن هذه الأحاديث ونستعرض أوضاع العصر ونتساءل هل نحن - نظرا إلى هذه الأوضاع- بحاجة إلى مصلح أم لا نزال بغنى عنه؟ فلو كانت حالة المسلمين والشعوب الأخرى لا تدعو إلى مصلح رباني، فلا حاجة لنهتم بدعوى أي مدعٍ، لكن على عكس ذلك، إن كانت حالة المسلمين تصرخ بأنها في أشد الحاجة إلى الإصلاح وأن هجوم أعداء الإسلام قد بلغ أوج عنفها وحِدّتها، فلا بد لنا أن نسلِّم بأنه ينبغي أن يبعث الآن من الله تعالى من ينافح عن كرامة الإسلام، ويرد هجوم الأعداء ويميط اللثام عن وجه الإسلام الأغر ويكشف عن جماله الرائع ويغمر قلوب المسلمين بحبه ويقيم دليلا قاطعا على قوته وحياته.

لا يختلف اثنان في تدهور حالة المسلمين في الوقت الراهن وشدة هجوم الأعداء عليهم، وإن كل شخص لا يتعمد التستر على الواقع لأجل مصلحة خاصة أو لم ينحط عن الإنسانية بحيث يختلط عليه الخبيث والطيب، لا بد أن يعترف بأن المسلمين اليوم قد ابتعدوا عن الإسلام عملا وعقيدة وإذا كان هناك أحد يصدق عليه مدلول الآية الكريمة: ﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣١) فليس إلا هؤلاء المسلمين المعاصرين. وليس السؤال

الذي يهمنا اليوم أنه ما الذي أهمله المسلمون من الإسلام بل الذي نضطر للتفكير فيه هو أنه ماذا بقي فيهم من الإسلام؟ ولقد صدق المثل الفارسي الذي معناه: إن المسلمين الحقيقيين قد احتوتهم القبور وأن الإسلام أصبح محصورا في الكتاب فقط. إننا نرى آثار الإسلام في القرآن المجيد والحديث الصحيح وكتب الأئمة، لكننا لم نقف له على أثر في حياة المسلمين، إنهم اليوم لا يعرفون الإسلام بل أصبح من المتعذر عليهم لو أرادوا ذلك أيضًا، لأن الإسلام قد تم مسخه أيضا بحذافيره. وقد انتحل الناس عن الله عقائد يتعذر بعدها أن يقول إنسان ورع سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. وعزوا إلى الملائكة ما لم يخطر ببال، مع أن الله يقول عنهم: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (النحل: ٥١). مرة يرمونهم بأنهم يعترضون على الله وأخرى يقذفونهم بحب العاهرات. ويُتهم الأنبياء بالكذب والكبائر، وبهذا تحطم الرابطة التي تربطهم بأتباعهم، ويجعل كلام الله عرضة للتدخل الشيطاني وبذلك ينال من مكانته السامية. إن الجنة والنار والخمر التي ذكرها الله في نعماء الجنة يبينونها بأسلوب يجعل هذه العقائد إما من أفكار الشعراء أو من أغرب الأساطير والقصص. وليس هذا فحسب، بل إلى جانب الإساءة إلى الأنبياء السابقين فقد هجم هؤلاء على كرامة النبي ﷺ نفسه، وجعلوه عرضة لمختلف السفاسف والمجون من غرامه بزينب، وعلاقاته الأثيمة- والعياذ بالله- مع بعض الإماء سرًّا، وغيرها مما لا يمت إلى الأخلاق بصلة، وبذا حاولوا أن يشوهوا شخصية الرسول ﷺ نفسه مع أنها العليا التي تقدم لنا المثل الأعلى المنقطع النظير من الفضيلة والإنسانية، ويتجاهلون شهادة الشخصية التي هي أعرف الناس بأسراره (عائشة الصديقة) إذ تقول: "كان خلقه القرآن."[1]

[1] مجمع بحار الأنوار، للشيخ محمد طاهر، المجلد الأول: ص٣٧٢، مسند أحمد: المجلد السادس، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

إن النسْخ الذي يزعمون به في القرآن ليس إلا وليد التعارض الذي اختلقوه من عند أنفسهم، وبذلك قد نسخوا عدة آيات بغير أن يدل على ذلك نص من الشارع ﷺ نفسه، وبذلك لم يتركوا لمفكر مجالا للعمل بأية آية من القرآن الكريم أو الاعتماد عليها. ويعتقدون بظهور نبي إسرائيلي مرة ثانية ويصمون الأمة الإسلامية ونبيها الأكرم ﷺ نفسه بالجمود والعقم.

هذا ما نراه في عقائدهم، أما أعمالهم فتدهورها ليس بأقل من العقائد، إن الذين تركوا الصلاة والصوم من المسلمين يبلغون خمساً وسبعين بالمائة. أما الزكاة فلا تؤديها الأكثرية، والأقلية التافهة التي تدفعها طوعا واحتسابا قد لا تتجاوز الاثنين بالمائة، أما الحج، فلا يقوم به المستطيعون، غير أن الذين لا يستطيعونه- بل نظرا إلى ظروفهم الخاصة ليس من الجائز أن يقوموا بهذه الفريضة- يتهافتون على القيام بالحج وهكذا يهينون أنفسهم والإسلام أيضا، وعدد من يقوم بهذه الأعمال قليل جدا، ولعل هؤلاء أيضا بدلا من أن ينالوا الهدف الحقيقي من القيام بهذه الأحكام يستجلبون غضب الله على أنفسهم كما يدفعون الأمة إلى الذلة والهوان.

لا يعرف المصلون غير العرب حتى معاني الكلمات التي يرددونها في صلاتهم، وهؤلاء المصلون أيضا لا يقومون بهذه الفريضة إلا كغرامة أو عبء يدفعونه عن أعناقهم إذ لا يكاد يتبين ركوعهم من سجودهم، وكذلك يحسبون الدعاء بلغتهم كفرا ومعظمهم لا يصومون، والذين يصومون بدلا من أن يستحقوا به الثواب، يجعلونه بغيبتهم وكذبهم مدعاة للعذاب.

إن أحكام الوراثة الإسلامية تهمَل إهمالا شديدا. وإن الربا الذي مزاولته حرب من الله، قد اختلق العلماء لإحلاله مئات الحيل والخدع، وحددوه بحدٍّ لم يكن لأحد من المسلمين أن يتخلص معه من هذه اللعنة، لكن على الرغم من ذلك ما زال المسلمون بحالة الفقر مقابل الشعوب الأخرى.

إن الخلق الحسن الذي كان في العصور الماضية من تراث الإسلام قد ابتعد عنه المسلمون بُعد الكفر عن الإيمان، ولقد كان قول المسلم ذلك الزمن صادقا محققا ووعده قانونا حاسما منفذا، لكن اليوم لا نجد أضيع من قول المسلم ولا أكذب منه، وإن وعده قد أصبح أبعد شيء عن الحقيقة والواقع.

إن الأخلاق السامية التي كانت في يوم من الأيام تراثا أعز للمسلم وحقه الجدير به، قد أصبحت اليوم بعيدة عن المسلمين بُعد الإسلام عن الكفر، وقول المسلم كان يعد في عهد من العهود وثيقة محتمة، ووعده كان قانونا لا يبدل، لكن اليوم لا قول أبطل من قول المسلم، ولا وعد ألغى وأتفه من وعده، أصبح الوفاء خاملا والصدق مضيعا، وطمست الشجاعة الحقيقية، وحلت محلها الخيانة والكذب والخداع، والجبن والتهور، الأمر الذي جر عداوة الدنيا جمعاء. قد انهارت تجاراتهم، وذهبت ريحهم، ومواكب العلوم التي ما كانت تفارق ركائبهم صارت بعيدة عنهم بمراحل.

إن أوضاع المتصوفين لمكروهة جدا، إنهم يجعلون الدين إلحادا والشريعة إباحة، والعلماء -علاوة على بذر الشقاق والعداء بين المسلمين- لا يبرحون يجتثون جذور الإسلام بجعل مزاعمهم أحكام الله ورسوله. والأغنياء، وإن كانوا لا شيء بالنسبة إلى أغنياء الأمم الأخرى، لكنهم مع ذلك مغترون بأموالهم القليلة اغترارا جعلهم متبرئين من الدين، وأصبحت قلوبهم عاطلة حتى من احترام القيم الدينية فضلا عن مساهمتهم في الخدمات الدينية. يوجد المبشرون بالمسيحية في أثرياء أوروبا، لكنكم قلما تجدون في أغنياء المسلمين من يلم بمبادئ الدين، أما الحكام منهم فشيمتهم الارتشاء والجور، إنهم لا يرون الحكومة وسيلة لخدمة الجماهير، بل يجعلونها قسما من الألوهية، والملوك نشوانين بترفهم وملذاتهم، والوزراء غرقى في الخيانة والسرقة، أما الجماهير فقد صاروا أوحش من الوحوش، ومئات الألوف منهم لا يستطيعون لجهلهم أن يتفوهوا حتى بشهادتي التوحيد والرسالة فضلا عن

ترجمتها، والإسلام الذي كان يلتهم سائر الأديان كأفعى هائلة، قد عاد اليوم كميتة في العراء، والكلاب والنسور تنهش منه نهشا. إن الأموال والثروات متوفرة لأجل تحقيق الأهواء والحاجات الشخصية، لكن إنفاق فلس واحد لشؤون الدين ونشره لعبء باهظ لا يحتمل. إن الأوقات واسعة للمهازل والأقاصيص الواهية، وعقد نوادي الأصدقاء، لكن لا توجد فرصة قصيرة لتلاوة كلام الله القرآن ولا لتبليغه الناسَ، إن رسول الله ﷺ لا يصف بالنفاق تارك الصلاة ولا المتخلف عن صلاة الجماعة فحسب، بل يصف به أيضًا المتأخر عن صلاتي الفجر والعشاء مع الجماعة، ويقول ﷺ مع كونه رحمة مجسمة للعالمين ما نصه: "والذي نفسي بيده، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذّن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم"[١]

لكن اليوم، مئات الملايين من المسلمين لا يجدون فرصة لإقامة الصلوات الخمس ما عدا صلاة العيدين فضلا عن حضور المساجد، وكثير ممن يحضرون العيدين لا يصلون طبق شروط الصلاة بل يدخلون في الصفوف مرائين ولا يعرفون حتى مبادئ الوضوء.

ملخص القول إن الإسلام أصبح اليوم مهجورا لا ولي له، لكلٍ وليٌّ، لكن الإسلام ليس له ولي ولا كفيل، وقد أمسى بحالة يرثى لها وهي كما بينها حضرة المسيح الموعود والمهدي المسعود عليه السلام في أبياته الفارسية وتعريبها:

"فلتدمع كل عين دما على تشتت حالة الإسلام وشحّ المسلمين الحقيقيين.

الإسلام معرّض للإعصار المهيب والخطير للغاية، وحدث فساد كبير في العالم بسبب الكفر والعناد.

إذ إن المحروم من كل خير وحسنة بدأ يعيبُ خير الرسل.

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة.

والذي هو أسيرٌ ومسجون في سجن الخبث يتجاسر على الطعن في سيد الأطهار.

إن خبيثا وسيء الباطن يُطلق السهام على ذلك المعصوم، فحري بالسماء أن تمطر الأحجار على الأرض.

لقد صار الإسلام ضعيفا كالتراب أمام أعينكم، فما عذركم عند الله يا حزب الأثرياء؟

الكفر كجيوش "يزيد" يثور في كل حدب وصوب، أما الدين فقد أصبح مريضا وعديم الحيلة مثل "زين العابدين".

الأغنياء منشغلون في الاستمتاع بملذات العيش، وبجالسون النساء الحِسان مستهامين بهن.

وأما المشايخ فيتخاصمون فيما بينهم بسبب ثوائر نفوسهم، والزهاد غافلون تماما عن حاجات الدين.

وقد نحا كل شخص منحى خاصا به واتّجه كل شخص باتجاه معين من أجل نفسه الدنيئة، لذلك صار جانب الدين قفرا وبالتالي حملَ عليه كل عدو سلاح غيدٍ حِسان.

لقد خرج من الدين مئات الألوف من الجهلاء، وصاروا صيدا لمئات الألوف من المخادعين المكّارين.

لقد أصاب المسلمين انحطاط وذلة لأنه لا غيرة للدين في قلوبهم.

لا يتحركون غيرةً على الدين -ولا مثل حركة الجنين- ولو ارتد عالَمٌ عن دين المصطفى.

إنهم غارقون في فكر الدنيا الدنيئة، وإن أموالهم كلها تُهدَر على النساء والبنين.

يترأسون كل مجلس فيه الفسق والفجور، وإنهم أبرز الناس في كل مجلس تُرتكب فيه المعاصي.

إنهم مدمنون على الخمور وبعيدون عن سبل الهدى، ينفرون من أهل الدين ويصحبون شاربي الخمور.

لقد أذاب قلبي همّان تجاه دين أحمد ﷺ وهما: كثرة أعداء الملة وقلة أنصار الدين.

تعال يا ربِّ سريعا وأنزلْ علينا أمطار نصرتك، وإلا فارفعني يا ربِّ من هذه الدار المُستعرة.

يا ربِّ أَشرِقْ علينا نورا من مطلع الرحمة، وأنِرْ عيون الضالين بآيات بيِّنات.

ما دمتَ قد رزقتَني الصدق في الحرقة، فلا أخال أنك ستُميتُني خائبا في هذه الحالة.

إن مهمة الصادقين لا تبقى غير مكتملة مطلقا، لأن يد نصرة الله الحق تحالفهم."[١]

وجملة القول إن أوضاع الزمان لتصرخ بأنه لا بد من بعثة مصلح بل ومصلح عظيم يسترد للإسلام عظمته وقوته ويثبت أقدامه ويبارز الباطل بالأدلة القاطعة ويمزقه بصوارم البراهين الساطعة. فبما أن الشخص الوحيد الذي ادّعى ببعثته من الله تعالى لحماية الإسلام على رأس هذا القرن، هو مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام فلذا على كل رجل حصيف حكيم أن يمعن النظر في دعواه، ولا يعرض عنه بمجرّد إلقاء نظرة سريعة، وإلا فكان معارضا لسنة الله القديمة ومسئولا عند الله عن تهاونه وغفلته.

أيها الملك، أيدك الله بنصره العزيز، هنا بعض الناس يثيرون الشبهات بأن رسول الله ﷺ كان أكمل الناس كافة، لذلك لا حاجة لنا بعده إلى مصلح أو هاد، وأن القرآن وحده المصلح، وتأثيره القوي هو الهادي.

هذه الفكرة وإن بدت في الظاهر خلابة، لكنه إذا أمعنا فيها النظر، وجدنا أنها تنافي القرآن الكريم والأحاديث النبوية وتعارض العقل والواقع، أما منافاتها للقرآن

---

[١] فتح الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد ٣،ص٤٤-٤٦.

والحديث، فلأنهما يخبران بصراحة بظهور المبعوثين والمجددين في الأزمنة الآتية، فلو كان بعث مبعوث أو ظهور مجدد منافيا لكمال رسول الله ﷺ، لما خالف الله – الذي جعل نبينا سيد الأنبياء وأكملهم– قوله وأبطل حكمه واعداً ببعثة المبعوثين وظهور المجددين، ولما أخبر الرسول الكريم ﷺ بظهور المبعوثين والمجددين، هل نحن أعلم بمقتضى كماله حتى نرى بعثة المبعوثين مناقضة لكماله مع أنه بنفسه يخبر بظهور العديد من المجددين والمأمورين.

أما معارضة هذه الفكرة الغريبة للعقل فلأنها تستدعي أنه لو لم يكن ثمة أي مجدد أو مبعوث بعد النبي ﷺ لكان من اللازم إذًا أن لا يتسرب الفساد إلى المسلمين أبدا، ولَتمسكوا بالحسنات والتقاة، لكن الحقائق الواقعة تكذب ذلك أشد التكذيب.

والعقل يرفض بأن لا يُبعث من الله مصلح بينما يكون الفساد قد تأصل في المسلمين وازدادوا ضلالا وانحرافا. فلو كان الإسلام حريا بهذه المعاملة حقاً، لما كان ذلك أبداً دليلا على كون النبي الكريم ﷺ أكمل الرسل بل كان ذلك شاهدا على أن الله تعالى يريد أن يدمر الإسلام، فإن كان المجددون والمبعوثون قد انقطعوا بتاتا، كان من المحتم أن ينجو المسلمون من الضلال والانحراف للأبد، ورأيناهم كما نرى المسلمين في عصر الصحابة ﵃، لكن إذا كان الانهيار الروحاني واقعا، كان من الواجب أن توجد الوسائل الناجعة للنهضة الروحانية أيضا.

وثانيا أنه لو كان كمال رسول الله ﷺ يقتضي انقطاع مظاهره لكان الله –الذي هو منبع جميع الكمالات وهو الحي القيوم– أغنى ما يكون عن بعثة أنبياء كمظاهر له في هذه الدنيا، والحق أن الغائب عن الأعين لا بد له من مظاهر تذكيرا لوجوده وتثبيتا له في القلوب، فلزم أن تكون للرسول الكامل ﷺ أيضا مظاهر وممثلون يذكّرون الناس بوجوده ويمثلونه بحياتهم.

إن هذه الفكرة تخالف الواقع والمشاهدة أيضا، لأننا نرى في ثلاثة عشر قرنا مضت بعد الرسول ﷺ، عشرات ممن تشرفوا بالمخاطبات الإلهية وادّعوا بأنهم بُعثوا لتجديد الدين وأنهم مُثُل الإسلام العليا وإن لهم يدا فعالة في نشر الإسلام وتشييده، كحضرة الجنيد البغدادي والشيخ الجليل السيد عبد القادر الجيلاني، والشيخ شهاب الدين السهروردي، وبهاء الدين النقشبندي، وحضرة الشيخ محيي الدين بن عربي، والخواجه معين الدين الجشتي، والشيخ أحمد السرهندي وحضرة الشاه ولي الله الدهلوي وغيرهم رحمهم الله أجمعين، فنظرا إلى مثل هؤلاء الأولياء الأجلاء وخدماتهم الجليلة، كيف يمكن الإقرار بأنه لا حاجة بعد الرسول ﷺ إلى مصلح.

والحق، أن المصلحين يمكن ظهورهم بعده ﷺ أيضا، بل كانوا ولا يزالون ولن يزالوا يظهرون بعده، إن أوضاع هذا العصر تخبر بظهور مصلح عظيم، وكون حضرة ميرزا غلام أحمد المسيح الموعود هو وحده المدعي بالإصلاح في هذا العصر، فإن مقتضى العصر لأكبر دليل على صدق دعواه.

الدليل الثاني: شهادة سيد الأنبياء ﷺ

إن الدليل الأول أثبت حاجة العصر الماسة إلى مصلح، وبما أنه ليس ثمة أي مدع آخر لإظهار الإسلام، لذلك إننا مضطرون للتفكير في دعواه، لكن دعواه ليست في الإصلاح فحسب، بل إنه يدعي بكونه مصلحا موعوداً أي أنه المسيح الموعود والمهدي المسعود، لذلك فإنني أقدم شهادة أخرى تصدق دعواه؛ ومَن أصدق شهادة من بين سائر بني آدم، من محمد المصطفى ﷺ وأوثقها؟

ومما لا شك فيه أن اعتقاد البعثة الثانية للمسيح لم يبدأ ببداية الإسلام، بل إن هذه العقيدة معروفة في الأمة الموسوية قبل بعثة محمد ﷺ بقرون عديدة، لكن مما لا ريب فيه أيضا أن الإسلام قد ضم إلى هذه العقيدة عناصر جعلتها من أهم المعتقدات الإسلامية، وتلك العناصر هي:

إنه أخبر بظهور مهدي في زمن المسيح الموعود، والمهدي وإن لم يكن إلا المسيح الموعود نفسه كما يتبين من حديث نبوي آخر: "ولا المهدي إلا عيسى"[1]، ولكن بسبب هذا النبأ نشأت لدى المسلمين علاقةُ حب بالمسيح الناصري ما يجب أن تكون لهم بمثل صالحٍ من الأمة الإسلامية.

عُدَّ ظهور المسيح دورا جديدا هاما لتقدم الإسلام وازدهاره، وقد أُجِّل انتصار الإسلام على سائر الأديان إلى موعد ظهوره.

وبوصف المسيح والمهدي وجودا واحدا تم وصف ظهور المسيح بعثةً أُخرى لرسول الله ﷺ، وعد أصحابه من أصحابه ﷺ فبذلك ألهب في قلوب عشاق الرسول شوقا دفاقا للمسيح.

---

[1] ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء.

(١) إن الزمن الخطير المدْلَهم الذي قد أنذر به رسول الله ﷺ إنذارا شديدا، والذي كان لتأثيراته الرهيبة زعزعةٌ لجذور الإسلام، ففي هذا الزمن إن الذب عن كوارث الإسلام وحفظه للأبد قد أنيط بالمسيح الموعود. لذا كان انتظار المسلمين للمسيح انتظارهم لملك من ملائكة الرحمة.

إن كلمات رسول الله ﷺ: "كيف تهلك أمة أنا في أولها والمسيح في آخرها"[١]. قد جعلت المسلمين ينتظرون المسيح على أحر من الجمر، لأنهم كانوا يرون أن بمجيء المسيح وحده سيصير الإسلام محصنا بأسوار منيعة ضد هجمات الشيطان.

إن هذه الأمور الأربعة كانت قد جعلت نزول المسيح قضية أساسية حيوية للمسلمين، ولم يكن من الممكن أن يبقى مجهولا مطموسا ذلك الزمن الذي كان من ناحية مقربا لعشاق الرسالة السنية إلى حبيبهم ﷺ ولو من وراء حجاب الظلية المماثلة، ومن جهة أخرى كان مخرجا للإسلام من هذه الكوارث الهياجة إلى دار السلام والأمن.

لم ولن يحدث، أن يُوَجّه الناس نحو مبعث الأنبياء وأزمانهم بكلمات جلية صريحة كأنْ توضَع أيدي الباحثين في أيديهم، لأنه إن حدث ذلك بطل الإيمان، وارتفع الفارق بين المؤمن والكافر، وما برحت الأخبار ببعثة الأنبياء بكلمات يهتدي بها الأخيار المتشوقون، وينحرف عن حقيقتها الأشرار بضروب من الأعذار والشبهات، من الذي ينكر وجود الشمس الوهاجة، لكن لا أجر على هذا الاعتراف، فلا بد من توجيه الناس من جهة وإخفاء من جهة أخرى، وكذلك ينبغي أن يكون بصدد بعثة الأنبياء.

---

[١] كنز العمال، المجلد ١٤ ص٢٦٩، الإكمال من خروج المهدي رقم الرواية ٣٨٦٨٢ طبعة حلب ١٩٧٥م.

ولقد استعمل نفس الأسلوب في الأخبار المنوطة بظهور المسيح الموعود، وقد أخبر بموعد نزوله بكلمات هي من نفس الأسلوب الذي تم به الإخبار عن الأنبياء السابقين برمتهم، ولكن رغم ذلك، فهذا الأسلوب الخفي ليس بأقل من دليل بيّنٍ لباحث صادق مستبصر. والذي آمن بنبي من الأنبياء بالأدلة، ولم يقنع بإيمان موروث، لا يصعب عليه الانتفاع بهذه البينات، لكن الذين يؤمنون إيمانا سطحيا بمئات الأنبياء ولم يؤمنوا ولا برسول واحد بعد البحث والتحقيق، يتعذر عليهم الإيمان بنبي صادق مهما أتى بالبينات، ولا إيمان لمثل هؤلاء الناس بتاتا، وإنما إيمانهم مستعار من إيمان علمائهم ومشايخهم أو مستمد من روايات آبائهم، فبما أنهم لم يعرفوا أحدا من الرسل حق المعرفة، استحالت عليهم معرفتهم جميعا، ولا يمكن لهم النظر في شخصية الرسول ما لم تُعالج عيونهم الزائغة بكحل نور الهدى السماوي، وما لم يصحوا من غفوة التقاليد والآراء الموروثة.

بعد هذه المقدمة الوجيزة أتناول تلك الآيات التي أخبر بها الرسول الأكرم ﷺ عن عصر المسيح الموعود، وعندي إذا أمعن أحد النظر في هذه الآيات من دون الانحياز والتعصب فلن يصعب عليه تعيين موعد المسيح الموعود، لكن قبل التفكير في هذه الآيات، لا بد من العلم أن كثيرا من الناس وضعوا أحاديث زائفة تحقيقا لأطماعهم الخاصة في زمن ساد المسلمين فيه الشقاق والفرقة، وإنهم يهدفون بها إلى دعم معتقدات طائفية خاصة. إنك لتجد مثلا أحاديث تتصل بظهور المهدي، غير أن نصوصها تنم بصورة جلية عن أنها وضعت لتصديق وجهة نظر خاصة في قضية تتضارب فيها الآراء والاتجاهات، فلا بد للمحقق الباحث من الحذر في اختيار مثل هذه الروايات وإن كانت بعضها صادقة ولا ينبغي أن تكون هذه الأحاديث المجروحة أساسا للدعاوى المذهبية، وعلى سبيل المثال نجد عددا غير قليل من الأحاديث الموضوعة في عهد بني العباس وهي بالظاهر تتضمن علائم المهدي المقبل، غير أنها ترمي في الواقع إلى أن الثورات التي حصلت في

خراسان لتأييد بني العباس كانت مقدرة من عند الله تعالى وطبقا لمرضاته سبحانه وتعالى، وقد أثبتت الشواهد التاريخية بطلان تلك الأحاديث، لأن المهدي المتصف بتلك الصفات لم يظهر حتى بعد أن مضى عليها ألف عام، كذلك روايات أخرى عديدة اختلطت فيها شواهد زمن المهدي بالحوادث التاريخية الماضية اختلاطا لا يمكن معه إدراك الحقائق الناصعة ما لم يميز غث الحوادث التاريخية المدسوسة في روايات المهدي عن محضها. إن الذين لم يلموا بالتاريخ الإسلامي قد انخدعوا بهذه الأحاديث انخداعا خطيراً، وظلوا منتظرين تحققَ أمور كان قد تم حدوثها حتى قبل وضع هذه الأحاديث وإنما قصد بدسها في علامات المهدي إلى دعم اتجاه طائفي خاص، فلا بد لنا قبل البدء بالتفكير في علامات المهدي من أن نميز العلامات التي تنصّ على حادث تاريخي ماض لكي نتجنب الوقوع في حفرة حفرها بعض الدساسين المغرضين لتحقيق أطماعهم.

وصلى الله على رسوله صلوات لا نهاية لها، إذ اختار ﷺ في سرد روايات المهدي طريقا فريدا يمكن للإنسان برعايته أن يتجنب خديعة خادع، وهو أنه سرد علامات المهدي كحلقات سلسلة متصلة، الأمر الذي يكشف عن زيف المزيفين؛ فلو أخبر مثلا بأن اسم المهدي كذا واسم أبيه كذا، لادعى بالمهدوية الكثيرون ممن سُموا بهذه الأسماء، فبدلا من أن يبين ﷺ ما يقدر على الاتصاف به كل شخص، فإنه صرح بعلامات لا يقدر على إتمامها أحد فحسب، بل لا يمكن ظهورها إلا بعد تطورات مئات السنوات، فليس لأحد بل ليس لطائفة من بني الإنسان مهما تستفرغ جهودها أن تأتي بمثل هذه الظروف الملائمة.

والأمر الثاني الذي رُوعيَ في علامات المهدي، هو أن بعض هذه العلامات قد نص فيها على أنها لن تظهر قبل ظهور المهدي، فنظرا إلى هذا المبدأ، إذا عرفنا زمنا يخصّ المهدي وأعماله، وإذا تحققت علامات قيل بأنها لن تتحقق إلا في زمن المهدي، وإذا ظهر عدد من التغيرات في السماء والأرض التي تقصر عنها قوى

الإنسان، وهي وُصفت كعلامات المهدي لن تتعذر علينا معرفة زمن المهدي، وإذا لم تتحقق حينئذ بعض العلامات، فهي إما أنها ليست من علامات المهدي، بل كانت دخيلة فيها بيد بعض الأشقياء القساة، أو إننا نكون قد أخطأنا في إدراك حقيقتها إذ كانت في الواقع حَريّة بالتأويل.

وبعد ذلك أرى من الأجدر أن أبين أنه يتبين بأدنى تدبر في علامات المسيح الموعود والمهدي المعهود، أنها ليست كل منها بعلامة مستقلة على حدة، بل كلها تكون علامة متصلة واحدة متشعبة الوجوه كما ورد في الحديث مثلا أن من أمارات المهدي ارتفاع الأمانة أو تفشي الجهالة، فلو عدت هذه الأمارات كعلامات مستقلة، اضطررنا للاعتراف إذًا أن المهدي لا بد أن يظهر عند ارتفاع الأمانة وكذلك عند ذهاب العلم، مع أن ظروف المسلمين خلال ثلاثة عشر قرنا الماضية كانت متداولة، ارتفع العلم عنهم حينا، وذهبت عنهم الأمانة أحيانا أخرى، لكن لم يظهر المهدي عند هذا أو ذاك، فتبين أن هذه العلامات ليست بأمارات مستقلة بل إنها حلقتان من حلقات تلك السلسلة المتصلة من العلامات التي بينها رسول الله ﷺ بعد أن تلقى خبرها من الله العلام، وهي ليست من القبيل التي اختلقها الناس من عندهم وعزوها إلى الرسول ﷺ، وكل واحدة من هذه العلامات يمكن أن توجد في بعض الأزمان دون بعض، لكن هذه العلامات من المستحيل أن توجد مجتمعة إلا في زمن المهدي.

إن الطرق لمعرفة زمن من سائر الأزمان، هي نفسها التي يُعرف بها رجل من الرجال، مثلا إذا أردنا أن ندل أحدا على مَن لم يعرفه من قبل أخبرناه بصورته وقامته ولونه وعاداته وأعماله البارزة، ثم زدناه دلائل على ذويه وأقاربه وصورة داره وغيرها؛ مثلا قلنا له: إنه طويل القامة، أبيض اللون، ليس بهزيل ولا سمين، إنه عريض الوجه، أشم الأنف واسع العينين، غليظ الشفتين، طويل الذقن وإنه مثلا عالم في اللغة العربية وهو من المسلمين، وأهل قومه يعادونه، وإنه ذو أخلاق سامية وداره كذا وكذا، ومَن

حوله من الناس هم كذا وكذا، إذا أرسلنا أحدا بهذه العلامات الجمة إلى قرية، كانت معرفة ذلك الشخص المجهول بغير اشتباه أمرا سهلا جدا. وإذا كان المراد تعيين زمن خاص، أمكن تحديده وتعريفه بهذه الطرق ذاتها، وهي أن يخبر بمطالع الكواكب ومنازلها في ذلك الزمن، وينبأ بتطورات طارئة في الأرض ويلقي الضوء على أوضاعه السياسية وظروفه الاجتماعية، وأحواله الدينية، وأطواره العلمية وقيمه العملية والخلقية وسياساته الدولية، ويعلم عن رخاء ذلك الزمن وضيقه، ويصرح بطرق الاتصال فيه ووسائل السفر.. فإن تفصيل هذه الأوضاع كلها لرجل، ثم ذلك الرجل يشهد ذلك الزمن المنشود، فسيعرفه لأول وهلة، ولن يتعرض في معرفته لأية عقبة، بل كان أسلوب المعرفة هذا أبعد ما يكون عن الاشتباه.

ولذلك فإن رسول الله ﷺ قد رسم خطوط ذلك الزمن، لكي لا يختلق الناس، عند شقاق الطوائف الإسلامية، روايات تجعل معرفة المسيح الموعود والمهدي المسعود متعذرة، كما ونرى أن جهود الناس بتلفيق علامات من عندهم، ذهبت أدراج الرياح، لأنهم ما كانوا يملكون تحقيق العلامات المنصوصة بلسان النبي ﷺ، واليوم أيضا من يلقي نظرة إجمالية على جميع ما تفوه به النبي ﷺ من العلامات لا يملك إلا أن يقر بأن هذا العصر هو عصر المسيح الموعود والمهدي عليه السلام.

الأوضاع الدينية في عصر المسيح الموعود

والآن أتناول بعض العلامات من سلسلة العلامات وهي التي يتبين منها أن نزول المسيح لا يمكن إلا في هذا العصر، وأبدأ أولا بالأوضاع الدينية في زمن المسيح الموعود.

ويمكن التعبير عن الأوضاع الدينية في عصر من العصور بأسلوبين اثنين: أولا بإحصاء أتباع الأديان وسعة نطاقها وثانيا بوصف تأثير تلك الأديان في أهل ذلك العصر، ولقد أوضح رسول الله ﷺ تينك الناحيتين.

وأبدأ بالصورة الظاهرة للأديان، لأنها الأبرز والأوضح، فقد رسم رسول الله ﷺ هذه الصورة وبين أن المسيحية ستكون عندئذ أقوى الأديان.

فكما ورد في صحيح مسلم: "تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ."[١]

والروم هم النصارى كما أجمع على ذلك علماء الإسلام، لأن الروم هم كانوا حاملين لواء المسيحية وأعلام رقيها. هذا النبأ يبدو بغاية العظمة بالنظر إلى قول رسول الله ﷺ: "إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"[٢] لأنه يخبر بأن الدولة الرومية بعد استئصال شأفتها وانقراض قيصرها ستنهض نهضة أخرى، الأمر الذي تندهش له العقول، غير أن أنباء الله تتحقق على كل حال. فأولا انقرضت دولة قيصر حسب الأنباء، وأخيرًا حين لقب قيصر الذي كان مختصا بملوك قسطنطينية، طمست معالمه بفتح عاصمة المسيحية هذه فانتشر الإسلام في أصقاع الأرض كافة، لكن بدأ الفيج الأعوج ببداية القرن العاشر الهجري، وأخذت المسيحية تتقوى في بلادٍ لم يكن لها بها أثر حينما أخبر الرسول ﷺ بنهضتها الثانية، ومنذ القرن الأخير في هذا الزمان، قد استولت المسيحية على جميع مناطق الأرض بحيث لم يبق شك في تحقق نبأ باستيلاء الروم على الأرض.

ولنبأ غلبة الروم أهميته ومكانته، إذ أن بعض علماء الإسلام كتبوا عنه، بأن هذه العلامة ستتحقق بعد ظهور سائر العلامات، كما ذكر نواب صديق حسن خان في كتابه حجج الكرامة ما تعريبه:

عندما تتحقق سائر العلامات، يأتي ظهور النصارى على الأرض باحتلالهم معظم بلادها[٣].

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الفتن

[٢] سنن الترمذي، أبواب الفتن

[٣] - حجج الكرامة، ص- ٣٤٤ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

فإن هذا الخبر علاوة على دلالته كحلقة من سلسلة العلامات مجتمعة، يتضمن وحده كفاية من الاهتداء. ولقد صرح رسول الله ﷺ بحالة الإسلام، إزاء نشأة المسيحية هذه قائلا:

إن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، فطوبى للغرباء[١].

أي أن الإسلام في ذلك الزمن سيكون ضعيفا جدا، بل إنه ﷺ قال في أحاديث فتنة الدجال بأن كثيرا من المسلمين سيتبعون الدجال[٢].

فالمسلمون بعد أن كانوا متمكنين من نواصي القوة والعظمة التي جعلتهم ملوك العالم دون أي مشكلة، قد أصبحوا اليوم كطفل يتيم بائس، إذ أنهم لا يستطيعون الاحتفاظ بكيانهم إلا بمساعدة الأمم المسيحية، فقد تنصّر مئات الألوف منهم، وهذه الظاهرة مستمرة.

الحالة الدينية الداخلية للمسلمين

إن رسول الله ﷺ، قد فصل الكيفيات الباطنية لأتباع الأديان علاوة على تصريحه بمظاهر قوتها وضعفها، فرسم ﷺ صورة أحوال المسلمين في هذا الزمان بما يلي:

الأول: إن الناس آنذاك سينكرون القدر. فقد روي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: إن الناس في ذلك الزمن سينكرون القدر[٣]. وإنكار القدر صادر من قبل المسلمين بلا مراء، لأن الأمم الأخرى لا تؤمن بالقدر سلفا، وإن شدة انتشار هذا المرض الوبيل في المسلمين لغني عن البيان، إن المسلمين

---

[١] – سنن ابن ماجة، باب بدأ الإسلام غريبا.

[٢] – سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في فتنة الدجال.

[٣] مسند أحمد بن حنبل، مسند المكثرين من الصحابة، مُسْنَدُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا.

المغرمين بالعلوم المعاصرة ليرفضون القدر رفضا باتا مرتعبين من علماء أوروبا الجاهلين، وأخذوا يبتعدون عن حقيقة هذه المسألة المهمة معرضين عن أهميتها ومنافعها.

والتغير الثاني الذي أخبر النبي ﷺ بشأن المسلمين هو أن المسلمين في ذلك الزمن سيعدون الزكاة مغرمًا[١]، وقد نقل ذلك البزاز عن علي رضي الله عنه[٢].

واليوم حينما أمسى المسلمون هدفا لآفات محدقة بهم، ومهما أدى المسلمون اليوم من الصدقات والتبرعات بالإضافة إلى الزكاة لهي أقل بالنسبة لخطورة الموقف. لكن معظم المسلمين يتهربون من أداء الزكاة التي هي فريضة من الله وحيثما يضطرون لدفعها حسب الأحكام الإسلامية يؤدونها قليلا كارهين، لكن حيث لا تهتم السلطات بذلك، لا يدفعونها إلا ما ندر، والشعوب التي تدفعها بانتظام، إنما تتخذها بدافع الرياء. وتؤديها بصورة لا يظنها الناس زكاة وإنما يحسبونها تبرعا للخدمات الشعبية.

وتغيّر آخر بينه الرسول ﷺ مما يطرأ على حالة المسلمين هو أن القوم الذين كانوا في يوم من الأيام يضحّون بأعز ما يملكون وأغلى ما عندهم على أدنى إشارة من الله ورسوله، ولم تكن الدنيا في أنظارهم أكثر من جيفة، أنهم سيبيعون الدين بالدنيا[٣]، وهذا التحول قد استفحل اليوم وتفاقم حتى تذوب لرؤيته القلوب الخفاقة بحب الإسلام، إن العلماء والمتصوفين والحكام وعامة الناس كلهم يؤثرون الدنيا على الدين، إن مصالح الإسلام والمسلمين أضحت لديهم ضحية رخيصة في سبيل تحقيق أتفه مصالحهم الدنيوية.

---

[١] سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة.

[٢] حجج الكرامة في آثار القيامة، ص ٢٩٨ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[٣] سنن الترمذي، أبواب الفتن، بَاب مَا جَاءَ سَتَكُونُ فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ.

وتغير آخر صرح به الرسول ﷺ رواه ابن مردويه برواية ابن عباس أن الصلاة ستصبح ضائعة أو متروكة في ذلك الزمان[١]، وهذا التغير قد بدا في المسلمين في أبشع صورة، إن عدد المتمسكين بالصلوات الخمس لا يعدو عن واحد بالمائة على أكثر تقدير، مع إن الصلاة أول فريضة أساسية من الأعمال المفروضة وتاركها عند بعض العلماء كافر. والمساجد، أكثر ما تكون اليوم، لكنها خِلْوٌ من المصلين بل بات أكثرها مأوى الدواب التي تهتك حرمتها، لكن المسلمين لا يهمهم عمرانها[٢].

وتغير آخر أنبأ به النبي ﷺ هو أن الناس في ذلك الزمن يصلّون الصلاة بسرعة هائلة، وروى أبو الشيخ في "الإشاعة" عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ إن خمسين رجلا يصلون عندئذ ولا يُتقبل من أحد منهم[٣]. والمعلوم من ذلك أنهم يصلون بعجلة، لأن القبول الباطني لا يعلمه إلا الله، ومن أظهر العلامات لبطلان الصلاة استعجال الصلاة، لأن رسول الله ﷺ بنفسه قال فيمن أدى الصلاة بعجلة أنه لم يصل وطلب منه الإعادة[٤]، ثم هناك تطور مزدوج في أداء الصلاة إذ أن الذين يصلون إنما ينقرون كنقر الدجاج ثم يطيلون الأذكار بعد الصلاة.

وعلامة أخرى أنبأ بها النبي ﷺ هي أن القرآن يرتفع من قلوب الناس، ولا يبقى منه إلا رسمه[٥]، هذه العلامة متحققة اليوم، إن القرآن الكريم لموجود، لكن لا يفكر فيه أحد ولا يتدبر، والغريب جدا أنه لا أحد في العالم كله يهتم بدراسة القرآن إلا جماعة المسيح الموعود عليه السلام، وبعض العلماء النابغين في الفقه

---

[١] كنز العمال، ج١٤ رقم الرواية ٣٩٦٣٩، طبعة حلب ١٩٧٥م.

[٢] حجج الكرامة، ص٢٩٧ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[٣] حجج الكرامة في آثار الكرامة، ص٢٩٦ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[٤] سنن الترمذي، أبواب الصلاة.

[٥] مشكاة المصابيح، كتاب العلم.

والحديث ليس لهم أدنى اهتمام بترجمة القرآن، ويحرّمون التفكر والتدبر فيه، ويظنون أنه لم يعد في القرآن إلا ما قد أوّله الأولون مع أن باب التفسير والتأويل إذ كان مفتوحا بعد الرسول ﷺ فلا يبرر الاعتقاد بأن ذلك الباب قد سُدّ اليوم وسُدّت نوافذ معارفه.

وعلامة أخرى رواها ابن مردويه عن ابن عباس، هي أن الناس في ذلك الزمان سيهجرون القرآن من ناحية، لكنهم سيبالغون في تحليته وتزيينه وسيتخذون له أغلفة من الثوب المزركش[١]، هذه العلامة أيضا متحققة اليوم، إن المسلمين لساهون عن تلاوة القرآن ويرون فتحه كأنه محرم عليهم لكنهم لا ينسون وضعه في بيوتهم مغلفا بأفخر الأغلفة المزركشة، وإنهم يفرطون في التزيين الظاهري إفراطا لا نجد له أي أثر عند مسلمي القرون الأولى، مع أنهم كانوا أطول منهم باعا في التقوى وأعظم منهم جاها في الدنيا.

وتغير آخر يتصل بحالة المسلمين الباطنية، هو ما أنبأ به الرسول ﷺ أنهم سيزيّنون مساجدهم[٢]، وهذا التغيُّر قد ظهر اليوم، لأن المسلمين يتسابقون في تزيين مساجدهم تقليدا للأمم الأخرى، ويكثرون فيها من التوشيات والزركشات وتعليق الفوانيس وتسديل الأستار الفاخرة بحيث أنها -على حد تعبير الحديث- أشبه ببيوت الأوثان منها ببيوت الله[٣].

وتغير آخر أنبأ به الرسول ﷺ عن ذلك الزمان، هو أن العرب عندئذ سيبتعدون عن الدين أشد الابتعاد، وأنهم سيهجرون الدين الذي نزل على رجل منهم، فنشأ ببلادهم وانتشر منها إلى غيرها، ونزل كتابه السماوي بلغتهم، وكان ولا يزال يقرأ بها، بل هو الكتاب الذي كتب للغتهم الخلود، لكنهم يتركونه ومع

---

[١] حجج الكرامة في آثار القيامة، ص٢٩٧ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[٢] كنز العمال، ج ١٤ رقم الرواية: ٣٩٧٢٦ طبعة حلب ١٩٧٥م

[٣] حجج الكرامة، ص ٢٩٧طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

كونهم الناطقين باللغة العربية يجهلون دين الإسلام، ولا ينفعهم القرآن شيئا، بل ستكون قلوبهم صفرا من العرفان كمن لا قدرة له على فهم القرآن الكريم.

وذلك كما روى الديلمي عن عليٍّ أن اللسان للناس عندئذ لسان العرب لكن قلوبهم قلوب الأعاجم[1]، أي أنهم سينطقون لغة الضاد لكن قلوبهم أبعد ما تكون عن الدين العربي (الإسلام)، وهذا التغير قد تحقق اليوم أيضا، لأن العرب اليوم أبعد ما يكونون عن الدين، وجهلهم بالدين ليس بأقل ممن لا يستطيعون فهم القرآن بأنفسهم، وليس لهم هاد أو مرشد.

وتغير آخر عظيم أنبأ به الرسول ﷺ، يطرأ على حالة المسلمين هو إن الحرية الدينية ستفقد في البلاد العربية، حتى يتعذر على المؤمنين أن يظهروا أنفسهم بين الناس، كما روى الديلمي عن علي رضي الله عنه إن المؤمنين سيسيرون بين العرب مختفين[2]، هذا التغير أيضا قد تحقق اليوم في العرب، فقد تلاشى فيهم التسامح الديني، إنهم متعصبون لآرائهم وتقاليدهم أشد التعصب، حتى إن نفوس الذين يلبون أحكام الله ورسوله ليست بآمنة من شرهم، إن هذه الآفة وإن كانت عامة في البلاد الإسلامية الأخرى أيضا، لكنها مؤسفة في بلاد العرب، لأن كل مؤمن مستطيع لا بد من أن يزور هذه البلاد لأداء فريضة الحج حسب أوامر الله عز وجل فإن تغير حالتهم هذا يضر دين الحق، فلا يبقى لأداء الحج إلا وجه أن يؤدي هذه الفريضة خفية إلا ما شاء الله. ليت العرب هداهم الله ليعودوا حملة للواء الإسلام، كما كانوا قبل ثلاثة عشر قرنا.

الحالة الأخلاقية

أتناول الآن، بعد ذكر التطورات المتصلة بالدين، تلك العلامات التي أنبأ بها الرسول ﷺ عن تدهور الأخلاق في عصر المسيح الموعود.

---

[1] حجج الكرامة ص ٢٩٧ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[2] حجج الكرامة في آثار القيامة، ص ٢٩٥ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ

إن إحدى علامات عصر المسيح الموعود تفشي الفحشاء والفجور وتباهي الناس بالتفحش المنتشر[١]، كما روى ابن أبي شيبة أن من أمارات القيامة ظهور الفحش والتفحش[٢]، وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن من أشراط الساعة ظهور الزنى.[٣] وروى ابن مردوديه عن أبي هريرة: أنه سيكثر في ذلك الزمن أولاد الزنى.[٤]

إن هذه الألوان من التفحش لموجودة اليوم، وعلاوة على الفحش الأكبر نرى أن الحضارة الغربية قد اتجهت بصدد ذلك اتجاها خطيرا بحيث جعلت دواعي الفحش التي حرمها الإسلام عناصر أساسية لثقافتها، كمخاصرة الأجنبيات في ساحات الرقص، والإطراء في وصف مفاتن النساء واصطحاب الأجنبيات في الرحلات والتنزهات وغيرها، ولم يكن قبل هذا الزمان أن يخيل إلى أحد مثل هذه الفواحش لا في البلاد العربية ولا في غيرها، والهند رغم تأصل الشرك فيها كانت بريئة من مثل هذه الفواحش، وإيران رغم تقاليدها المترفة كانت بعيدة عنها كل البعد، إن الشعب الرومي الذي كان دعامة للمسيحية في الشرق كان خلوا من مثل هذه الرذائل رغم انهياره الخلقي، فلو أميط اللثام عن وجه هذه الفحشاء لأحد من الأقدمين لاستحال عليه التسليم بأن شعبا من الشعوب مع ادعائه بالثقافة والتحضر يمكن أن ينحط إلى حضيض هذه الأعمال الشائنة، بل إنه يعدها عنصرا من ثقافته ومجتمعه، إن الرقصات وألعاب الترفيه كانت في قديم الأيام أيضا، لكن لم يكن ليخطر ببال أحد أن بنات العائلات النبيلة المتمكنة من

---

[١] سنن الترمذي، أبواب الفتن.

[٢] حجج الكرامة في آثار القيامة، ص ٢٩٦ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[٣] صحيح مسلم، كتاب العلم.

[٤] حجج الكرامة، ص ٢٩٦ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ، كنز العمال ج ١٤ ص٢٢٤ رقم الرواية: ٣٨٤٦٥ طبعة حلب ١٩٧٥م.

ذرى الشرف والكرم سيتخذن هذه الأعمال الماجنة حرفة ومفخرة ومدعاة لسمو مكانتهن الاجتماعية، ولن تنال هذه الرذائل من عفافهن وشرفهن شيئا.

وعلاوة على هذه الفواحش السائدة، إن الفاحشة الكبرى- الزنى- أيضا قد بلغت كثرتها أبعد الغايات حتى إنها لم تعد انحرافا خلقيا في معظم البلاد في نطاق المسيحية، بل يعد عملا طبيعيا من الأعمال اليومية. إن المومسات الساقطات كن في العصور الغابرة أيضا، لكن لم يخيل إلى أحد في يوم من الأيام، أن الدول ستجند لجنودها المحاربة جيشا من الفتيات وبرواتب خيالية لكي تقضي مآرب جنودها الجنسية، حتى لا يحتاجوا للخروج من معسكراتهم. من كان يحسب أن صلة المرأة والمرء سيتسع نطاقها اتساعا يبرر مضاجعة الرجل والمرأة بل ويعدها عنصرا هاما من عناصر الحرية الإنسانية ويجعل عقد القران المشروع من مخلفات العبودية الفكرية، كما يرى مئات الألوف من سكان فرنسا وأمريكا. ومن كان يظن أن البحوث الجدية ستجري حول كون العقد المشروع عادة بالية، ولكل رجل أن يضاجع أي امرأة يهوى ليستولدها، والمرأة ليست إلا أداة ثمينة لا بد من استغلالها لتحقيق مصالح البلاد كما يُرى في بعض الأوساط الشيوعية ولا سيما البلشفية.

إذا كان الفحش قد بلغ هذا المدى، فما أكثر أولاد الزنا إذًا، لأن الزنا إذا كان مكروها عند الناس، كره الناس أن يخلفوا مثل هؤلاء الأخلاف، لكن إذا لم يعد الزنا عيبا في المجتمع، وإذا عُدّ عقد النكاح تدخلا مكروها من قبل الدين، فلن يبقى ثمة داع للاستحياء من مثل هذه الذرية، بل الأصح أن نقول: إنه يتعذر في هذا المجتمع العثور على ولد غير هؤلاء الأولاد، كما نرى أن أصحاب النظريات السالفة الذكر يُنجبون مثل هؤلاء الأولاد، ولا يرون فيه بأسا على الإطلاق.

لكن ما عدا هؤلاء المتطرفين، هناك آخرون لا يريدون أن يقلعوا عن عادة عقد النكاح كتقليد قديم، هم الآخرون أيضا يبدون تحمسا زائدا لإبقاء أولاد الزنا بحيث

إن كبار الحكماء يعدونهم نعمة ومنعة للبلاد، ولا يدخرون وسعا في إثارة حركة قوية لضم هؤلاء الأولاد إلى الورثة، أو يشيرون على الحكومة بصورة أخرى بأن تتكفلهم كأبناء الدولة. إذا كانت الظروف الاجتماعية على هذا المنوال، كانت كثرة أولاد الزنا في هذه المناطق أكبر من أن تخطر ببال أحد في العصور السابقة، فضلا عن أن نأتي لها بمثيل سابق.

وتغير آخر أنبأ به النبي ﷺ عن الانهيار الخلقي في ذلك الزمان هو أن شرب الخمر سيبلغ غاية مداه، كما روي في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن من أشراط الساعة أن تُشرب الخمر[١]، وروى أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان: "من أشراط الساعة احتساء الخمر في الطرقات"[٢]. إن كثرة شرب الخمر اليوم لغنية عن البيان، إن أوروبا تستهلك الخمر أكثر بكثير مما تشرب الماء. إن القدماء أيضا كانوا يشربون الخمر كترف أو دواء، لكن الخمر في هذه الأيام تحتسى في معظم أقطار الأرض كجزء هام من الأكل والشرب، وبخاصة إن علامة شربها في الطرقات تميز هذا الزمن عن العصور القديمة، وبما أن الخمر في الأيام الغابرة كانت تستعمل كمتعة من المتع، لذلك لم يبذل لأجل تحضيرها وإحضارها مثل هذه الجهود الحثيثة التي تبذل لها اليوم، وكانت حاناتها في مواضع خاصة متباعدة يشتري الناس منها الخمر، لكن اليوم قد حلت الخمر محل الماء، لذلك غدا من الضروري أن تكون الحانات متقاربة على كل طريق، كما نراها في أوروبا متتابعة متقاربة على حافات الشوارع، لكيلا تجف حلوق المارين وتزود القطارات بالخمارات، وهي وإن لم تزود بالطعام، لكن الخمر موجودة في غرف الانتظار، وفي لندن تقدم كؤوس الخمر والماء بسعر واحد، والماء ليس للشرب بل هو لحاجات أخرى. إن كثرة الخمر يمكن أن تقدر بقصة جرت لأحد دعاة الجماعة الأحمدية

---

[١] صحيح مسلم، كتاب العلم.

[٢] حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٣ روايات عبد الله بن عبيد بن عمير.

بإنجلترا، إن صاحب بيته سُرّ بسيرته الصالحة ومعاملته الجيدة حتى قال له يوما مبديا له عطفه: أريد أن أعظك بواحدة يجب أن لا تنساها وإنك ستقوى بالعمل عليها صحة ونشاطا، وهي أن لا تشرب الماء في هذه البلاد بتاتا، إن أبي كان قد شرب الماء مرة واحدة في حياته، فلم يلبث أن مات في نفس اليوم، وإنني لم أذق الماء حتى اليوم ولا مرة واحدة، فلما أجاب مبشرنا أنه لا يذوق ولا قطرة من الخمر، بل دوما يشرب الماء، دهش الرجل لذلك، وتعذر عليه الاقتناع بذلك.

وتغيُّر خُلقي آخر أنبأ به الرسول ﷺ عن ذلك الزمان، هو أنه سيكثر القمار، كما روى الديلمي عن علي رضي الله عنه، أن من أشراط الساعة كثرة لعب الميسر[1]، وهذا التغير باد لكل ذي عينين وغني عن كل إيضاح، فإن القمار ليس مجرد الشغل الشاغل لأهل أوروبا وأمريكا، بل أصبح جزءا غير منفك من ثقافتهم ومدنيتهم، وله دخْل في كل منحى من مناحي حياتهم بشكل أو آخر. إن الطريق العادي للقمار ليس إلا كلهو بسيط بعد المأدبة، وإضافة إلى ذلك هناك مراكز "اليانصيب" بكثرة حتى يمكن أن نقول إن ربعا من ثروات التجارة يذهب ضحية للقمار، إن أهلها أعيانا كانوا أو عامة الناس، كلهم يلعبون القمار، لا أحيانا بل بشكل يومي تقريبا، ولعل نوادي القمار أغنى من سائر النوادي، وإن نادي القمار الدولي في "مونت كارلو" (موناكو) لأكبر النوادي قاطبة، حيث يلتف أصحاب الملايين حول موائد القمار، وتنتقل هناك في بعض الأيام مئات الملايين من يد إلى أخرى عن طريق القمار. وبالجملة إن للقمار لسيادة وسعة يمكن معها أن لا نخطئ إذا قلنا: إن القمار لو أُبعد عن المدنية المعاصرة، لبقي فيها فراغ لا يسد، بل يمكن أن نقول من غير خشية إنكار أو تكذيب: إن مجموع الأموال التي كانت تبذل للميسر في أي عصر من العصور القديمة طوال سنة كاملة، لأقل

[1] كنز العمال، ج١٤ رقم الرواية ٣٩٦٣٩، مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، ١٩٨١م، الفردوس بمأثور الخطاب، رقم الرواية: ٨٦٧٦، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٦م

بآلاف الأضعاف من الأموال المستهلكة في يوم واحد من العصر الحالي. إن عشرات من أنواع التأمين كالتأمين على الحياة، والتأمين ضد النيران والتأمين ضد السرقات وغيرها، لا يمكن أن تجري بدونها عجلة الحياة اليوم، والتي كان السابقون يجهلونها تمام الجهل.

وتغيُّر خُلقي آخر أنبأ به الرسول ﷺ أنه ستُقتل في ذلك الزمن نفس زكية[1]، وروى ذلك نعيم بن حماد عن عمار بن ياسر والعلماء يؤولون ذلك بتأويلات مختلفة، لكن الحقيقة بينة لا غبار عليها هي أنه سيستحيل في ذلك الزمن العثور على وجود رجل صالح زكي، ففكروا الآن إذا صرفتم النظر عن وجود المسيح الموعود عليه السلام ولفتم الأنظار إلى سائر العالم، فلن تجدوا نفسا زكية. ولقد أتى على المسلمين حينٌ وجدنا فيه مئات الألوف من الأولياء المقربين، لكن اليوم وفي هذه الساعة العصيبة الحالكة على الإسلام لا نجد ولا واحدا من مثل هؤلاء الأولياء، لا شك أن كثيرا من المتصوفين المتعبدين والمشايخ المتبتلين والعلماء موجودون وأن لهم مئات الألوف من الأتباع لكن ليس منهم أحد يستحق أن يسمى نفسا زكية وليس فيهم أحد يتمتع بصلة قريبة بالله، إن ترديد الأوراد ليس من التقاة في شيء إنما التقاة أن يستقي الناس من معين حب الله، ويتجلى الله لهم أيضا بمظاهر الحب وتثور لأجلهم غيرتُه، ويحقق نواياهم ورغباتهم ويفتح عليهم أسرار الكلام المجيد، ويجعل صدورهم منابع المعرفة السماوية، حتى يصيروا جنة تقي المسلمين من هجمات المصائب، ويصبحوا أساة مؤاسين لأمراضهم، لكن مع الأسف لا أحد من هؤلاء الذين يدعون المشايخ والمتصوفين والأقطاب والأبدال والعلماء والفضلاء يتصف بهذه الصفات السامية. فمن البين إذن، إن النفس الزكية قد قتلها أهل الدنيا اليوم، وأحيوا النفس الأمارة، وهي التي صارت غاية غاياتهم.

---

[1] حجج الكرامة ص ٢٩٩ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ، مصنف ابن أبي شيبة رواية رقم: ٤٠٤٤٧ دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة الأولى ٢٠١٥ م

وعلامة أخرى أنبأ بها الرسول ﷺ لذلك الزمان، هي ارتفاع الأمانة[١]، كما روى الديلمي عن علي رضي الله عنه: إن من أشراط الساعة إضاعة الأمانة. إن ما نرى اليوم من ارتفاع الأمانة وحلول الخيانة محلها، لا يحتاج إلى إيضاح أو شرح، إن أهل كل قرية وكل حارة، وأفراد كل دار ليشعرون بأثر مرير لهذا التغير.

وتغير آخر أنبأ به الرسول ﷺ عن الأوضاع الخلقية في ذلك الزمن هو أن الناس سيبدون الجفوة والغلظة للأبوين، ويحسنون إلى أصدقائهم[٢]، كما روى أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان، إن الولد عندئذ سيعصي أباه ويعطف على حميمه[٣]، إن هذا التغير كما نرى على أشده اليوم حتى يعتصر لشدته فؤاد كل نبيل، إن المغرمين بالحضارة الغربية والمستنيرين بالعلوم المعاصرة يفندون آباءهم ويحترزون من صحبتهم، ويسعدون ببذل أوقاتهم الغالية مع الأتراب المتجانسين في الرأي في مجالس الخلاعة والمجون. إنهم يبذرون أموالهم في الحفلات والمآدب مداراة لأصدقائهم لكنهم لا يحفلون بحاجات آبائهم المعدمين، وفي الهند آلاف من الشواهد على أن الأبوين يكدون ويكدحون حتى ويجوعون أنفسهم لأجل تحلية أبنائهم بحلية العلم لكن ما إنْ يظفر الأبناء بمنصب عال بعد التخرج في الكليات يستصغرون آباءهم حتى يرون مجالستهم عارا، ويحطون من شأنهم حتى يعدهم الأجانب من خدمهم. وقد لا نرى لذلك مثلا واحدا في العصور الغابرة بينما نجد اليوم الآلاف من أمثلته.

الحالة العلمية

كما أن رسول الله ﷺ صرح بالأوضاع الأخلاقية في زمن المسيح الموعود كذلك بين ﷺ أحوال ذلك الزمن العلمية أيضا كما رُوي في الترمذي عن أنس

---

[١] سنن الترمذي، أبواب الفتن.

[٢] سنن الترمذي، أبواب الفتن.

[٣] حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٣ روايات عبد الله بن عبيد بن عمير.

ابن مالك: من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل. ونفس الرواية باختلاف يسير قد وردت في صحيح البخاري[1] عن أنس ﷺ وهذا التغير قد تحقق اليوم، وقد أتى على المسلمين زمن كانت نساؤهم فيه أيضا فقيهات. يقول عمر ﷺ: إن نساء الأنصار لأعلم منه في القرآن، وأراد بذلك أن كل صبي من صبيان الأنصار ليعلم من القرآن ما يستطيع به أن ينقد فتاوى العلماء، لا عن جهل أو سفاهة بل بعلم وأدلة. من الذي يمكن أن ينكر تفقه حضرة عائشة رضي الله عنها؟ لكن اليوم أصبح علم الدين وجهة أولئك الذين لا يستطيعون تحصيل العلوم المعاصرة الأخرى والعلم الذي يتم تحصيله فقط لأنه لا يكلفهم شيئا، وإنما هو بمثابة مرتزق رخيص لهم، فكيف يمكن أن يكون مثل هذا العلم مباركا، وأي نفع يرجى ممن يتعلمه بهذه النية.

ويؤيد هذا الحديث النبوي أحاديث أخرى أيضا، وليس المراد منه أن العلوم بأسرها سترتفع عندئذ وإنما المراد به العلوم الدينية فقط إذ أن توسع العلوم الدنيوية وتطورها ثابت من الأحاديث. فورد في سنن الترمذي عن أبي هريرة أنه سيتم في الزمن الأخير تعلم العلوم لأهداف غير دينية[2]. وهذا ما نراه اليوم متحققا، إن العلوم الدنيوية تقدمت تقدما مدهشا، والعلوم الدينية أصبحت ضحية الإعراض، حتى يُعَدّ الجهّال علماء.

الأوضاع التمدنية والاجتماعية

إن رسول الله ﷺ قد رسم صورة الحالة الاجتماعية في ذلك الزمن وصرح بكثير من العلامات التي تحدد صورة المجتمع في تلك الأيام، ومنها تغير صورة التحية والسلام. كما روى أحمد بن حنبل عن معاذ بن أنس بأن من أمارات

---

[1] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل.

[2] سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة.

فساد الأمة وانهيارها في ذلك الزّمن (وهو زمن المسيح الموعود) أن الناس سيتلاعنون عند اللقاء. إن الشارحين فسروا هذا الحديث بسباب أراذل الناس عند اللقاء، لكنه قد أشير فيه إلى تغيّر أكبر من ذلك وأخطر، وهو ما لا نجده في الأراذل فقط بل نراه في أشراف المسلمين أيضا ببعض المناطق، فإنهم يرون التسليم الإسلامي عارا، ويرددون بدلا منه كلمات العبودية والتسليم بل يقلدون الهنادك ويقولون: "بندگی" (العبودية) التي يراد بها أنني أقر لك بعبوديتي. وإن استعمال مثل هذه الكلمات الدالة على الشرك موضع "السلام عليكم" ليس في الواقع إلا الملاعنة لأن مسلما إذا تفوه بكلمات الشرك وقدم عبوديته التي هي حق الله ﷻ لغيره من بني الإنسان فكأنه يتبادل لعنة الله. وكلمة "آداب" التي هي أكثر شيوعا في المسلمين لا تعني في الحقيقة إلا معاني العبودية والطاعة، وقد اختاروا هذه الكلمة دون غيرها لكي يحتفظوا بها من شعور الملامة التي تنشأ عن تكرار مثل كلمات الشرك هذه.

تغير اجتماعي آخر

وتغير اجتماعي آخر أنبأ به الرسول ﷺ هو أن الشرف والكرامة في المسلمين عندئذ لا يكون لأجل الدين بل إنما يكون لأجل الأموال والخدمات السياسية[1]. ولقد روى ابن مردويه عن ابن عباس أن من أشراط الساعة تعظيم صاحب المال. وهذه الحالة بادية لكل ذي عينين. إن العادة العريقة من تفوق الوجاهة العائلية على سائر دواعي الشرف قد تلاشت الآن. واقتصر معيار العز والكرامة على المال وحده، وكان الأشراف والنبلاء في أوائل الأيام يحضرون مجالس العلماء، والآن انعكست القضية إذ أصبح العلماء يعتزون بصداقة الأغنياء أو بتعبير آخر إنهم يحظون اليوم بالخضوع على أبوابهم.

---

[1] حجج الكرامة في آثار الكرامة ص ٢٩٧ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

كذلك روي عن حذيفة بن اليمان أنه سيأتي على الناس زمان، يُمدح فيه الرجل ويقال عنه: ما أجلده وأظرفه وأعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان.[١]

وهذه الحالة قد تحققت اليوم؛ فلو أن رجلا مهما كان ملحدا، نادى بحماية حقوق المسلمين، لصار للتوّ زعيمهم بغير منازع، لا يتساءل عندئذ أحد كيف جعل الله هذا الرجل زعيم المسلمين وهو لا يمت إلى الإسلام بصلة، بل سيقولون كفى به زعيما لأنه خطيب مفوّه ويستطيع أن يواجه أنداده بحكمة وبسالة، أو إنه متفان في سبيل تحقيق المصالح السياسية.

وتغير آخر أنبأ به الرسول ﷺ هو أن المؤمنين يكونون عندئذ أذلاء يتسترون ويخافون على أنفسهم بطش الناس[٢]. وقد روى ابن مردويه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال بأن من أشراط الساعة أن المؤمن سيُعَدُّ أذل من الأَمَة[٣]، الأمر الذي يدل على أن الناس يستسيغون التودد إلى الإماء ويتزوجونهن لكن لا يرضى أحد عندئذ الاتصال بالمؤمن.

كذلك روى الديلمي عن علي رضي الله عنه بأن المؤمنين سيتسترون الناس.

لقد تحققت هذه الحالة هي الأخرى إذ أن الاتصال بالمؤمنين يعتبر مكروها وليس أشنع من بين المسلمين ممن يتبع القرآن المجيد والرسول الأعظم ﷺ حق الاتباع، حتى أن هذه العلامة قد زادت وضوحا بعد بعثة المسيح الموعود عليه السلام. إن مخالطة المومسات الخليعات ومصادقة النافرين عن المساجد والخونة الكذابين والتودد إلى المجترئين على عظمة الله وشرف رسوله ومجاملتهم، كل ذلك جائز مُرضٍ، لكن الذين لبّوا دعوة السماء لا يلقون منهم إلا الطرد والعداء.

---

[١] سنن الترمذي، أبواب الفتن.

[٢] حجج الكرامة في آثار الكرامة، ص ٢٩٥ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

[٣] تفسير الدر المنثور، تفسير سورة محمد آية: ١٨

وعلامة أخرى أنبأ بها الرسول الأعظم ﷺ هي أن الإقبال على اللغة العربية سينحط في المسلمين[١]. فروى ابن مردويه عن ابن عباس: أن من أشراط الساعة الصفوف الطويلة للصلاة، واختلاف ألسنة المصلين. وأوضح صورة لذلك نراها في الحج. كان من أهداف الحج الكبرى أن تجتمع به كلمة المسلمين، لكنهم لما أهملوا اللغة العربية، لم يستفيدوا منه من ناحية المصالح الاجتماعية والمِلّية شيئا، ما عدا تأدية الفريضة. فلو عزم المسلمون على إحياء اللغة العربية، لَنِيط بها المسلمون في أقطار العالم كافة بعروة الوحدة الوثقى التي لا انفصام لها رغم هجمات العدو.

وتطور آخر أنبأ به الرسول ﷺ عن الأوضاع الاجتماعية اليوم، هو أن النساء عندئذ يكن كاسيات عاريات.

وهذه الحالة قد تحققت اليوم بصورتين:

أولا: إن الأثواب الفاخرة المختصة بالأغنياء قد رخصت رخصا جعلها في متناول جميع الناس، والأثواب الرقيقة قد عمت في الأسواق، وهي وإن كانت زينة خيالية للابسها، لكنها تبدي أكثر مما تخفي، ومع ذلك معظم أهل الدنيا مشغوفون بها أيما شغف، يحسبونها زينة للمرأة.

وثانيا: إن لباس الأوروبيات والأمريكيات يبدي من أجسامهن بعض الأجزاء التي ينبغي أن تكون مستورة، كتعرية معظم صدورهن وتجريد أذرعهن، فبهذه الأزياء المخجلة هن كاسيات عاريات[٢]، فجملة القول: إن ظهور هذه العلامة كان بصورتين: باستعمال المسلمات الأثواب الرقاق أولا، وثانيًا بتقصير المسيحيات ملابسهن وبتعرية الصدور والرؤوس وتجريد الأذرع.

---

[١] كنز العمال، المجلد ١٤، تتمة الأشراط الصغرى

[٢] مسند أحمد بن حنبل، المجلد الثاني، أول مسند عبد الله بن عمرو بن العاص

وعلامة أخرى أنبأ بها الرسول ﷺ عن الزمن الأخير، وهي موعد ظهور المسيح الموعود عليه السلام، وحينها سترفع النساء لماتهن حتى تبدو كسنام البُخْت من الإبل[١]. فالنساء في أوروبا يكرهن تضفير الشعر، بل يكوّمنه على الرؤوس بالمرافع والملاقط فيبدو كأنهن وضعن على الرؤوس شيئا آخر، فالشعوب الأخرى أيضا أخذت تقلد الأوروبيات متأثرة بسيطرة حكومية أوروبية وترى في تقليدهن نهضة الحضارة والثقافة، كما يرى سائر الناس أقوال الأوروبيين وأفعالهم بأنظار الإجلال والتقدير، ويفضلونها حتى على الوحي السماوي.

وعلامة أخرى روى بها ابن عباس عن النبي ﷺ، وهي أن المرأة عندئذ تشارك زوجها في التجارة[٢] وقد تبدت هذه العلامة أيضا بكل وضوح، حتى أصبحت التجارة كاسدة بغير الفتيات، وزد على ذلك أن المخازن الكبرى في مدن أوروبا تستخدم الفاتنات من النساء لاستجلاب أنظار المشترين واستهواء قلوبهم لكي يضطروا لشراء حاجاتهم من هناك ولا يعودوا بغير شراء.

وعلامة أخرى أنبأ بها الرسول ﷺ عن مدنية ذلك الزمان، هي أن النساء يكن عندئذ متحررات منطلقات من القيود، حتى يلبسن لباس الرجال، ويركبن الجياد[٣]، بل يحكمن الرجال[٤]. بدا هذا التغيير أيضا في الحضارة المعاصرة، وقد أخذ الناس في أمريكا والبلاد المسيحية الأخرى يستعملون تعبير "حرية النساء" بمعان خاطئة متطرفة يتحير لها العقل، وقلدهم في ذلك أتباع سائر الأديان أيضا، وبتأثير هذه الاتجاهات الزائغة، انقلبت الثقافة المعاصرة بالنسبة للثقافة القديمة رأسا على عقب، فالنساء أكثرن الخروج مع الرجال في رحلات الصيد ويساهمن في

---

[١] صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات...

[٢] كنز العمال، المجلد ١٤، الإكمال من أشراط الساعة الكبرى

[٣] كنز العمال، المجلد ١٦، الإكمال من الفصل الأول في ترهيبات تختص بالنساء

[٤] حجج الكرامة في آثار القيامة، ص ٢٩٨ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

السباقات، بل يأتين بحركات بهلوانية غريبة في الملاهي، وعادة لبس الملابس الرجالية سادت البلاد المسيحية، وبخاصة بعد الحرب العالمية الأولى. بدأت مئات الألوف من النساء يلبسن ملابس الرجال، فالسترة القصيرة والسروال الضيق أصبحا من الموضة.

وسيطرة النساء على الرجال اليوم لأعجب ما تكون من نوعها، وفي الواقع، بسبب التمدن الأوروبي وتأثيره طرأ على تمدن الشعوب الأخرى انقلاب بحيث لم يبق ثمة أمل لصلاحه إلا إذا شاء الله بفضله، وإما أنها تدفع الإنسانية إلى فتن صماء أو تنقرض عادة الزواج للأبد، وتتعرض البشرية لكارثة لا تحتمل.

وعلامة أخرى أنبأ بها رسول الله ﷺ عن مدنية ذلك الزمان هي أن الرجال عندئذ سيتجملون بالزينة كالنساء ويتشبّهون بهن[١]، هذه التغيرات أيضا قد تحققت، إن الأكثرية الساحقة من رجال العالم يتشبهون بالنساء بتحليق اللحى. كانت اللحية في يوم من الأيام حلية الرجل، وكانت للمسلمين شعار الإسلام طبق أسوة الرسول ﷺ، والآن أكثر الوجوه عاطلة منها بل إن الزعماء الذين لهم مكانتهم المرموقة في المجتمع الإسلامي أيضا يرون أناقتهم في تحليقها.

ومظهر آخر لهذا النبأ ما نرى في الملاهي والمسارح حيث يرتدي الرجال ملابس النساء والنساء ملابس الرجال، يتلاعبون ويتراقصون، وكذلك أن الرجال في أوروبا وأمريكا يهتمون بنظافة رؤوسهم وتزيينها اهتماما إن قلّ عن اهتمام النساء المعاصرات إلا أنه أشد من اهتمام النساء في الأزمنة المنصرمة.

الحالة الصحية

أنبأ النبي ﷺ بالأحوال الجسمانية والصحية في عصر المسيح الموعود عليه السلام كما روي في الترمذي عن أنس: أن الدجال لما يظهر ويتجه إلى المدينة، يحدث عندئذ

---

[١] كنز العمال، المجلد الثالث، الإفراط في الزينة

الطاعون، فيجنب الله تعالى المدينةَ من الدجال والطاعون كليهما[١]، إن الطاعون لم يزل يجرف بالناس منذ خمسة وعشرين عاما حتى أتى هذا المرض الوبيل على مئات الألوف من البيوت، وخرب مئات المدن والقرى، لكن الله ﷻ قد نجّى مكة والمدينة من هجومه الفتاك، وقد أوجد لخطره العوامل المادية من إقامة أماكن الحجر الصحي العديدة التي تعمل على تعقيم سموم هذا الوباء. ولقد أخبر الرسول ﷺ بالطاعون بكلمات مختلفة، فأحيانا عبر عنه بلفظ دابة الأرض[٢]، لأن هذا المرض ينشأ عن جرثومة أرضية تهجم على الإنسان، وقد ذكر هذا المرض في القرآن بنفس الاسم. إن الطاعون ليس بمرض عادي، بل إنه لمرض خطير قد أنشب أظفاره في معظم أقاليم الأرض، وقد ألقى رحاله في الهند منذ ستة وعشرين عاما حتى اليوم.

ولا تتضمن نبوءة خروج الدابة مجرد نبأ تفشي الطاعون، بل تتضمن إشارة إلى عدة أمراض أخرى تنتشر في الدنيا عن طريق أدق الميكروبات. ونرى اليوم أن كثيرا من الأمراض تنتشر بالميكروبات الدقيقة، التي لم تكن معروفة من قبل على الإطلاق، أو كانت معروفة، لكنها لم تكن قد ظهرت بهذه الصورة؛ وعليه فقد أشير بهذا النبأ القرآني وبما أنبأ به الرسول ﷺ إلى اختراع المجهر أيضا، إذ من المستحيل بغيره اكتشاف الميكروبات التي سميت بالدابة، وقبل اختراعه كانت نهاية مطاف الأطباء في تحديد عوامل المرض إلى البلغم، والصفراء والسوداء والدم فقط.

ومن العلامات التي حددها الرسول ﷺ، في صدد الصحة العامة في زمن المسيح الموعود أنه سيظهر عندئذ موت الفجاءة[٣]، أي إنه يكثر وقوعه، وإلا فإن حدوثه كان قليلا في كل زمن، فطبقا للنبأ إن حوادث الموت المفاجئ قد عمت في

---

[١] سنن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في أن الدجال لا يدخل المدينة

[٢] سنن الترمذي، كِتَاب الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب ما جاء في الخسف

[٣] حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٣ روايات عبد الله بن عبيد بن عمير

هذا العصر، وأكبر عوامله اليوم كثرة شرب الخمر من ناحية ومن ناحية أخرى كثرة العلوم، الخمر تنال من قلب الإنسان وفكره، وكثرة المطالعة والاستغراق في الأعمال الشاقة تفت الأعصاب، وهذان العاملان على أشدهما اليوم، الأمر الذي قد أدى إلى كثرة مدهشة من الموت المفاجئ في الأمم السكيرة، حتى تموت ألوف من الناس بأمراض القلب قائمين أو قاعدين أو مضطجعين، ولم يسبق لذلك مثيل في العصور المتقدمة.

أنبأ الرسول ﷺ عن الصحة العامة في هذا العصر أنه سيظهر عندئذ مرض الأنف، ويهلك كثير من الناس[1]، هذا المرض قد ظهر ويعرف اليوم بالنزلة الوافدة، وهلك بهذا المرض عشرون مليون في ١٩١٨م مع أن الهالكين في الحرب العالمية الأولى لم يبلغوا ستة ملايين خلال خمس سنوات. كان واحد ونصف بالمائة من سكان العالم قد قضى عليهم هذا المرض الوبيل، وأصبح دليلا مؤكدا على قيام الساعة، لأن الناس رأوا بأم أعينهم أن الله إذا أراد القضاء على العالم أجمع فلا راد لإرادته عز وعلا.

النسبة بين جنسي البشر (الرجل والمرأة)

إن رسول الله ﷺ قد أوضح حدود النسبة بين الرجال والنساء قائلا إن النساء في ذلك العصر سيكن أكثر من الرجال، حتى أن الرجل الواحد سيكون قواما على خمسين امرأة[2]، وقد تحقق هذا النبأ أيضا، واليوم إن النساء أكثر من الرجال، وقد كثرت النساء في بعض البلاد الأوروبية، وبسبب كثرة هلاك الرجال في الحروب قد اضطرت الشعوب الأوروبية التي كانت تهزأ بتعدد الزوجات في الإسلام إلى التفكير الجدي في هذه القضية، وأخذت ترى أن علاج هذه المشكلة العويصة

[1] صحيح مسلم، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل..

[2] سننن الترمذي، أبواب الفتن، باب ما جاء في أشراط الساعة، الحديث رقم ٢٣٠١

ليس إلا تعدد الزوجات، وأخذ كبار الحكماء والفلاسفة في أوروبا يكتبون حول حل هذه المشكلة قائلين إن الدول المعاصرة لا بد من إنقاذها من الانهيار النهائي والإبقاء على نظم التمدن فيها إما بإجازة تعدد الزوجات أو التخفيف من استنكار الزنا، ويتجه أكثر الناس إلى أنه ينبغي أن لا يجر من يتزوج أكثر من واحدة إلى المحاكم ويجب أن نغض عنه البصر، وكل ذلك من الكثرة المدهشة للنساء، لأن تعدد الزوجات في الماضي القريب كان من أكبر الكبائر عند أهل أوروبا ولم يكن لأي مسيحي أن يقول بذلك ولا بإشارة، بل إن المسلمين أيضا أخذوا يعتذرون على ذلك نظرا لكراهة الأوروبيين الشديدة لتعدد الزوجات.

العلاقات بين الدول

صرح رسول الله ﷺ عن زمن المسيح الموعود بصلات الدول المتبادلة، وقد أخبر ﷺ بأن وسائل السفر ستظهر بحيث يترك الناس الوسائل القديمة مهجورة، والناس سيتخذون المراكب الجديدة ويهملون القديمة، وتقطع المراكب الحديثة البر والبحر، كما قال ﷺ: "ولتتركنّ القلاص فلا يسعى عليها"[1] واليوم قد تحقق ذلك أيضا، إن المراكب القديمة أصبحت معطلة ومتروكة في معظم البلاد بسبب القطار، وفي البداية كان ثمة القطار فقط من المركبات الحديثة، فكان الناس بحاجة إلى السفر على الجمال وغيرها، لكنه منذ أن اختُرعت السيارة استغنينا عن كل ذلك أيضا شيئا فشيئا، وكلما تقدمت المراكب الحديثة، زاد ترك المراكب القديمة.

وكان رسول الله ﷺ قد أنبأ عن ذلك الزمان، بأنه سيظهر فيه إضافة إلى القطارات البواخر، كما قال ﷺ إن حمار الدجال سيقطع البر والبحر، وأمامه وخلفه سحاب من الدخان[2]، إنما أراد ﷺ من ذلك القطارات والبواخر فقط، لأن

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الإيمان

[2] كنز العمال، المجلد ١٤، الدجال

ذلك هو الحمار الذي يجري في البر والبحر، وقد استغلت الكنيسة المسيحية العالمية ذلك الحمار استغلالا ليس له مثيل في الأقوام الأخرى، وعلى ظهر ذلك بلغ القساوسة متأبطين الأناجيل إلى أقصى بلاد العالم، وأحاطوا بجميع أصقاع الدنيا بحبال الدجل، ويستصحب القطار والباخرة سحب دخان تارة من الأمام وأُخرى من الخلف وهي لا تفارقهما أبدا، وأكلهما الحجارة (الفحم الحجري) التي ورد ذكرها في الأحاديث النبوية كطعام لحمار الدجال، هذه المراكب الحديثة قد أحدثت تطورا حاسما في العلاقات الدولية.

الأوضاع الاقتصادية

إن رسول الله ﷺ قد أوضح صورة الأوضاع الاقتصادية أيضا كما روى أبو نعيم عن حذيفة بن اليمان في الحلية: أن رسول الله ﷺ قال: إن من علامات القيامة كثرة الذهب وكون الفضة بغية الناس. تحققت اليوم هذه العلامة أيضا، وكثر الذهب كثرة لم يكن عشر معشارها من قبل، وتفتحت المخازن الكبرى للذهب والفضة وتم اكتشاف أحدث الوسائل لاستخراجهما، الأمر الذي أدى إلى مضاعفة مقادير الذهب في الأسواق العالمية. لو نظرنا مثلاً إلى الذهب في إنجلترا فقط، لوجدناه أضعاف الذهب الموجود في العصور القديمة في العالم بأجمعه، فمن آثار هذا التطور الواضحة ازدهار التجارة التي يحرك عجلاتها الذهب والفضة، بينما كانت في أوائل العصور بالفلوس وأجزائها التي أصبحت اليوم مهجورة في أكثر البلاد مثل إنجلترا وأمريكا، حيث أصغر عملة يساوي أربعة فلوس وفلسين بالترتيب، ومعظم الحركة التجارية فيها يجرى بالعملة الذهبية فقط.

ومما أنبأ به النبي ﷺ عن الوضع الاقتصادي لذلك الوقت أن الربا في ذلك العصر سيتسع نطاقه اتساعا مدهشا، كما روى الديلمي عن علي رضي الله عنه أن من

علامات قرب القيامة تضاعف أكل الربا.[١] وقد تحقق اليوم ذلك النبأ أيضا، وازدهر الربا ازدهارا لم يسبق له مثيل ولا واحد من مئات الملايين، وتجري جميع أنواع التجارة إلا ما شذ وندر بالربا، حتى يقال أنه لا يمكن العيش بغير الربا. وكثرت المصارف المالية حتى زادت عن الألوف، تؤتي الدول الربا وتأخذه، والتجار يؤتون الربا ويأخذونه، والصناع يؤتون الربا ويأخذون، والأثرياء يؤتون الربا ويأخذونه، وبالجملة جميع الشعوب تشتغل بالربا، أو بلفظ آخر هذا عصر قد أخذ فيه كل رجل على نفسه أن يستغل أموال غيره، ويقدم أمواله للاستغلال، واليوم إذا كانت التجارة بعشرة ملايين، فلعل بضعة آلاف منها تخلص من الربا، أما سائرها فمتداول في أبواب الربا، فالمسلمون الذين قيل لهم ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة: ٢٨٠)، إلا أن معظمهم قد أخذوا يأكلون الربا باسم الفائدة، وبعضهم يتعاملون به معترفين بعجزهم، والعلماء قد أفتو بجوازه بشتى التأويلات، وأزاحوا عن طريق تحريمه جميع العقبات قائلين بجوازه في البلاد الخاضعة لحكم الكفار، واجترؤوا على وضع شرع جديد بعد آخر الشرائع، ويتبين من هذه الأوضاع كلها أن هجوم الربا لأعنف من أن يقاومه أحد إلا من نجاه الله.

وميزة أخرى أنبأ بها الرسول ﷺ عن الأوضاع الاقتصادية في هذه الفترة الأخيرة من الزمان، أن الأغنياء عندئذ هم من النصارى، دون سائر الناس، كما نقل الترمذي برواية النواس بن سمعان. أن النبي ﷺ قال إن الدجال سيقول للناس آمنوا بي، فإن الناس الذين يكفرونه فجميع أموالهم ستذهب مع الدجال، أما الذين يؤمنون به فيصبحون أثرياء، فهو يمطر لهم من السماء وينبت لهم من الأرض.[٢]

---

[١] الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي باب السين رقم الرواية ٣٤٤٦ دار الكتب العلمية بيروت طبعة ١٩٨٦م

[٢] سنن الترمذي، أبواب الفتن،باب ما جاء في فتنة الدجال

فتحقق اليوم ذلك أيضا، إن الشعوب المسيحية تتضاعف أموالها ليل نهار على حساب الشعوب الفقيرة الأخرى التي تزداد فقرا وعوزا يوما فيوما، وهذه الحالة متكررة باستمرار منذ قرن أو أكثر.

الأوضاع السياسية

رسم رسول الله للأوضاع السياسية في زمن المسيح الموعود صورة تمثل العصر الحاضر أصدق تمثيل؛ فيما يلي بعض التطورات السياسية التي كان لا بد من أن تحدث طبق الأنباء:

١- نقل أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان عن رسول الله ﷺ أنه قال إن من علامات الساعة أن المسلمين سيكونون عندئذ هدفا لأفظع المصائب والكوارث التي تجعلهم كاليهود[1]، ومراده ﷺ بذلك أن الدول الإسلامية ستتحطم وتذهب ريحها، ويصيرون أذلة على موائد الشعوب الأخرى، وقد تحقق ذلك النبأ أيضا، فقد انطمست الدول الإسلامية، ولم تبق منها إلا آثار ضئيلة، أتى على الإسلام حينٌ كانت أعلامه خفاقة في أجواء العالم أجمع، أما اليوم فهذه الأعلام لا تجد مكانا لها. وإن جميع الدول الإسلامية لتستغيث بالدول المسيحية لأجل بقائها، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وتطور سياسي آخر أنبأ به النبي الكريم ﷺ هو أن الشام والعراق ومصر ستنزع من أيدي ملوكها، وتصبح بلاد العرب نهبة للفوضى، كما رُوي في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إن العراق ستمنع دراهمها وغلالها، والشام تمسك دنانيرها وغلالها، ومصر أيضا تحتكر غلالها، وستعودون إلى ما كنتم عليه من العداء والتباغض[2]، هذه العلامة أيضا قد تحققت اليوم، إن العراق والشام

[1] حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٣ روايات عبد الله بن عبيد بن عمير.

[2] صحيح مسلم، كتاب الفتن

ومصر قد خرجت من سلطة السلطان، وأصبحت لا تؤدي شيئا من الخراج أو المساعدة إلى الدولة العثمانية، وعادت البلاد العربية سيرتها الأولى من الفوضى والطائفية، إن الحجاز وإن كانت بها حكومة مستقرة، غير أنها غير مصونة بسبب كثرة الأعداء وقلة الموارد، وما عداها من البلاد العربية فإنها ما زالت نهبة التفكك والاضطراب، ولم تعد حكوماتها مستقرة ولا متحضرة.

وتطور سياسي آخر أنبأ به النبي ﷺ هو أن يأجوج ومأجوج سيملكان في ذلك العصر قوة لا يقوى عليها أحد من سائر الشعوب، كما جاء في صحيح مسلم والترمذي عن النواس بن سمعان أن الله ﷻ سيوحي إلى المسيح الموعود أن:

(إني قد أخرجت عبادا لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرّز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج)[١]

هذه العلامة أيضا قد تحققت اليوم، إذ قد ظهر يأجوج ومأجوج، وليس لأحد أن يقاومهما، وهما بالترتيب روسيا والدولة الإنكليزية وحلفاؤهما، كما ورد في العهد القديم: "ياجوج، ملك روسيا وتوبولسك. وماجوج، الذي يحكم الجزر في أمن وطمأنينة"[٢]. وهاتان الأمتان مع حلفائهما قد بلغتا ذروة الرقي والتقدم، وإنّ تقدمها المدهش -كما يتبين من الأحاديث النبوية- كان مقدرا بعد نزول المسيح الموعود، فلذا إن تقدمها هذا يدل بذاته على أن المسيح الموعود قد نزل وظهر.

وتطور سياسي آخر أنبأ به النبي ﷺ، هو أن العمال الكادحين في ذلك العصر سيدركون غاية قوتهم، كما ورد في رواية نقلها أبو نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان أن من أشراط الساعة: أنه سيكون الحفاة العراة العالة ملوكا[٣]. والعراة هنا

[١] صحيح مسلم، وسنن الترمذي، كتاب الفتن.

[٢] حزقيال: الأصحاح: ٣٩

[٣] حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٣ روايات عبد الله بن عبيد بن عمير.

عريٌ نسبي، فإن الفقراء الذين لا يجدون من اللباس إلا قليلا يعتبرون عراة مقابل الأغنياء، هذه العلامة أيضا قد تحققت اليوم، إذ أن ازدهار النظام النيابي (البرلماني) للحكومة يساعد على اتساع سلطان العمال وحكمهم، حتى إن جبابرة الملوك لترتعد فرائصهم من قوة العمال الهائلة، وكل حزب مهما كان قويا ليرى نفسه مهددا بالأخطار بغير مصالحة العمال، وفي بعض البلاد كروسيا وسويسرا وبعض مناطق أستراليا توجد السلطات العليا بأيديهم، وإن أحزاب العمال تزداد قوة يوما فيوما.

وتطور آخر في الأوضاع السياسية الذي أنبأ به النبي الكريم ﷺ هو كثرة الحكام، كما ورد في رواية أبي نعيم في الحلية عن حذيفة بن اليمان، أن الشُّرط ستكثر في ذلك الزمان[١]، والشرط هم أنصار الوالي ونوابه، وهذه العلامة أيضا قد تحققت اليوم، إذ أن النظام القديم للحكومة ما كان يحتاج الحكام إلى كثرة العمال وكان يكفي رجل أو رجلان لولاية منطقة واسعة، لكن اليوم قد تغير نظام الحكم وتشعبت واجبات الحكومة تشعبا لا يكفيه إلا الأضعاف المضاعفة من العمال والمساعدين للضباط. إن دوائر الشرطة والصحة العامة، والمحاكم العامة والتسجيلات المتنوعة وتشييد المباني والبريد والقطارات والبرقيات والري ومراقبة المخدرات والمسكرات وغيرها، قد وسعت تلك الدوائر توسيعا لم يسبق له مثيل، لذلك اضطرت الحكومات للجنود المجندة من العمال المساعدين.

وتطور سياسي آخر أنبأ به النبي ﷺ هو ترك الحدود الشرعية[٢] والإعراض عنها كما روى الديلمي عن علي رضي الله عنه: أن من علامات ذلك الزمان ترك حدود الله عز وجل. وهذه العلامة أيضا قد تحققت اليوم، إذ أن حدود الشريعة مهجورة في البلاد

---

[١] كنز العمال، المجلد ١٤، الإكمال من أشراط الساعة الكبرى

[٢] حجج الكرامة في آثار القيامة، ص ٢٩٩ طبعة بهوبال ١٢٠٩هـ.

الإسلامية إلا ما شذ وندر، ولا يرجم الزاني ولا تقطع يد السارق في تركيا ومصر وإيران وأفغانستان أيضا، بل إن بعض الدول الإسلامية محظورة من تطبيق هذه الحدود بالاتفاقيات والعهود، وظهور هذه العلامة واضح كل الوضوح، إذ لم تكن مخالفة الحدود في الحسبان في العصور الإسلامية المزدهرة، ولم يكن يخيل إلى أحد أن الممالك الإسلامية لا تكون قادرة على تنفيذ الحدود رغم رغبتها في التنفيذ.

وما عدا هذه العلامات المنوطة بحياة الإنسان الدينية والخلقية والعلمية والجسمانية والسياسية والشعبية والحضارية وغيرها، فإن النبي ﷺ صرح أيضا بعلامات تتعلق بالتقلبات الأرضية والسماوية ومنها ما يلي:

التقلبات الأرضية

قد روى حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ لمّا فرغ من بيان أشراط الساعة، قال إذا تحققت هذه العلامات فانتظروا كوارث أخرى ومنها الخسف[١]، وهو كما يتبين من علم الطبيعيات يحدث نتيجة الزلازل. فقد أراد النبي ﷺ من الخسف حدوث الزلازل، فهذا التقلب الأرضي الذي يسبب الزلازل قد حدث اليوم، وحدث من الزلازل في العالم في عشرين سنة ماضية ما لم يحدث في ثلاثة قرون قبلها، وفي هذه المدة ذاتها هلك بالزلازل من الناس ما لم يهلك بها في قرون عديدة.

العلامات السماوية

ما عدا التقلبات الأرضية، صرح النبي ﷺ ببعض العلامات السماوية في عصر المسيح الموعود عليه السلام ككسوف الشمس والقمر في يومين محددين في رمضان، وأكد ﷺ بظهور هاتين الآيتين قائلا بأنهما لم تحدثا في عصر نبي منذ بدء الخليقة، ونص الحديث النبوي هو:

---

[١] صحيح ابن حبان، كتاب التاريخ، ذكر البيان بأن هذا العدد المذكور للأشياء المتوقعة قبل خروج المسيح.

إن لمهدينا آيتين لم تكونا منذ خلق السماوات والأرض، ينخسف القمر لأول ليلة من رمضان وتنكسف الشمس في النصف منه، ولم تكونا منذ خلق الله السماوات والأرض.[١]

وهذه الآية تتضمن عدة ميزات خاصة، أولا أنها لم تحدث إلا للمهدي، وثانيا أن كتب أهل السنة وأهل التشيع متفقة على صحة هذه الرواية، فلا غبار عليها من الوضع أو التدليس. ثالثا أن العلامات التى تضمنتها هذه الآية هي ما ذكرتها الكتب السماوية السابقة عن خبر البعثة الثانية للمسيح؛ كما ورد في الإنجيل أن من آيات البعثة الثانية للمسيح أن الشمس ستصير مظلمة والقمر سيتعطل عن أضوائه.[٢] والمراد من ذلك بلفظ آخر كسوف الشمس والقمر في ذلك العصر.

إنني وإن كنت الآن بصدد الأنباء الواردة في الحديث النبوي، غير أنني أراني لا أخرج عن سياق الكلام إذا ذكرت أن القرآن الحكيم أيضا ذكر علامة خسوف الشمس والقمر في عداد الآيات الدالة على قرب القيامة، كما قال الله عز وعلا في سورة القيامة:

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (القيامة: ٧-١٠)

فبما أن ظهور المسيح أيضا منوط بقرب القيامة لذلك يتبين أن القرآن أيضا يصدق الحديث السالف الذكر.

جملة القول أننا كما سبق أن ذكرنا أن لهذا النبأ أهميته وقيمته ونرى أنه قد تحقق تماما طبق نصه في ١٣١١هـ الموافق لـ ١٨٩٤م أي انكسف القمر والشمس في رمضان في سنة واحدة، وتم كسوف القمر في اليوم الأول (الثالث

[١] سنن الدارقطني: كتاب العيدين، باب صفة صلاة الخسوف والكسوف

[٢] متى ٢٤: ٢٩

عشر من رمضان) من أيام كسوفه، وانكسفت الشمس في اليوم المتوسط من أيام كسوفها (الثامن والعشرين من رمضان)، وحدث كل ذلك في عصر رجل ادعى المهدوية.

ولا بد لكل مسلم أن يختار أحد الطريقين؛ إما أن يؤمن بالحديث النبوي الذي يصرح بأن هذه الآية من انكساف القمر والشمس في اليوم الأول واليوم المتوسط قد ظهرت في عصر المسيح الموعود ليس إلا، وقد صدقها القرآن وكُتب الأنبياء السابقين، ويؤمن بالشخص الذي أظهر الله تعالى هذه الآية بعد بعثته، أو يعرض عن الله ورسوله إذ أنه أخبر عن المسيح الموعود بعلامة لا حقيقة لها وهي لا تصلح عند العقل لأن تكون دليلا على صدق مدع.

ومن الناس من يزعم أن هذا الحديث ينص على كسوف القمر في الليلة الأولى من رمضان وخسوف الشمس في منتصف رمضان، لكن الكسوف الذي تذكرونه قد حدث في الثالث عشر والثامن والعشرين من رمضان، لكن هذا الاعتراض يظهر خطؤه الفاحش ومخالفته الشديدة لنص الحديث بأدنى تدبر، أفلا يرى هؤلاء الناس أن كسوف الشمس والقمر لا يحدث إلا في أيام محددة ولا يمكن أن يسبقها أو يتأخر عنها أبدا ما لم يجعل أعالي هذا الكون سوافله، فلو صح ما يزعم هؤلاء الناس لكانت هذه العلامة دليلا على القيامة لا على قرب القيامة وظهور المهدي.

وعلاوة على ذلك فإنهم يقرؤون كلمتي "أول" و"النصف" لكنهم لا يفكرون في كلمة القمر الذي لا يسمى بهذا الاسم. فقد ورد في القواميس: "وهو قمر بعد ثلاث ليال إلى آخر الشهر، وأما قبل ذلك فهو هلال."[١] فعلى رغم كون كلمة "القمر" مذكورة في الحديث وعلى رغم مقتضى السنة الطبيعية انكساف القمر في

---

[١] أقرب الموارد

الليالي الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة وليس في الليلة الأولى من الشهر، فرغم كل ذلك، فإن الإصرار على الليلة الأولى والفرار عن الليلة الأولى من ليالي الكسوف، ما هو إلا بداعي تكذيب كلام الله ورسوله وصد الناس عن الإيمان بالمبعوث السماوي.

هذه هي العلامات التي أنبأ بها النبي الكريم ﷺ عن عصر المسيح الموعود، وإن كان بعضها علامات مستقلة، وكل منها دليل وآية على صدق المسيح الموعود، لكن النبي ﷺ إنما هدف بها في الواقع عرض أوضاع ذلك العصر بصورة مجتمعة بحيث لا يبقى معها شيء من شوائب الشك. ولا شك أن الطاعون حدث في العصور السابقة أيضا، كما أنه لا شك أيضا في أن الدنيا أصيبت بالزلازل من قبل أيضا. إن الميسر كان عاما في سالف الأزمان بلا مراء كما أن الانهيار الخلقي كان متفشيا من قبل أيضا وكذلك كان المسيحيون قد تسلطوا على رقعة واسعة من الدنيا في الأزمنة الماضية، لكن السؤال الأهم هنا هل هذه الأوضاع التي بينها النبي ﷺ عن عصر المسيح الموعود اجتمعت كلها في حين من الأحيان؟ أو من الممكن أن تجتمع في زمن آخر؟ ومن المستحيل أن نرد على هذا السؤال إلا بأن نقول: كلا ثم كلا، إن كان ثمة رجل يجهل أحوال العصر الراهن تمام الجهل، فقُدمت إليه أولا أنباء الرسول ﷺ عن هذا الزمان، ثم سُلِّمت إليه دواوين التاريخ القديم، ثم فرض عليه البحث عن موعد ظهور المسيح الموعود، فلن يقف منذ عهد آدم إلى قبل بداية زمننا هذا ولن يختص أيا منه بموعد نزول المسيح، لكنه بعد أن يبلغ العصر الحاضر لا يلبث أن يصيح قائلا: إنّ الأخبار التي أنبأ بها النبي ﷺ هي محققة صادقة، فإن عصر المسيح الموعود ليس إلا هذا العصر، لأنه سيرى من ناحيةٍ الإعراض عن الدين ومن جهة أخرى يشاهد نهضة العلوم المعاصرة، وسيجد الدول الإسلامية ضعيفة منهوكة القوى بعد أن كانت قوية مرهوبة

الجانب، وسيلقى المسيحية تتقدم بخطوات واسعة بعد أن كانت متخاذلة، وسيرى الدول المسيحية مستولية على جميع أموال الدنيا ويجد أعداءها عالة على موائدها.

وسيستلفت أنظاره الدمار الساحق المبيد بالطاعون والأنفلونزا رغم تقدم الطب والعلوم الطبيعية المتنوعة، وسيدري كثيرا عن تعليل الأمراض والجراثيم والديدان، وسيشاهد أن الناس قد أصبحوا عبيد التقاليد الزائفة والبدعات المزخرفة، وسيطلع على أخبار القطارات والبواخر وسيواجه الأسواق المكتظة بالمصارف المالية وسيفاجأ بكثرة الزلازل، ويرى سلطان دول يأجوج ومأجوج، وسيفتح عينيه كسوفُ الشمس والقمر في أعالي السماء من جهة، وتسترعي اهتمامه غزارة الأموال ونهضة العمال من جهة أخرى، وقصارى القول إن كل صفحة من تاريخ هذا العصر وكل حادث من حوادث هذا القرن ليدفعه إلى أن يعترف ويعلن بأن هذا الزمان هو زمن المسيح الموعود، وإن ذلك الرجل لن ينظر في كل علامة على حدة، بل إنه سيتناولها بصورة مجتمعة ويلقي عليها نظرة إجماعية، فعندئذ سرعان ما ترتعد يداه ويرتجف قلبه ويخفق، ولن يلبث إلا أن يضم الكتاب وينبري قائلا: إنني بلغت غايتي ووجدت بغيتي، فالاستمرار على دراسة الكتاب لم يعد مجديا؛ إن المسيح الموعود إما أنه قد نزل في هذا الزمان[١] أو لن ينزل أبدا.

---

[١] هنا أريد أن أرد على اعتراض يحسبه الأعداء من أقوى الاعتراضات، وهو أن ظهور الدجال لا بد من أن يسبق ظهور المسيح الموعود حسب الأخبار النبوية، فبما أنه لم يظهر بعد، فلا يصح القول بأن المسيح الموعود قد ظهر.

لو لم يكن الخبر بالدجال نبأ، كان لهذا الاعتراض وزن، لكن نظرا إلى أن ظهور الدجال هو نبأ والأنباء تحتاج إلى تأويل، فليس لهذا الاعتراض أي حقيقة، ومن المؤسف أن المسلم الذي يقرأ في القرآن: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٥) و﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٣)، ويؤول ذلك، إلا أنه عند قراءة نبوءة الدجال يبحث عن دجال غير عادي.

ومن المؤسف جدًّا أن هؤلاء لم يفكروا في الأحاديث النبوية الأخرى والسنن الإلهية لإدراك حقيقة هذا النبأ، بينما يتبين من الأحاديث نفسها أن ظهور الدجال سيسبق ظهور المسيح الموعود، كما يظهر منها أن المسيحية تنتشر عندئذ في قوة واسعة عظيمة، أفلا يؤدي ذلك إلى أن المراد من الدجال المسيحية لاستحالة اجتماعهما وغلبتهما في عصر واحد، وغلبتهما في وقت واحد إنما تدل على أنهما اسمان لشيء واحد.

ومما يتبين منه إن الدجال وفتنة المسيحية شيء واحد، أن رسول الله أمر أمته بقراءة فواتح سورة الكهف للاتقاء من فتنة الدجال، وقد ردت فواتح سورة الكهف هذه على عقائد المسيحية ردا مفحما داحضا، كما يقول الله ﷻ:

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ (الكهف: ٥)

فتحقق أن فتنة الدجال ليست إلا فتنة المسيحية، لأن الدواء يجب أن يوافق الداء، فلو كانت فتنة الدجال غير فتنة المسيحية، لما أوصى رجل حكيم مثل الرسول ﷺ بقراءة هذه الآيات التي لا تذكر فتنة الدجال مطلقا، بل هي تتناول المسيحية بالذكر وترد عليها، فأمر الرسول ﷺ بقراءة هذه الآيات للتخلص من فتنة الدجال إنما يدل على أن المراد بالدجال عنده الناس المبشرون بالمسيحية ليس إلا.

إن أكبر عثرة تعثر بها الناس في أمر الدجال أنهم ظنّوه رجلا، مع أنه ليس برجل واحد، وفي المعاجم:

يُشتق الدجال من الدَّجَّالَةِ بالتشديد للرفقة العظيمة تغطي الأرض بكثرة أهلها، وقيل هي الرفقة تحمل المتاع للتجارة. (تاج العروس)

الدجّال الرفقة العظيمة. (أقرب الموارد)

وهذه الحقيقة تصدق على دعاة المسيحية حق الصدق، فإنهم علاوة على تجارة كتبهم الدينية، يزاولون أنواع التجارة بمرافق الحياة المغرية دعما لأعمالهم التبشيرية. وكذلك — في لسان العرب– من معاني الدجال: الـمُمَوِّه،أي المزور، ومن أشد من القساوسة تزويرا إذ يقدمون للناس إنسانا عاجزا كإله مقتدر.

أما ما قيل عن الدجال أنه يكون أعور وله حمار عظيم الجثة طويل القامة، ويتبعه ويتقدمه سحاب من الدخان، فإن هذه الأمور كلها تحتاج إلى تأويل، وعور الدجال إنما هو ضعفه في الدين؛ لأن اليمين في الدين يدل دوما على اليُمن، وعور عينه اليمنى إنما يعني حرمانه من القيم الروحانية، وحماره ليس إلا القطار الذي أصبح يُستخدم في البلاد المسيحية

الدليل الثالث: النفس الناطقة

وليس أدل على وجود الشمس من نفسها

بعد أن أثبتنا أن هذا العصر يستصرخ بأعلى صوته طالبا بمصلح سماوي، وأنه قد تحقق بشهادة النبي ﷺ أن مصلح هذا الزمان ليس إلا المسيح الموعود والمهدي المسعود، وبما أنه ليس هناك مَن يدعي بكونه المسيح الموعود إلا مؤسس الجماعة

وسرعته تشبه سرعة الحمار *(المذكور في النبوءات)* وأنه يجرى بقوة النار والماء، ويتبعه ويتقدمه سحاب من الدخان، ودعاة المسيحية قد انتشروا به في أقاصي الأرض.

وليس لأحد أن يقول أنها تأويلات؛ لأن رسول الله ﷺ يشهد بنفسه بأن الأخبار المنوطة بالدجال تستدعي التأويل، كما ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ خرج يوما ليرى ابن صياد الذي كان الناس يروون عنه روايات غريبة، فتبين من حديثه ﷺ معه أن الرجل يتلقى بعض الإشارات الشيطانية، فعندئذ سل حضرة عمر رضي الله عنه سيفه لقتله، وحلف بالله أنه هو الدجال، فنهاه الرسول عن ذلك، وقال إذا لم يكن هو بدجال فلا يجوز قتله، فإذا كان هو الدجال، فسوف يقتله المسيح الموعود، ولن تقدر على قتله.

يتبين من هذا الحديث أن الأخبار المتعلقة بالدجال كلها تحتاج إلى تأويل، لأن عمر رضي الله عنه لما أصر على أن ابن صياد هو الدجال، لم يمنعه الرسول ﷺ، مع أنه ﷺ بنفسه حدد علاماته، ومنها أنه سيقرأ القارئ على جبينه "كافر" وأنه يكون أعور، وأنه لن يدخل المدينة. وهذه العلامات الثلاث لم توجد في ابن صياد؛ لم يكن أعور، لم ير أحد على جبهته كلمة (كافر) حتى الرسول ﷺ نفسه لم ير ذلك، وإنه كان موجودا بالمدينة، فلو كانت علامات الدجال ظاهرة التحقق لما تردد رسول الله ﷺ في انعدامها في ابن صياد ولما سكت عن تصريحها لعمر قائلا: أولم أخبركم أنه سيكون أعور، ومكتوبا على جبهته كافر وإنه لن يدخل المدينة، فسكوت الرسول ﷺ على قول عمر وتردده في تكذيبه أفلا يدل على أن الرسول ﷺ كان يرى من الجائز أن لا تظهر علامات الدجال بمعانيها الظاهرة بل يمكن أن تظهر بصور أخرى، فإذا كان الرسول ﷺ نفسه يرى أن الأخبار عن الدجال كلها تستدعي التأويل، فلا يحق لأحد تطبيقها تطبيقا حرفيا ولا يفكر في معانيها الأخرى، منه.

الإسلامية الأحمدية، فلذلك إن تكذيبه هو بمثابة إبطال لسنة الله المستمرة وبمثابة تخفيف وإهانة لأقوال الرسول ﷺ، فعليه فإني الآن أقدم لكم الأدلة والبراهين التي تدل على صدق حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية الميرزا غلام أحمد عليه السلام على أنه كان مرسلا من عند الله، وأستهل هذه الأدلة بدليل النفس الناطقة.

ولم أرد هنا بالنفس الناطقة ما عني بها في الكتب القديمة بل المراد بها عندي النفس التي قدمها القرآن الكريم كدليل حاسم على صدقه.

يقول الله عز وجل في سورة يونس :

﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ* قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾. (يونس: ١٦ -١٧)

هذا من أعظم الأدلة التي قدمها القرآن الكريم على صدق النبي ﷺ وهذا هو أقوى دليل وأعظم برهان على صدق مدع، وكما ليس أدل على وجود الشمس من نفسها، كذلك المدعي الصادق ليس أدل على صدقه من نفسه التي تنادي بأجهر صوت، وتخاطب الأعداء والأصدقاء، وتقول للأجانب والمعارف وتعلن للأباعد والأقارب قائلة: انظروا إلي وفكِّروا قبل أن تسارعوا إلى تكذيبي، هل بإمكانكم أن تكذبوني؟ أفلا يجعلكم تكذيبي عاطلين من جميع الوسائل التي تجعلكم تدركون حقيقة شيء من الأشياء؟ وبعزو الافتراء إلي أفلا تسدون عليكم الأبواب التي تنالون من خلالها غاياتكم المتوخاة؟ كل كائن في هذا العالم يقتضي التدريج والتسلسل لكماله، لا الحسنات تبلغ الكمال دفعة واحدة بغير طي الدرجات المتوسطة، ولا السيئات تدرك منتهاها دون أن تقطع المراحل المتدرجة، ثم أفلا تفكرون كيف يمكن أن يهرول رجل إلى الغرب فيجد نفسه فجأة في أقاصي الشرق؟ وأن يرى القاصد إلى الجنوب نفسه في آفاق الشمال؟ إنني قضيت

جميع عمري بين أيديكم، كنت صغيرا حتى صرت يافعا بين ظهرانيكم، كنت شابا حتى صرت كهلا أمام أعينكم، وفيكم كثيرون واقفون على حياتي الشخصية والاجتماعية، فليس من عمل لي بغمة عليكم، ولا قول بخاف عنكم، فهل منكم من أحد يستطيع أن يقول إنني كذبت أو ظلمت أو خدعت أو زوّرتُ، أو هضمت حق أحد واستكبرت وحاولتُ السيطرة على الحكومة، ولقد اختبرتموني في كل موقف وسبرتموني في كل حال، فلم تجدوا قدمي إلا راسخة على جادة الاعتدال، وألفيتموني بريئًا من كل زيف وزور حتى ظفرتُ بلقب الأمين والصدوق من قبل الأعداء والأصدقاء على السواء. كنت إلى الأمس أمينا وصدوقا وبعيدا كل البعد عن الكذب والزور، وفدى للحق، بل الحق كان يعتز بي، وكنتم تثقون بي في كل أمر ورأي وتجعلون رأيي على الرأس والعين. فما الذي حدث اليوم فجأة إذ أصبحتُ أسفل السافلين وأحط المنحطين في نظركم. ولقد أتى علي حين لم أكن لأفتري فيه على إنسان، ولكن اليوم أصبحت مجترئا حتى على الافتراء على الله! هل تجدون لهذا التطور المدهش والتغير الأغرب من نظير في قانون الطبيعة؟ ولو عشت بينكم يوما أو يومين لأمكنكم أن تقولوا أنه تظاهر بما ليس فيه، ولو بقيت فيكم عامًا أو عامين لأمكن أن تقولوا أنه احتال بما يأمل لأن يخدعنا، غير أنني قد أمضيت فيكم عمرًا طويلًا حيث شهدتم طفولتي وأدركتم شبابي، ولم تكن كهولتي بغائبة عن أعينكم، فكيف كان من الممكن لي هذا التزوير والافتراء؟ فكيف تعودت الافتراء في طفولتي التي لا تفرق بين الرشد والغي، وكيف زوّرت وأخفيت حقيقتي في شبابي الذي تشب فيه قوى الإنسان وتجن، فلله فكروا شيئا من التفكير متى صدر هذا الافتراء العظيم وممن صدر؟ فإن تفكروا في حياتي ولم تجدوها بريئة ونزيهة فحسب بل تروها مثالا للبر والصدق، فلا تعلنوا وجود الليل رغم رؤية الشمس، ولا تَشْكوا الظلمة مع ظهور النور، فأي دليل يعوزكم غير دليل وجودي؟ فإلى أي حجة تحتاجون دون سيرتي؟! إن نفسي لشاهدة على صدقي

وإن حياتي لتدل على حقيقة نفسي، ولئن رجع منكم كل واحد إلى نفسه لشهد قلبه وعقله أن هذا الرجل يدعم الحق، والحق يدعمه ويزدهي به وهو يعتز بالحق، وليس هو بحاجة إلى أدلة أخرى لإثبات صدقه، إنه كالشمس البازغة التي تدل على نفسها بنفسها.

هذا هو الدليل القوي العظيم الذي أصاب شغاف قلب أبي بكر، وما أقواه من دليل، كان وما زال ولا يزال يأخذ بألباب أهل الحق. لما ادعى رسول الله ﷺ النبوة كان أبو بكر في دار أحد أصدقائه، فأخبرته هناك خادمة له بأن زوجة خليله (محمد) أخبرتْها بأن زوجها قد أصبح نبيا مثل ما كان موسى نبيا، فقام أبو بكر لساعته وقصد إلى بيت النبي ﷺ، فسأله عن الخبر، فقال: أشهد أني رسول الله، فآمن به أبو بكر رضي الله عنه على الفور، فذكر ذلك رسول الله ﷺ قائلا[١]: "ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة ونظر وتردد، إلا ما كان من أبي بكر، ما عكم عنه حين ذكرت له."[٢]

فما الذي، يا ترى، دفع أبا بكر رضي الله عنه إلى الإيمان به دونما دليل أو آية؟ لم يكن ذلك إلا وجود رسول الله ﷺ المقدس الذي شهد على صدق نفسه بنفسه.

إن حضرة خديجة وحضرة علي وحضرة زيد بن حارث رضي الله عنهم كلهم آمنوا بناء على هذه الآية، بل إن خديجة رضي الله عنها، أكدت وصرحت بأن هذه الآية ذاتها دفعتها للإيمان بالرسول، لما رأى الرسول ﷺ الملك في حراء، وأخبر ﷺ زوجه خديجة بما جرى حتى قال لها: "لقد خشيت على نفسي."

فطمأنته قائلة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق.[٣]

---

[١] الزرقاني: المجلد الأول، ص ٢٤٠ طبعة مصر

[٢] البداية والنهاية، الجزء الثالث، فصل تتابع الوحي إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام

[٣] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

وبالجملة إن الدليل الشخصي الأول على صدق نبي هو نفسه الطاهرة المطهرة التي تشهد بصدقه بلسان الحال، وإن هذه الشهادة لتكون من القوة بحيث تغني عن آية أو معجزة أخرى، ولقد أنزل الله تعالى نفس هذه الآية لتصديق حضرة ميرزا غلام أحمد أيضا. كان عليه الصلاة والسلام من قاطني قاديان التي كان يسكنها أتباع الأديان الثلاثة الكبرى بالهند؛ الهندوس والسيخ والمسلمون، كأن ممثلي هذه الأديان كانوا يراقبون حياته، ولم تكن العلاقات العائلية بينهم وبين حضرته على ما يستدعي مؤاساتهم له؛ لأن الإنجليز كانوا قد استولوا على هذه البلاد في أوائل عمر حضرته، وبعد احتلالهم أخذ سكان قاديان الذين كانوا رعايا آباء حضرته يستغلون هذا التغير الحكومي، وبدأوا بكفاحهم للتحرر وأثيرت من قبلهم الأحقاد والخصومات والمحاكمات ضد والد حضرته. ولم يكن حضرته عليه الصلاة والسلام بمعزل عن هذه المحاكمات، وكان والده قد فرض عليه متابعة هذه المحاكمات رغم ميله إلى التبتل والوحدة، الأمر الذي جعله هدفا مباشرا للأعداء.

وبخاصة أن السيخ كانوا يضمرون لعائلته العداء، لأنهم كانوا قد سيطروا على هذه المنطقة بعد طرد عائلته منها، فكان يشق على السيخ نهوض هذه العائلة وكانوا يناصبون له العداء.

كان حضرته مشغوفا بخدمة الإسلام منذ الصغر، وكان حضرته لا يكف عن مناقشات كتابية وخطابية ضد المسيحية والهندوسية والسيخية مما أثار هياج أتباعها ضده.

لكن رغم هذه العلاقات المتوترة ضد سائر أتباع الأديان، ورغم أنه لأجل تدينه كان يتعرض للبغض والعداء من قبلهم جميعا، ومع ذلك فإن كل شخص هندوسيا كان أو سيخيا، مسيحيا كان أو مسلما يقر بأن حياة حضرته قبل النبوة كانت نقية نزيهة، وأن حضرته كان يتحلى بأسمى الأخلاق الفاضلة، وأن حضرته لم ينفك عن قول الصدق، ولقد كانت قد بلغت ثقتهم به إلى أنهم كانوا

يتحاكمون إليه في الحقوق التي كانوا يطالبون بها عائلة حضرته وكانوا يصرون على أنه إذا صار هو حكما فأنهم سيخضعون لحكمه أيا كان، وبالجملة كان الواقفون على أوضاع حياته يثقون به في كل أمر أشد الوثوق حتى إنهم كانوا يعدونه مثلا أعلى للصدق والأمانة، والمسيحيون والهندوس والسيخ وإن كانوا يخالفونه في الدين، لكنهم كانوا يعترفون بأن حياته نزيهة مطهرة.

وأقدم الآن مثلا لما كان الناس يرون فيه، وذلك بقلم شخص صار فيما بعد عدوا لدودا له، وكان أول من أصدر فتوى كفر حضرته بعد نبوته، هذا الرجل لم يكن شخصا عاديا، بل كان زعيما ورئيسا لطائفة أهل الحديث وهو الشيخ محمد حسين البطالوي الذي أدلى بشهادته في مجلته "إشاعة السنة" معلقا على كتاب حضرته الشهير "البراهين الأحمدية" قائلا ما تعريبه: "إن مدى ما نعرفه عن مؤلف البراهين الأحمدية قلما يبلغه من معاصرينا، إن سيادة المؤلف مواطننا، بل إنه زميل لي منذ الحداثة في المدرسة أيضا (حينما كنا ندرس القطبي وشرح ملّا) ومنذ ذلك الزمن إلى يومنا هذا ما زلنا ولا نزال على اتصال ولقاء ومراسلة، ولذلك فإن ادعاءنا بأننا أوقف على أحواله ينبغي أن لا يعد من المبالغة."[١]

إن تصريحه هذا إنما يدل على أن شهادته التالية ليست إلا عن خبرة وتجربة ورفقة طويلة، وهي ما يلي: إننا نرى هذا الكتاب (البراهين الأحمدية) منقطع النظير في هذا العصر وفي الأوضاع الراهنة، وإنه لكتاب لم يؤلف مثيله في الإسلام حتى اليوم، والمستقبل غائب عن أعيننا، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا. وإن مؤلفه ليمتاز بخدماته الجليلة المالية والجسمانية والروحانية والقلمية واللسانية ومما يتصل بحاله وقاله، وقلما نجد مثيلها في المسلمين المتقدمين وإن عد أحد هذا الادعاء مبالغة آسيوية، فعليه أن يقدم لنا على الأقل كتابا واحدا مثله يحتوي على تحد

---

[١] مجلة إشاعة السنة، المجلد ١٦، العدد ٧

صارخ لسائر الطوائف المعادية للإسلام، وخاصة لطائفة الآريين والبراهمة، ويجب على ذلك المعترض أن يعين لنا بضعة أشخاص بمثل هذه الصفات الذين اضطلعوا بأعباء خدمة الإسلام من ناحية المال والنفس والقلم واللسان والحال أيضا، والذين تحدوا أعداء الإسلام ومعارضي الوحي مبينا بأن الذي يرتاب في نزول الوحي فليتقدم إلينا ليشاهد ما يرتاب فيه، بل وإنهم أذاقوا الملل الأخرى طعم التجربة والمشاهدة أيضا.[1]

إن هذه الشهادة تتعلق بسيرة حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه الصلاة والسلام وخدماته الإسلامية الجسام من قبل رجل انقلب عدوا لحضرته بعد ادعائه النبوة ولم يعرض عن الإيمان به فحسب، بل استهلك البقية الباقية من عمره في تكذيبه وتكفيره كما فعل أهل مكة ضد النبي ﷺ الذين كانت ألسنتهم تصفه بالأمين الصدوق قبل النبوة، لكن تكذيبه هذا بعد النبوة كلام فارغ لا حقيقة له. إن القرآن المجيد يخبر بأنه من المستحيل أن يجعل أحد أعداءه وأصدقاءه يمدحونه ويعترفون بصدقه وهو محاط بهم من كل صوب كما تحيط الأسنانُ باللسان، ثم يغير موقفه بين عشية وضحاها فيجرؤ على الافتراء على الله. وليس الله بظلام للعبيد حتّى يحوّل في يوم واحد هذا الشخص الذي يحمل الأعداء على الاعتراف بحياته النزيهة شر الناس؟ ومن جهته كان من قوة الإيمان بحيث لا يصرفه عن الحق حتى أكبر الأطماع وأهول الأخطار، ومن جهة أخرى يأتي الله فيمسخ قلبه مسخا يحمله فجأة على الافتراء على الله عز وعلا.

وكما أن رسول الله ﷺ ظل يتحدى أعداءه مرة بعد أخرى بأن ينتقدوا حياته قبل النبوة أو يعلنوا بأنهم لم يروه متخلقا بالمثل العليا من الأخلاق، لكن لم يُجب تحديه أحد، كذلك ادعى حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية

---

[1] مجلة إشاعة السنة، المجلد ٦٤، العدد ٧

عليه الصلاة والسلام: "إن الله ﷻ أخبرني أن أحدا من أعدائك لن يجرؤ على وصم حياتك النزيهة"[١].

ثم ما برح حضرته يتحدى بأن يعيب أحدهم سيرته النقية الطاهرة، وأنهم إما كانوا يرون حياته منذ صغره إلى الشيخوخة نزيهة ومثلا أعلى يقتدى به، لكن رغم تحريضه المتكرر للمعارضين لم يجرؤ أحد على أن ينبس ببنت شفة ضد حياته قبل النبوة، وكثيرون ممن شهدوا شبابه أحياء حتى اليوم لكنهم رغم عدائهم الشديد لم يستطيعوا ولا يستطيعون أن يكتموا الشهادة بأن سيرة حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية كانت مثلا أعلى بشكل خارق، كما شهد كثير من الهندوس والسيخ والمسلمين بأن حياته قبل النبوة كانت حياة أولياء الله.

فكما أن النفس الناطقة للرسول ﷺ كانت أعظم دليل على صدقه، وقد قدمها الله في القرآن كحجة ناصعة ضد معانديه، كذلك كانت حياة حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه الصلاة والسلام -مع حياته السابقة- أقوى حجة لا يسع أحدا إنكارها، وإن نفسه السامية هي ذاتها دليل على صدقه.

[١] نزول المسيح: ص٢١٤، الخزائن الروحانية ج١٨ ص ٥٩٠

الدليل الرابع: غلبة الإسلام على الأديان الأخرى

والدليل الرابع أو النوع الرابع من الأدلة لإثبات صدقه عليه الصلاة والسلام هو أن الله ﷻ حقق بوجوده ذلك النبأ العظيم الذي يتضمن أعظم عمل سيقوم به المسيح الموعود، وهو أن الله ﷻ سيظهر الإسلام بيده على سائر الأديان، كما قال الله تعالى في القرآن المجيد: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الصف: ١٠)

ويتبين من أحاديث الرسول ﷺ أن هذه الغلبة ستتم في عهد المسيح الموعود، لأنه ﷺ اختص المسيح الموعود بقمع فتنة الدجال والقضاء على يأجوج ومأجوج واجتثاث المسيحية، وعدّ هذه الفتن أعظم الفتن وأخطرها، كما أخبر بأن أتباع الدجال - المسيحية — سيكونون غالبين على الأديان جميعها آنذاك، فبالغلبة عليهم سيغلب الإسلام الأديان الأخرى كلها.

فتبين أن المراد من ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ليس إلا عصر المسيح الموعود، وقد اتفق على ذلك جميع المسلمين، كما ورد في تفسير "جامع البيان" الجزء ٢٨: "وَذلِكَ عِندَ نُزُولِ عِيسىَ ابْنِ مَرْيَمَ." هذا وإن القرائن العقلية أيضا تدعم هذا الأمر، لأن ظهور الأديان كلها لم يتم كما تم في هذا الزمان. فمن أجل الاختلاط المتزايد واختراع المطابع التي أدت إلى توسع الكتب المنشورة، قد اشتد حماس أتباع جميع الأديان، وقد كثرت الأديان والمذاهب كثرة لم يسبق لها مثيل. لم يظهر في عهد رسول الله ﷺ إلا أربعة أديان: دين مشركي مكة والنصرانية واليهودية والمجوسية، فلذلك لم يكن عهده ﷺ عهد تحقق هذا النبأ، بل قد حان تحققه اليوم، لأن سائر الأديان قد ظهرت، وبدا النضال الشديد بين الأديان بسبب وسائل السفر الحديثة واستخدام الاتصالات اللاسلكية والمطابع.

وبالجملة يتبين من القرآن الحكيم والأحاديث النبوية والعقل السليم إن غلبة الإسلام على الأديان الباطلة قُدّرتْ في زمن المسيح الموعود فقط، وهو من واجبات المسيح الموعود الأساسية، ولا يمكن أن يقوم به أحد سواه، والشخص الذي وفق لهذا العمل العظيم هو المسيح الموعود بلا مراء، ولقد دعمت الحقائق الواقعة أن الله ﷻ وفق لذلك حضرة الميرزا غلام أحمد، وهو المسيح الموعود بلا ريب.

كان الإسلام قبل ظهور حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية قد بلغ من الانهيار مرحلة جعلت الطبقة الواعية من المسلمين أنفسهم يتنبئون بانقراضه العاجل، والظروف والأحوال أيضا كانت تومي إلى ذلك، لأن المسيحية أخذت تلتهم الإسلام التهاما لدرجة كان يخشى أن يلقى الإسلام نهايته المحتومة خلال قرن واحد، وكان المسلمون يندحرون أمام قوات المسيحية اندحارا دفع ألوفا من أشراف البيت النبوي ﷺ إلى أحضانها فضلا عن دهماء المسلمين، فلم يعتنقوا المسيحية فحسب، بل أخذوا ينشرون أقذع الكتب ضد الإسلام ونبي الإسلام ﷺ، وكانوا يرمون النبي ﷺ من فوق المنابر بأفحش التهم التي تنفطر لها أكباد المسلمين، وكان خذلان المسلمين قد بلغ مبلغا جعل حتى أمثال الهندوس يتجرأون عليهم، الذين لم يلقوا في ميدان الدعوة إلا الفشل والخسران، والذين اقتصرت جهودهم الفاشلة على الدفاع عن دينهم، أجل هؤلاء الهندوس الذين قامت منهم الفرقة الآرية التي وضعت نصب أعينها تحويل المسلمين إلى هندوس، وبذلت في هذا الصدد جهودا مضنية عمليا، وهذا المنظر يشبه تماما منظر جثة هامدة لصياد ماهر فتاك، انقضّت عليها النسور التي كانت تبتعد عنه من قبل خشية الهلاك، وأخذت تنهش لحمه نهشا، وتستلذ بلحمه رابخة على عظامه، حتى إن بعض الكتّاب المسلمين الذين قاموا للرد على الاعتداء بدلا من أن يثبتوا محاسن الإسلام

أخذوا يقولون خاضعين لتهم الأعداء إن تعاليم الإسلام كانت موافقة لعصور الجاهلية فلا تصلح أن ترفع الاعتراضات الناشئة ضدها عن العلوم المعاصرة.

فعند هذا الانهيار والقنوط الداخلي والهجوم العنيف الخارجي قام حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام للدفاع عن حياض الإسلام، واستهل جهوده الجبارة بهجوم مفاجئ عنيف أفقد الأعداءَ صوابهم. ألّف حضرته كتابه العظيم المسمى بـ "البراهين الأحمدية" وضمنه حججا ناصعة على صدق الإسلام، وتحدى أعداء الإسلام أجمعين بأنهم إن قدموا خمس أدلّته على صدق أديانهم فإنه يقدم لهم عشرة آلاف روبية جائزة[١]. فرغم جهودهم المستنزفة، ما استطاعوا الرد عليه، وأثار ذلك الكتاب المفحم ضجة في طول الهند وعرضها بأن هذا الكتاب نسيج وحده ونظير نفسه، قد دهش الأعداء في أن الإسلام الذي كان جثة هامدة لا حراك به للدفاع عن نفسه، إذا به يصبح بفضل هذا البطل المقدام سيفا مستلا يحطم رؤوس الأعداء بضربات قاضية.

ولم يكن حضرته عليه السلام قد ادعى بأنه المسيح الموعود بعد، ولم يكن الناس يعارضونه بشدة، وكانوا عندئذ خِلوا من التعصب، الأمر الذي دفع ألوف المسلمين إلى الإعلان بأن هذا هو الشخص الذي هو مجدد هذا الزمان، ليس هذا فحسب بل إن وليا من أولياء (لدهيانه- البنجاب) صرح علنا مخاطبا حضرته ما تعريبه:

أنت مطمح أنظارنا نحن المرضى، فكُن أنت مسيحا لنا.

ومنذ تأليف هذا الكتاب بذل حضرته للذب عن كرامة الإسلام وشرفه جهودا جبارة جعلت الأعداء يعترفون بأن الإسلام ليس دينا ميتا بل هو دين حي خالد، بل أخذ الاضطراب والقلق من قلوبهم مأخذا شديدا تجاه أديانهم بأنها كيف تقاوم

---

[١] البراهين الأحمدية الجزء الرابع، الخزائن الروحانية، المجلد الأول ص ٢٧-٢٨

الإسلام، حتى أن الدين الذي كان يزهو بقوته ونجاحه أصبح يعد نفسه لقمة سائغة للإسلام، وأصبح أتباعه يفرون من خدام حضرة المؤسس عليه السلام كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، ولا يجرؤ أحد منهم على أن يواجه أحمديا. ولقد أصبح الإسلام اليوم بفضل جهود حضرته دينا غالبا منتصرا على سائر الأديان، لأن سيف أدلة الإسلام حاسم، وإن كانت ضربته بطيئة التأثير، غير أنه يترك آثارا لا تنمحي.

ومما لا شك فيه أن المسيحية محيطة بأقطار الدنيا كما كانت من قبل، والأديان الأخرى أيضا على ما كانت، لكن مما لا مراء فيه أيضا أن حانت آجالها المقدرة، وقد انقصمت ظهورها، ولم يدخل أهلها في الإسلام مخافة العادات والتقاليد دخولا يكشف الغطاء عن أعين المتعامين عن موتهم، غير أن آثاره واضحة جلية لكل من له عينان.

والرجل الحصيف يمكن أن يقدر عظمة الثمرة من البذرة، وحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام قد وجّه لأهل الأديان الأخرى ضربة قاضية لا يأملون بعدها بالحياة، وستتهافت آجلا أو عاجلا على أقدام الإسلام كحطام لا حراك به، وتلك الضربات المصميات التي أصاب بها حضرته الأعداء، ستودي بهذه الأديان إلى الموت المحتم هي ما يلي:

الضربات على المسيحية

أما ضربته على المسيحية، فهي أن الأساس الوحيد الذي يتوقف عليه نجاح المسيحية هو أن المسيح الناصري قد أصبح كفارة لذنوب الناس بموته الصليبي، ثم استرد حياته وصعد إلى السماء وتبوأ عن يمين الله تعالى، فمن جهةٍ إنّ موته الصليبي الذي كان يعرض على الناس، كان مدعاة لإثارة الحب والمؤاساة له، ومن ناحية أخرى كانت عودته إلى الحياة وتشرفه بالجلوس عن يمين الله في السماء يدفع الناس نحو الاعتراف بعظمته وألوهيته. قضى حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية

الأحمدية عليه السلام على كلا الأمرين بضربة واحدة، إذ أثبت من الإنجيل نفسه بطلانهما، وأثبت بالشواهد التاريخية أن موت المسيح على الصليب كان مستحيلا، لأن المصلوبين كانوا يظلون أحياء حتى إلى ثلاثة أيام، لكن المسيح الناصري ما بقي على الصليب طبق الإنجيل إلا ثلاث ساعات أو أربع. بل قد ورد في الإنجيل أنه لما طعن جسده بعد الصليب، خرج منه الدم.[١]

والميت لا يخرج من جسده الدم. أضف إلى ذلك أن حضرته أثبت أن المسيح الناصري نفسه كان قد تنبأ -وهو موجود في الإنجيل حتى اليوم- أنه لن يموت على الصليب، إذ قال إن أهل هذا الزمان سيرون معجزة مثل معجزة يونس (عليه السلام) فكما أنه ظل في بطن الحوت ثلاثة أيام كذلك ابن آدم سيمكث في بطن الأرض ثلاث ليال.[٢]

ومن المسلم بالاتفاق أن يونس عليه السلام دخل بطن الحوت حيًّا وخرج منه حيًّا كذلك. فطبق أُدخل المسيح الناصري أيضا القبر حيا، وأُخرج منه حيًّا. فبما أن أدلة حضرته كانت مبنية على الأناجيل فلم يستطع المسيحيون أن يردوا عليها ولا يستطيعون اليوم أيضا، فلذلك بطلت الكفارة المسيحية والموت الصليبي لأجل تخليص الناس، الذي كان أكبر حافز لاستهواء الناس إلى المسيحية، فبذلك تحطمت إحدى دعائمها.

والدعامة الثانية لوثن المسيحية كانت صعود المسيح الناصري إلى السماء حيا وجلوسه عن يمين الله عز وعلا، فحطم حضرته هذه الدعامة أيضا بالأدلة القاطعة من الأناجيل، لأنه أثبت بالإنجيل أن المسيح الناصري لم يصعد إلى السماء بعد حادثة الصليب، بل قام برحلة طويلة إلى فارس وأفغانستان والهند، كما ورد في

---

[١] يوحنا: الإصحاح ١٩، الفقرة ٣١ إلى ٣٤

[٢] متى: الإصحاح ١٢، الفقرة ٣٩ إلى ٤٠

الإنجيل أن المسيح قال إنني بعثت لجمع خراف بني إسرائيل الضالة، ولي خراف أخرى ليست من هذه الدار لا بد من أن أجمعها.[١] ولقد تحقق من التاريخ أن نبوخد نصر ملك بابل كان قد أسر عشر قبائل من القبائل الاثنتي عشرة الإسرائيلية وطردهم إلى أرض أفغانستان، فهجرة المسيح إلى أفغانستان وكشمير كان لا بد منها طبق قول المسيح لكي يبلغ هؤلاء الخراف الضالة كلام الله، ولو لم يقم بهذه الهجرة لكانت بعثته عبثا بحسب اعترافه.

وعلاوة على الشواهد الإنجيلية، قد أثبت حضرته هذه الدعوى بالشواهد التاريخية والجغرافية، فاستشهد بالتواريخ المسيحية القديمة أن حواريي المسيح كانوا يترددون إلى الهند وأنه يوجد ببلاد "التبت" كتاب شبيه بالإنجيل تمام الشبه، وهو يتضمن الادعاء بأنه يحتوي على وقائع حياة المسيح، الأمر الذي ينم عن أن المسيح قد جاء بالتأكيد إلى هذه البلاد، كذلك أثبت حضرته بأن التاريخ القديم يشهد والآثار القديمة بأفغانستان وكشمير، وأسماء المدن فيها تدل على أن اليهود كانوا قد استوطنوا هذه البلاد بعد الجلاء، كما نرى أن كلمة "كشمير" أصلها "كاشير" (كما يتبين من لغة سكانها)، أي "مثيل سوريا" والكاف فيها للتشبيه و "شير" من أسماء الشام، كذلك أسماء المدن الأفغانية تشابه أسماء مدن بلاد الشام ككابل وغيرها، وكذلك الهياكل العظمية لوجوه الأفغانيين وأهل كشمير تشابه بنية الوجوه الإسرائيلية. لكن الأهم من كل ذلك أن حضرته اكتشف من التواريخ آثار قبر المسيح بكشمير وأنه في مدينة "سري نغر" بمحلة خانيار، ويتبين من التواريخ القديمة لكشمير أن هذا القبر لنبي كان يدعى "شهزاده نبي" الذي كان قد هاجر إلى كشمير من الغرب قبل تسعة عشر قرنا، ويعرف هذا القبر عند قدماء الكشميريين بقبر "عيسى صاحب".

---

[١] يوحنا: الإصحاح ١٠، العبارة ١٦

قصارى القول إن حضرته أثبت بروايات عديدة الطرق أن المسيح الناصري عليه السلام توفي ودفن بكشمير، وقد تحقق وعد الله: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون: ٥١)

وهذا الوصف يصدق على أرض كشمير تماما.

هجم حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام على المسيحية -بسرد وقائع حياة المسيح وبإثبات موته، حتى تحديد قبره- هجوما حاسما قضى على عقيدة ألوهية المسيح للأبد حتى صارت عقيدة هامدة لا حراك بها ولم يدع مجالا لأن تنهض المسيحية وتزدهر مرة أخرى.

سلاح موحد لسائر الأديان

بما أن المسيحية كانت تفوق سائر الأديان من ناحية السياسة والانتشار الواسع والجهود الحثيثة للدعوة والتبشير والنهضة العملية، فلذلك وهب الله حضرته عليه السلام أسلحة خاصة لمقاومتها، لكن أتاح الله له لمقاومة الأديان الأخرى سلاحا موحدا حاسما لا يفلت من وقعه أحد من هذه الأديان حتى أصبح أتباعها صيدا للإسلام، وهو أن الله عز وجل كان قد بشر أهل الدنيا عن طريق أئمة جميع الأديان بظهور نبي أو مصلح، ولأجل هذه البشارة فإن كل الأديان كانت تنتظر ظهور مصلح عظيم أو نبي في أواخر أيام الدنيا، وكانوا يعقدون جميع آمالهم على وجوده، وكانت مثل هذه الأنباء عامة وشائعة في الهندوس وأتباع زرادشت وفي سائر الملل صغارها وكبارها، وكانت جميع هذه الأنباء تتضمن بعثة ذلك المصلح الموعود؛ أي بعض العلامات التي تدل على تحديد عهد ذلك الموعود. ولقد كشف الله للمسيح الموعود بأن العلامات التي تحتوي عليها هذه الأنباء متشابهة، وأنها وإن كانت متفاوتة بعض التفاوت في التفاصيل لكن كلها تهدف إلى عصر واحد، وتدل على أن عصر ذلك المصلح الموعود بحسب جميع الأديان واحدٌ.

والآن إن تحقق هذه الأنباء بعد ألوف السنوات في هذا العصر بصورة خاصة ليدل من ناحية على أنها من الله علام الغيوب، ولم تكن من قبل إنسان أو شيطان، لأن قوله تعالى: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧-٢٨) يؤكد على ذلك بكل جلاء، ومن ناحية أخرى، يرفض العقل أن يقوم من كل ملة نبي أو مصلح على حدة ويؤمر كل من هؤلاء المصلحين بأن يجعل قومه غالبا على أقوام آخرين، لأن هذا سيعني أن يناضل أنبياء الله ويقاوموا بعضهم بعضا. ومن المستحيل أيضا أن ينتصر كل قوم على سائر الأقوام في وقت واحد. فمن ناحية إنّ تحقُّقَ هذه الأنباء الدالّ على أنها من الله ﷻ، ومن ناحية ثانية إن تحققها في أشخاص مختلفين المؤدي إلى الفساد وثبوت كونها مخالفًا للعقل، لَيشهد شهادة قاطعة على أن هذه الأنباء لتخبر بمصلح واحد، وكان الله تعالى قد أراد بها أن يستثير في جميع الأمم شوقا لذلك المصلح أولا، ثم يجعله بعد ظهوره شاهدًا على صدق الإسلام وداعيا لسائر الأمم إلى قبوله حتى يصير الإسلام منتصرا على تلك الأديان. فلا مهدي إلا المسيح الموعود، ولم يكن من أحد "كرشنا" إلا إياه، ولم يكن من أحد "مسيودر بهمى" لأتباع "زرادشت" إلا هو، فهو بنفسه "كرشنا" والمسيح المهدي. كذلك الموعودون في سائر الملل لم يكونوا إلا شخصا واحدا، وإنما يهدف النبأ بتسميته في مختلف الأديان بأسماء مختلفة إلى أن ينتظره أهلها على أن ذلك الموعود هو منهم ولا يغايرهم، حتى يحين ظهوره ويضطروا عندئذ للإيمان به بعد أن يروا جميع الأنباء متحققة في شخصه فيدخلوا في دين الله الإسلام طائعين لشهادته.

إن مثل هذا الأسلوب الحكيم كمثل رجل يرى الشعوب المختلفة متناحرة، فيطلب إليهم أن يتحاكموا إلى حكمين عادلين، ولما فرغ كل واحد منهم من

وصف حكمه، بدا لهم فجأة أنهم أجمعوا على شخص واحد، فينزلوا إلى حكمه بالصلح والوئام.

وقصارى القول إن حضرته بعد أن أثبت أن الأنباء المتصلة بظهور الموعود في مختلف الأديان قد تحققت في هذا العصر، وأنه من المستحيل اجتماع عديد من المصلحين في زمن واحد مبتغين جميعهم نشر رسالاتهم في أنحاء الدنيا وساعين لغلبة أقوامهم كل على حدة. بعد كل ذلك ادعى حضرته أن جميع الأديان كانت تنتظر موعودا واحد ولو بأسماء مختلفة، وأن ذلك الموعود هو حضرته نفسه، وبما أن النبي ليس له علاقة قرابة مع قوم بل كل من يؤمن به ابتغاء مرضاة الله فهو قومه. ولذلك يمكن أن يعده أتباع دين معين من أنفسهم، ويحسبوه معقد آمالهم، والإيمان به عبارةٌ عن الدخول في الإسلام، أو بتعبير آخر: لكي يتحقق النبأ القائل بأن المسيح الموعود سيبعثه الله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بأن يغلب الإسلام سائر الأديان.

إن هذا السلاح لفعال جدا بحيث لا يمكن لأي دين أن يقاومه، لأن النبأ بظهور مصلح في الزمن الأخير يوجد في كل دين، والعلامات التي أخبر بها قد تحققت برمتها في هذه الأيام، والادعاء بالإصلاح لم يقم به إلا حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، فالآن لم يبق للناس بد من أن يكذبوا أديانهم أو يضطروا للاعتراف بأن المسيح الموعود في الإسلام هو نفسه موعود كتبهم، فيؤمنوا به، وليس أمامهم إلا طريقان، وكلاهما يؤدي إلى غلبة الإسلام ليس إلا، لأن أهل الأديان الأخرى إذا كذبوا أديانهم كان الإسلام هو الحق الغالب، أو إذا صدقوا أنباء أديانهم وآمنوا بمصلح هذا الزمان، كان الإسلام عندئذ أيضا غالبا.

وهذا هو الهجوم الذي كلما اشتدت وطأته في نفوس أتباع الأديان، اشتد اضطرارهم لاعتناق الإسلام، حتى تسفر هذه المعركة عن انتصار الإسلام

الشامل في جميع أقطار الأرض، إن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية قد بذر البذرة طبق سنة الأنبياء، وستنجم هذه الغرسة الطيبة وتزدهر وتثمر في أوانها، وسيلجأ إليها العالم ليستلذ بأثمارها الحلوة ويستظل بأظلالها الوارفة.

إن دين السيخ كان بمنجاة من هذا الهجوم إلى حد ما، لأن مؤسسه "بابا نانك" كان قد بُعث بعد مؤسس الإسلام ﷺ، إنهم وإن كان عندهم أيضا نبأ بظهور مصلح في هذا الزمن، بل وردت في كتبهم ألفاظ واضحة أنه سيظهر في منطقة "بطالة" (و"بطالة" مديرية تقع فيها قرية قاديان؛ أي كأن هذا النبأ قد تحقق تماما وحرفيا)، لكن كان لا بد من أن يوجه من قبلهم سؤال وهو أن رسول الله ﷺ لو كان خاتم النبيين حقا لما كان هناك من حاجة لتأسيس هذا الدين الجديد (دين السيخ)، فالله تعالى أتاح لحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام سلاحا آخر للقضاء على هذا الدين أيضا وهو أن الله تعالى كشف له بالرؤيا أن "بابا نانك" لم يأت بدين جديد، بل إنه كان مسلما حقا.

ولعلك، أيها الملك، تستغرب إذا تبينت أن هذا الأمر المستحيل والغريب تحقق في الواقع بأدلة قوية، إذ نرى أن ألوفًا من السيخ قد صدقوا هذه الحقيقة، حتى أن السيخ الذين كانوا يحسبون أنفسهم جزءاً لا ينفك عن الهندوس، أخذوا يكافحون كفاحا شديدا للانفصال عنهم، وكانوا قبل بعثة المسيح الموعود يزينون معابدهم بأوثان الهندوس، لكن بعد هذا الادعاء، وإن لم يدخلوا في الإسلام بصفة جماعية، ولكن طرأ فيهم تغير عظيم بحيث طهروا معابدهم من رجس الأوثان تطهيرا تاما، ورفضوا الانتساب إلى الهندوسية.

إن حضرته لما قام بالبحث بعد هذه الرؤيا، تبين له جليا أن "غرنته صاحب" الذي هو كتاب مواعظ "بابا نانك" عليه الرحمة، يتضمن تأكيدا

قويا على الصلوات الخمس والصيام والزكاة والحج، وأنه يحتوي على إنذارات متكررة لمن لا يقوم بهذه الفرائض، بل يتبين من كتب السيخ أن حضرة بابا نانك كان يلازم الأولياء المسلمين ويعتكف على مقابرهم وكان يصلي معهم، كما أدى فريضة الحج أيضا وزار الآثار الإسلامية ببغداد، والأهم من كل ذلك وأعظم أنه كشف الستار عن قميص مقدس لبابا نانك كان قد ظل مصونا ومحفوظا في معابد السيخ جيلا بعد جيل، وهذا القميص منقوش بسور وآيات القرآن الحكيم مثل سورة الإخلاص وآية الكرسي والآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾. كما كتبت عليه الشهادتان الإسلاميتان بحروف جلية، وظل السيخ يظنون لجهلهم باللغة العربية، أنها أسرار سماوية، ولم يتبينوا أنها إعلان عام لِبابا نانك عليه الرحمة بإسلامه. وأخذ حضرة المسيح الموعود عليه السلام ينشر هذه الأدلة المستنبطة من كتب سادة السيخ أو المبنية على مقدساتهم المصونة عندهم نشرا قويا، واستلفت أنظارهم إلى أن حضرة بابا نانك كان مسلما، هذا السلاح قد نجح في تغيير وجهة نظر السيخ إلى حد كبير، ونأمل أن السيخ كلما وقفوا على الحقيقة الواقعة، تحقق لهم جليا أنهم إخواننا المهجورون، وأن الإسلام هو دينهم، وأنهم سوف لا يتخذون النزاعات الواقعة قبل عدة قرون والمثارة من قبل الهندوس دون المسلمين- كما يتبين من التاريخ- حائلا دون قبولهم دين الحق، بل إنهم سيزيحون جميع العوائق بشجاعتهم المعروفة، وسينزوون إلى لواء الإسلام هاتفين "ست سرى أكال" (الله تعالى هو الحق) ويستغرقون في قمع الشرك والبدعة بعد إيمانهم بمصلح ظهر في منطقة "بطالة" وانضمامهم إلى حزبه المقدس.

والسلاح الثالث الذي جعل به حضرته الإسلام غالبا على سائر الأديان، ولا يمكن معه لأحد من الأديان أن يواجه الإسلام ويبارزه، هو أن حضرته غير وجهة

نظر الأديان كلها رأسا على عقب، إذ كان قبل بعثته أهل كل دين يكذّبون في نقاشاتهم سائر الأديان الأخرى إلا نادرا، كان اليهود يكذبون المسيح الناصري عليه السلام، والمسيحيون يكذبون سيدنا محمدا ﷺ، والزرادشتيون كانوا يكذبون أنبياء هذه الأديان الثلاثة، وأتباع هذه الأديان الثلاثة كانوا يكذبون الزرادشتيين. ثم أهل هذه الأديان الأربعة كانوا يكذبون مقدسي سائر الأديان في الدنيا وتابعيها، وأتباع سائر الأديان كانوا يكذبون أنبياء هذه الأديان الأربعة. ففي هذه الحرب الغريبة كل أمة تحارب الأخرى، لكن الرجل اللبيب كان يجد في كل دين ما يدل على صدقه، ويستغرب إذ كان يرى أن الحقائق موجودة في جميع الأديان، ومع ذلك كان يكذب بعضها أنبياء بعض، فما هي حقيقة هذا النزاع إذن؟

كانت هذه الحرب قد سببت العناد المتزايد والاختلاف المستفحل. فمن ناحية كان الهندوس عندما يدرسون حياة أئمتهم، يرون فيها المثل العليا من الأخلاق، ومن جهة أخرى كانوا يسمعون من غيرهم أن مقدسيهم كانوا كذابين مفترين، فتأخذهم الحيرة، وكانوا يرون أن هؤلاء المعترضين أعمتهم العصبية الدينية. ومن ناحية أخرى، أتباع الأديان الأخرى كانوا يثورون غضبا لأقوال مخالفيهم في أوليائهم ومقدسيهم، وبالجملة نشأت قضية عويصة معقدة طغت على كل مصلح. والذين كانوا يفكرون دونما تعصب في أنه كيف اختار الله عز وجل رب العالمين أمة خاصة من سائر العالمين واصطفاها دون غيرها، لكن لم يجرؤ أحد على تقديم هذا السؤال، لأنه كان من شأنه أن يجتث دينه من جذوره.

إن الهندوس كانوا قد اقتنعوا لحل هذه العقدة على حد قولهم أن كل الأديان من قبل الله، وهي بمنزلة الطرق المتعددة إلى قصر واحد، والهندوسية هي أفضلها، لكن هذا الحل لم يجد العالم أي نفع، إذ كان عرضة لاعتراضين قويين، لا قِبل لهم بهما، أولهما: إن كل الأديان لو كانت في صورتها الراهنة من عند الله ومؤدية إليه فلماذا

كانت تحمل في طياتها خلافات جذرية أصولية مع غيرها. قد يحدث اختلاف في التفاصيل، لكن الاختلاف في الأسس والمبادئ مما لا يقبله العقل، ومن الممكن أن تتجه إلى مدينة ما عدة طرق، لكن من المستحيل للطرق المؤدية إلى الشرق أن يتوجه كل واحد منها إلى الغرب أو الشمال أو الجنوب، قد يحدث أن تتحول هذه الطرق بعض التحول ثم تلتقي في نقطة موحدة، لكن وجهتها جميعا لن تتغير أبدا. فالحقائق الأبدية لا يتطرق إليها الاختلاف أبدا. ومما نعترف به أن الله ﷻ علم الأمم طرقا مختلفة للعبادة، لكن مما لا يقبله العقل السليم أنه تعالى قال لأمة إنني واحد لا إله إلا أنا، وقال لأخرى إنني إلهان، وقال لثالثة: إنني ثلاثة: أنا والابن والروح القدس، وعلم الرابعة أن قواي الخارقة تتجلى بمئات الألوف من الأوثان، وأخبر الخامسة[1] أن لكل شيء إلها منفصلا، أو قال لإحداها: إنني منزه من كل العيوب ولا تجسُّم لي بتاتا، وقال للثانية إنه يتجسد في شكل الإنسان، وقال لأخرى: إنه يمكنني الحلول في كل شيء وأخبر الرابعة بأنه يمكن أن يأخذ صورة الحيوانات الدنيا حتى يختار صورة الخنزير أيضا، أو قال لإحداها: إن البعث بعد الموت حق، وأخبر الأخرى بأنه لا بعث ولا حشر وقال لإحداها إن الأموات لا يعودون إلى الحياة أبدا وقال لأخرى: إن الإنسان يعود إلى الحياة بعد الموت بمظاهر عديدة. وجملة القول إنه من الممكن أن يشرّف الله كل أمة بتعاليم تلائم أحوالها، لكنه من المستحيل أن يعلّم كل قوم الحقائق الأبدية بشكل تناقض بعضها بعضًا. فبما أن الأديان الراهنة لا تختلف في تفاصيل الأحكام فحسب، بل إنها تختلف في الحقائق الأبدية أيضا، لذلك لا يمكن لنا أن نسمي جميع الأديان بأنها طرق متعددة تتجه إلى الله الواحد.

والاعتراض الثاني الذي كانت هذه العقيدة عرضة له، هو أن الهندوس من جهة يفضلون دينهم على سائر الأديان، ويعدونه أقدم الأديان قاطبة من جهة أخرى،

---

[1] (١) المسلمون واليهود، (٢) المجوس، (٣) النصارى، (٤) الهندوس، (٥) أهل الصين.

مع أن العقل السليم لا يقر بأن الله أنزل أفضل الأديان قبل الجميع، ثم أتبعه بأديان أحط منه منزلة، ولما كان الإنسان في بداية الأمر استحق أن ينزل له دين كامل، فما الذي يدعو إلى إنزال أديان ناقصة بعد أن بلغ الإنسان قمة التقدم في العلوم والفنون، إنما الدين المتأخر يكون أكمل من سابقه أو يكون مثيله على الأقل.

وكان هذان الاعتراضان لا يمكن الرد عليهما من قبل القائلين بهذه العقيدة، وظل السؤال القائل: ما هي الوسائل التي اتخذها الله لأجل هداية العالم منذ بدء الخليقة؟ بلا جواب.

والمسيحيون اقترحوا لهذه المعضلة حلًّا بقولهم: إن الله تعالى قد دعا جميع العالم إلى الهداية عن طريق المسيح الناصري فلذلك إنه بريء ومنزه عن التحيز لأمة دون غيرها. لكن لم يكن هذا الحل أيضا صحيحا، إذ لا يحل هذا الجواب قضية اهتداء الناس قبل المسيح. يتبين لنا من التوراة والإنجيل أن تعاليم المسيح لم تكن إلا للشعب الإسرائيلي، وإن فُتح باب الهداية بعد المسيح، فماذا فعل الله سابقًا لهداية مئات الملايين من الشعوب الخالية؟

فقصارى القول إن هذا السؤال ظل بلا جواب مقنع، وكان لا يزال يختلج في صدور الناس إلى أن قَلَب حضرةُ ميرزا غلام أحمد عليه السلام هذا الاتجاه العام رأسا على عقب، واستدل بقوله تعالى في القرآن: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: ٢٥)

أي ما من قوم إلا وقد بعث الله فيهم رسولا، وفي كل بلد وفي كل شعب بعث الرسل. ولا نقول إن الهند أو الصين أو روسيا أو أفغانستان كانت خِلوا من الرسل، أو كانت أفريقيا أو أوروبا أو أمريكا محرومة من الأنبياء، ولا ننكر وجود أولياء في أمم أخرى ولا نكذبهم، لأننا علمنا أنه قد خلا في كل أمة رسول، فإن وجود الأنبياء والشرائع والكتب في الأمم الأخرى لا ينافي مبادئ ديننا ولا يحول دون طريقه، بل هو مصدق له، غير إننا نعتقد بأن الله عز وجل شرف

أولا الأمم المختلفة كلا على حدة ببعثة الرسل طبقا لأوضاعها المحلية، لكن بعد ذلك حينما بلغ الإنسان مبلغ الجدارة للقبول بشريعة كاملة أُنزلت على نبينا محمد ﷺ، فعندئذ بعثه الله إلى أمم العالم كافة. إذن لم يخل قوم من الدعاة إلى الهدى في عصر من العصور، ومع ذلك كله إن الإسلام هو وحده الطريق المؤدي إلى الهداية اليوم، لأنه أكمل الأديان وآخرها، فلما جاء الدين الكامل بطل ما مضى من الأديان الناقصة. ويدل على نسخ هذه الأديان، أن الله ﷻ رفع عنها يد الحفظ والحراسة فتطرقت إليها أيدي التحريف، فصارت بعيدة من الحق والحقيقة، وعادت ممسوخة الشكل والمضمون. إن تلك الأديان المنقرضة صادقة من ناحية المبدأ وكاذبة من ناحية شكلها الراهن. وإن وجهة النظر التي قدمها حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية لا يمكن أن ينحرف عنها رجل لبيب، لأن الانحراف عنها يؤدي إلى الاعتراف بأن الله ﷻ يهدي أممًا ويحرم غيرها من وسائل الاهتداء، الأمر الذي لا يقر به العقل السليم. وإن سلم الناس بما قدمه حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام اضطروا لتصديق الإسلام، لأن الإسلام هو آخر الأديان، وهو الدين الوحيد الذي يقدم للدنيا هذا المبدأ الصحيح العادل.

إن هذا السلاح لأقوى سلاح دون نزاع، إذ لا تسع الطبقة المستنيرة المفكرة أيا كان انتماؤها الديني إلا أن تتأثر بها، لأن الإعراض عن هذه النظرية يدفع إلى الإعراض عن الله عز وعلا، الأمر الذي لا يجرؤ عليه أحد. وإقرارها يضطرهم إلى الخضوع لنير الإسلام، فلا بد لهم من ذلك، وقد أتاح حضرة المسيح الموعود عليه السلام للإسلام أداة حاسمة للانتصار والغلبة بعد أن قلب نظرية عالمية ضيقة بهذا الشأن رأساً على عقب.

والسلاح الرابع الذي استعمله حضرته لغلبة الإسلام، والذي غير مجرى المناظرات والمناقشات ضد الإسلام، وصارت لأجله قلوب الأعداء هواء، هو أن

حضرته بدل مبادئ علم الكلام السائد في العالم بأسلوب لا يمكن أن ينكرها الأعداء، ولا يسع لهم أن يقاوموا الإسلام في حال وجودها، فإن أعرضوا عنها واجههم الهلاك، وإن أقبلوا عليها ما وسعهم إلا القبول والخضوع، فلا الفرار ينجيهم ولا المقاومة تحميهم.

كان نمط النقد والنقاش قبل بعثة حضرته عليه السلام مبنيا على الحرية المطلقة لكل طائفة في طعن المخالفين كما يحلو لها، والإطراء والمبالغة في المباهاة بنفسها ما شاءت. ومن البين أن ساحة المناظرات والمناقشات إذا كانت غير محددة بحدود، ظلت المناقشات عقيمة لا تنتج شيئا. إذا ساهم بعض الفرسان في سباق، فلا بد لهم من قيود يتقيدون بها خلال السباق لكي نعرف السابق منهم، وإذا عدا فارس إلى جهة وآخر إلى أخرى فلن نعرف السابق، ولن يمكن، والظروف هذه، أن نحكم في المتسابقين بحكم عادل، كذلك المناقشات الدينية لن تسفر عن حكم صائب إذا لم تكن محددة بحدود. كانت العادة المتبعة من قبل أن أتباع كل دين كانوا يعزون إلى دينهم كل ما استحسنوا من قول أو عقيدة، مهما كان مأخذه، فكانوا يزعمون أنهم وجدوه في تعاليم دينهم، كأنهم كانوا لا يتناولون صميم أديانهم بالبحث، بل ما برحت آراء العلماء والمتباحثين الشخصية وحدها مدار البحث والنقاش، الأمر الذي كان يحرم الباحثين عن الحقيقة من كل فرصة لنيل بغيتهم. إن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أبطل هذا الأسلوب من النقاش بكل قوة، وقال إن الكتب السماوية إن نزلت لهدينا فيجب أن تكون متضمنة لما تهدي إليه من التعاليم، ومحتوية على أدلة مقنعة مدعومة "لتلك التعاليم"، لأن كلام الله عز وعلا إذا كان يخلو من الدعوى والأدلة عليها، كان عبثا- والعياذ بالله- فما الداعي لكلام الله إذا كان يتوجب علينا أن نقدم نحن الدعوى والدليل؟ فإذا كان ديننا بهذه الصفة، كان غير حقيق بأن يسمى دين الله عز وجل، بل هو أحق أن يدعى ديننا وليس دين الله، وليس لله منة علينا إذ نحن الذين اختلقنا الدعاوى

باسمه، وحشدنا الأدلة عليها، فلا بد إذن من أن يقدم أتباع الأديان السماوية دعاويهم من كتبهم المقدسة كما يجب أن يستمدوا أدلتهم من الكتب ذاتها.

وكان هذا المبدأ الحاسم من القوة بمكان لم يجرؤ أحد على رفضه، لأنهم لو رفضوه لأدى ذلك إلى أن دينهم الذي يقدمونه ليس بالذي تقدمه كتبهم السماوية، لأنه لو كان دينهم هو الدين نفسه الذي يوجد في كتبهم لما فشلوا في تقديم الدعوى من كتابهم السماوي، وإن كانوا يقدرون على ذلك فلماذا يخلو كتابهم من الأدلة عليه، ولما كان الله قد خلق العقل الإنساني بحيث لا يقبل أمرا بغير دليل فلماذا إذن لا يتسع للأدلة المقنعة حينما يدعوه للإيمان بشيء. وبالجملة فإن أتباع الأديان الأخرى لم يمكنهم أن يرفضوا هذا الأصل، لأن رفضهم إياه يكون عبارة عن كون أديانهم ناقصة ردية، ولم يسعهم أن يقبلوه.

فلعلك أيها الملك! تؤخذ بالحيرة والاستغراب إذا عرفت أن هذه الأديان لما روجعت في ضوء هذا الأصل، تبين أن زهاء تسعين بالمائة من دعاويها لا توجد في كتبهم، وأما البقية المستخرجة من الكتب فإنها مائة بالمائة غير مدعمة بالأدلة؛ أي كأن الله أنزل شيئا، وبدلا من أن يهيئ الأدلة بنفسه كلف الإنسان أن يجلب له الحجج والبراهين.

ولقد أثبت حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أن أتباع الأديان الأخرى إنما يختلقون من عندهم أشياء، أو يختطفون الآراء من هنا وهناك، ثم يعزونها إلى أديانهم، فيضيعون أوقات الناس بالمناقشات الفارغة في تفوق تلك الأديان، إذ أنهم إن أثبتوا ما يزعمون، أدى ذلك إلى أن مزاعمهم في هذه المسائل صحيحة، لكن لن يتبين أبدا أن دينهم حق، لأن مزاعمهم هذه لا أساس لها في كتبهم المقدسة. ثم أثبت حضرته أن القرآن الكريم وحده يقدم مبادئ الإسلام جميعها بنفسه، ويدعمها بالحجج والبراهين. واستشهد حضرته على ذلك بمئات المسائل التي ادعى بها القرآن وهيأ لها بنفسه الأدلة أيضا، وبذلك أثبت حقية ادعائه واضحا جليا، واندحر أعداء

الإسلام وتخاذلوا أشد التخاذل، واضطربوا لذلك أشد الاضطراب، حتى أعيتهم كل حيلة يتقون بها هذه الضربة القاضية، فلم ولن يجدوا هذه الحيلة أبدا، وإن هذا الفن من علم الكلام قد بلغ من الإتقان والكمال درجة لا تدع أحداً ينكره ولا يصدق معها الكذب، فكلما عم استخدام هذا السلاح، اشتد تسلل علماء الأديان الباطلة من المجادلات الدينية، وتبين لأتباعها عجز أديانهم، وبذلك تتجلى للعالم حقيقة ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (الصف: ١٠).

وأما السلاح الخامس الذي استخدمه حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه الصلاة والسلام- الذي نكّس أعلام الأديان الأخرى للأبد، وأتاح للإسلام غلبة وانتصارا لا قبل به لأحد، وكان السلاح الحاسم- فهو أن حضرته بارز أعداء الإسلام بقوله: إن الغاية المتوخاة من الدين هي العلاقة بالله والاتصال به، فالدين الحق المرضي عند الله في هذا العصر هو الذي يمكّن الإنسان من الاتصال بالله، ويورثه الثمرات اليانعة لهذا الاتصال، إننا نرى أنه ما من كائن في هذه الدنيا إلا وله أثر أو نتيجة، إن مست النار الجسم، أو اقتربت إليها أجسامنا فلا بد من الاحتراق أو التدفئة بها، وحينما نشرب الماء فلا نلبث أن نشعر بزوال حرقة العطش وتفيض وجوهنا بشاشة ونضارة، وإذا تغذينا بغذاء جيد سمن الجسم، وإذا داومنا على الرياضة البدنية فتلت عضلاتنا وصارت أجسامنا قوية بضة، كذلك لا بد للأدوية من تأثيرات إيجابية أو سلبية، لكن من أعجب الأعاجيب أن تكون العلاقة بالله عقيمة وباطلة لا تنتج شيئا، وإننا، ولو تآكلت أنوفنا بالسجدات المتكررة، والتصقت بطوننا بظهورنا من الصيام المتواصل وفنيت أموالنا من الزكاة والصدقات، ومع ذلك كله لم نشعر بأي تطور في حياتنا، ولم تؤد كل هذه الأعمال إلى طائل، ولا فائدة للاتصال بالله على الإطلاق، فما الداعي إذن إلى مثل هذا الاتصال؟ فإننا لما نسعى لننال حظوة لدى أصغر الحكام فسرعان ما تبدو الثمرات لحظوتنا لديه إذ نشرف عنده ونكرم، ويتسابق أتباعه لإرضائنا، إنه

يستمع إلى طلباتنا، ويكشف همومنا، وكل واحد يشعر بأنه من مقربيه وأحبائه، لكن من عجب العجاب أننا لا ندري مصير علاقتنا بالله، إذ لا يبدو لها تأثير في نفوسنا ولا في أعمالنا، ونظل حيارى تائهين كما كنا من قبل.

باختصار إن حضرته أثبت أن الدين الحي لا بد من أن يُعرف بأثماره التي تورث الإنسان لقاء الله عز وعلا وقربه، ولا بد كذلك من ظهور آثار هذا التقرب في حياة المقربين، فعلى أتباع كل الأديان أن يقدموا للناس حياتهم الروحانية بدلا من أن يهاجموا بعضهم بعضا، ويدعموا تقربهم إلى الله دون غيرهم بالحقائق الواقعة، ويأتوا بأولئك الذين ظفروا بقرب الله وتذوقوا كأسا فياضة من حب الله ﷻ، فعندئذ إذا ثبت صدقُ دين طبق هذا المستوى، وجب اتباعه، وإلا فأبعد وأُلقي كجثة هامدة لا حراك بها، لأنه لا يقدر على النهوض بالآخرين بل يضطر الناس لحمل عبئه، فمثل هذا الدين العقيم يضر ولا ينفع ويُخزي صاحبه في الدنيا ويدفعه إلى العذاب في الآخرة أيضا.

إن هذا الادعاء لحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، كان من الصحة والقوة بمكان بحيث لم يجرؤ أحد من الحصفاء على رفضه، ووقع هذا السلاح في نفوس أتباع الأديان الأخرى وقع الصواعق، فأخذوا يهتمون ويحتالون لحفظ كرامتهم المفضوحة، فأعلن حضرته إعلانا قويا مجلجلا أن آثار الحياة الروحانية لا توجد إلا في الإسلام، وليس من دين من الأديان الأخرى يمكن أن يبارزه في هذا الميدان، وإن كان أحد في ريب مما أقول فليبارزني. لكن لم يبرز أحد رغم التحدي المتواصل، وأنى له ذلك؟ إذ لم يملك إلا دعاوى جوفاء يتشدق ويصيح بها ألوف من الناس من أن دينهم هو الحق، غير أنهم عجزوا عن تقديم شاهد واقع أو دليل بين على ما يدعون. إن الحب الإلهي المتواصل لَشيء ذو أهمية، لكن الذين لا يحظون حتى بالعلاقة المؤقتة بالله تعالى ولم يتذوقوا طعمه قط أنى لهم أن يقدموا إثباته.

إن حضرته تحدى بذلك الهندوس والنصارى واليهود أيضا، بل تحدى سائر الأديان، لكن لم يبرز أحد لمواجهة هذا السلاح. إنه حرض الناس على ذلك بمختلف الطرق والأساليب وبمناسبات عديدة لكن كان نداؤه المتكرر صدى لا يرد، حتى إن حضرته تحدى مرة رئيس الأساقفة في البنجاب بأن يبارزه في استجابة الدعوات قائلا: إن كتبكم المقدسة تقول إنه إذا كان فيكم مثل حبة خردل من الإيمان، تحركت الجبال إذا أمرتموها بالتحرك، وإن كتابنا المقدس أيضا يبشرنا بانتصار المؤمنين والتأييدات الإلهية لهم واستجابة دعواتهم، فعليك أيها الأسقف أن تبارزني بالدعاء لأمر ما لكي يتبين أن الله يجيب دعوة أتباع الإسلام أم يقبل تضرعات أتباع المسيح الناصري. لكن ذلك الأسقف بهت ولم يطق جوابا رغم التحديات المتتابعة، وكان سكوته قد أثار استغراب المسيحيين أنفسهم، حتى أن بعض الصحف الإنجليزية تعرّضت له إذ قالت: ما لنا نرى كبار الأساقفة الذين يقبضون رواتب خيالية يتملصون من مواجهة التحديات، لكن الأسقف لم يجرؤ على ذلك رغم التحريض من قبل حضرته، ولم يحمله على ذلك تأنيب المسيحيين، ولم يبرح يماطل في تجرّع هذه الكأس المريرة بمختلف الأعذار الواهية.

إن حضرته أفحم أعداء الإسلام بمثل هذه التحديات المتتابعة وأعيا كل مبارز، وكان هذا السلاح السماوي فعالا في أعماق كل لبيب وسيظل كذلك حتى يصبح الناس كلما يرون عقم أديانهم وبطلانها، وكلما يرون قوة الإسلام وتأثيره المدهش وحياته الفياضة بآثار الحيوية والخلود، يقرون بصدق الإسلام، لأن الإنسان يستطيع أن يكتم الحق في المجادلات لكنه لا يُعذر إزاء المشاهدة والتأثير القوي الذي لا يقاوم، فلا يلبث قلبه عندئذ أن يصير صيدا طيعا للحق. وإن هذا السلاح الحاسم كان ولن يزال أقوى وأعظم سلاح لغلبة الإسلام، بل إننا متأكدون اليوم أيضا بأن الإسلام قد انتصر بفضل هذا السلاح انتصارا روحانيا عظيمًا وإن ظهرت الغلبة الظاهرية بعد أيام.

هذه الأسلحة الخمسة هي التي أطلقها حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام ضد أعداء الإسلام، وقد قدمتها بين أيديكم كغيض من فيض، وبها يمكن أن يتبين أن حضرته قد قام بتلك الفرائض التي أنيطت بالمسيح الموعود، فإن لم يكن هو بالمسيح الموعود، فهل من عمل لم يقم به حضرته حتى سيقوم به المسيح الموعود بعد بعثته؟ هل هو يدخل الناس في الإسلام بقوة السيف؟ فهل هؤلاء المسلمون المرغمون بقوة السيف ينفعون الإسلام؟ أو ينتفعون بهذا الإيمان الإجباري؟ إن المسيحيين إذا أخذوا يرغمون المسلمين ويجعلونهم مسيحيين عنوة وجبرا، فماذا يرى فيهم رجل عاقل نبيل؟ أجل، إن قلنا إن عملهم هذا لقبيح جدا، فلماذا إذن لا نستقبح عمل المسيح الموعود إذا أتى بمثل ذلك؟ إن إدخال الناس في الإسلام عنوةً سيضر الإسلام أيما ضرر بدل أن ينفعه، وسيبعد عن الإسلام كل معتدل الطبع يحب حرية العقيدة. فاستعمال السيف لأجل الإسلام لا يستدعي بعثة المسيح الموعود، إنما يجدر به أن يغلب الإسلام بقوة البراهين، ولقد قام حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بهذه الغلبة بقوة الأدلة والشواهد، ولم يبق منها شيء منتظر، فتحقق أن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية هو نفسه المسيح الموعود، لأنه قد أدى ما كان أداؤه مقدرا للمسيح الموعود.

هنا يمكن أن يقال إن الأدلة كانت موجودة من قبل أيضا، فكيف يمكن أن نعتقد أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية هو الذي سبب غلبة الإسلام؟ والرد على ذلك أن مجرد وجود السيف لا يضمن الغلبة ما لم يكن هناك بطلٌ يجيد استعماله. في هذه الأيام إن الإسلام وإن كان يملك سيف الأدلة، لكن المسلمين اليوم لم يكونوا يجيدون استعمال هذا السيف فحسب، بل كانوا يجهلون حتى وجود هذا السيف. فلم يستطع أحد غير المسيح الموعود أن يستخرج الشواهد والأدلة من القرآن الكريم بعد أن تشرف من عند الله بفهمه ويستعملها لانتصار

الإسلام على سائر الأديان ثم علّمها الآخرين. فغلبة الإسلام في هذا العصر قد تحققت بظهور المسيح الموعود عليه السلام فقط، وإلا فكما أن المدفع في الحرب لا يضرب الجيش بغير مستخدمه، كذلك مجرد وجود القرآن من دون عارفه، لم يكن نافعا للمسلمين، لأنهم من أجل فهمهم الخاطئ تعرضوا للهلاك والدمار. لكن حينما ظهر حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، تبدّت لهذا الكلام السماوي معان باهرة، وحارب حضرته أعداء الإسلام بأدلة قاطعة لا قبل لهم بها، بل تعذر لهم حتى الدفاع عن أديانهم، فلجأ بعضهم إلى الحكام ليمنعوا حضرته من هذا الهجوم، واتضح جليا كوضح النهار أن الإسلام سيغلبنّ الأديان الباطلة حتى يلتهمها جميعا كأفعى عظيمة.

الدليل الخامس: تجديد الدين

إن الدليل الخامس على صدق حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية ﵇ هو أنه قام بإصلاح الإسلام والمسلمين داخليًا، الذي كان مقدرا بيده بصورة خاصة، فثبت أنه هو المسيح الموعود.

إنني أرى أن جميع المثقفين المستنيرين ما عدا العلماء المتزمتين سيعترفون بأن الإسلام اليوم لم يعد ذلك الإسلام الذي كان في عهد رسول الله ﷺ. كل إنسان يشعر بأن الإسلام قد تسرب إليه ضعف، ولقد أتى عليه حين من الدهر صدق عليه قول الله ﷻ: ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: ٣)

لكن اليوم قد صار الإسلام هدفا للطعن والاعتراض من قبل الجميع، دعك من الأغيار؛ فإن بعض المسلمين المثقفين أخذوا يرتابون في كثير من المسائل الإسلامية. ثمة معترض على مبادئه الأساسية ومشكك في قيمه الأخلاقية وهناك من يؤاخذ على أسسه العملية. لم يعد الإسلام يورث ذلك الإيمان والإيقان الذي كان يثيره في قلوب أتباعه من قبل، ولذلك إن المسلمين اليوم مجرّدون من روح الفداء والتضحية التي كانوا يتحلون بها، فلا بد لنا من الاعتراف بأحد من ثلاثة أمور: إما أن نعتقد بأن التأثير القوي للإسلام لم يكن عدا قصة خيالية، وليس ذلك إلا استحسان مفرط لآراء السلف الصالح، أو أن نعترف بأنه ما من أحد يعمل اليوم بالإسلام، أو أن الإسلام قد تعرض للتدهور، لذلك لا يجدي العمل به اليوم أي نفع، والأخير من هذه الأمور الثلاثة هو الأصح. ذلك لأن تأثيره في الزمن القديم أمر متحقق ليس بالروايات المتواترة فقط، بل إنه جلي من الآثار الموجودة في جميع أكناف الأرض التي تشهد بالتقدم والازدهار الحاصل للمسلمين بفضل اتباعهم لهذا الدين، وأيضا ليس من الممكن أن نقول إنه ليس من أحد

يعمل اليوم بالإسلام، لأن المسلمين يعملون بإسلامهم المزعوم. فبعضهم يتبتل عن الدنيا وبعضهم يفديه بنفسه أيضا لكن دون طائل، فلم يبق إلا أمر وحيد وهو السبب الحقيقي الوحيد لذلك وهو: إن معاني الإسلام قد تغيرت عند الناس، حسب قول الرسول ﷺ: "لا يبقى من الإسلام إلا اسمه".[١]

ما بقي منه شيء سوى اسم الإسلام، والناس قد غيروا حقيقة الإسلام لأجل بعدهم عن العصر النبوي الميمون، لذلك فإن الإسلام في العصر الحاضر لم يعد قادرا على إحداث تطور حاسم كما كان يحدث من قبل، ولا يؤثر بصورته الحالية في قلوب غير المسلمين، إلا ما قد يشذ ظهور آثاره الفعالة في قلب أحد من أهل السعادة، لكنه لم يعد مطرد التأثير كما كان من قبل.

ولقد صدق ذلك قول الرسول ﷺ:

"تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي."[٢]

كذلك يقول ﷺ: "يا أيها الناس خذوا من العلم قبل أن يقبض العلم وقبل أن يرفع العلم قيل: يا رسول الله كيف يرفع العلم وهذا القرآن بين أظهرنا فقال: أي ثكلتك أمك وهذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف لم يصبحوا يتعلقون بالحرف مما جاءت به أنبياؤهم ألا وإن ذهاب العلم أن يذهب حملته ثلاث مرات"[٣].

يتبين من هذا الحديث أن الأمة المسلمة ستتحول إلى أخطر الأحوال، إذ يرتفع العلم، ويتضح من سابقه أن فرقة واحدة ستكون قائمة بالحق، وهذه الفرقة

---

[١] شعب الإيمان للبيهقي رقم الرواية ١٨٥٨، باب يوشك أن يأتي على الناس زمان....

[٢] مشكاة المصابيح، باب الاعتصام بالسنة

[٣] المرجع السابق

ستكون متصبغة بصبغة صحابة النبي ﷺ، وأيضا يظهر من الأحاديث النبوية أن الفرقة المتصبغة بصبغة الصحابة ؓ هي جماعة المسيح الموعود، لأن رسول الله ﷺ يقول لا أدري أآخر هذه الأمة خير أم أولها. فالمراد بـ "ما أنا عليه وأصحابي" جماعة المسيح الموعود، ويحق لها ذلك لأنه لا يمكن لأية جماعة أن تتصبغ بصبغة الصحابة ؓ ما لم تكن متمتعة بصحبة نبي من أنبياء الله تعالى.

قصارى القول إنه يتبين من الأحاديث السالفة الذكر أن الله ﷻ قد كتب على نفسه تجديد الإسلام وتأصيله بيد المسيح الموعود بعد أن يرتفع العلم من الأمة المسلمة ويندرس الدين، فيلزم من يدعي بكونه المسيح الموعود ليقيم التعاليم الإسلامية الحقة ويبيّن علوم القرآن الصحيحة، وإن لم يقم بذلك، لم يكن المسيح الموعود. بل لا يمكن أن يتحلى بهذا المنصب إلا من يكشف فضائل الإسلام ويقدم تعاليمه خالصة نقية في أيام الفتن الحالكة هذه في الزمن الأخير، ويُري منظر "ما أنا عليه وأصحابي"، وحينما تحقق ذلك تبين لنا طريق واضح آخر لمعرفة صدق مدعي المهدوية، وهو أن نتساءل أولا: هل الإسلام اليوم قد تحول في الواقع عن صورته الأولى تمام التحول؟ ثانيا: هل هذا المدعي في الواقع قد أعاده سيرته الأولى وقدمه للعالم بصورته الحقيقية؟

إن تحول الإسلام عن حقيقة الأمر -كما أسلفت – أمر لا يختلف فيه اثنان عاقلان، وأنى لأحد أن ينكره إذ يحققه فعل الله الظاهر أن المسلمين لم يعودوا المسلمين. ثم الصورة الراهنة للإسلام التي لا يمكن أن تطمئن المسلمين أنفسهم، لتشهد بنفسها على اختلال الإسلام. فلم يبق لنا إلا أن نتساءل: هل حضرة ميرزا غلام أحمد مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية قدم الإسلام الحقيقي بصورته الأخاذة الخلابة التي تستهوي قلوب الأباعد والأقارب؟ وهل قام حضرته بتطهير الإسلام من الأدران التي كدر بها العلماء المغرضون المتناؤون عن الله وتعاليمه

الناصعة البيضاء؟ وللإجابة عن هذا السؤال أريد أن أقدم لكم كمثالٍ بضعة أمور بارزة يتبين منها مدى تحول الإسلام على أيدي الناس عن صورته الحقيقية. ثم كيف أعاده حضرته سيرته الأولى وقدمه للعالم بصورة أخاذة.

إن النقطة المركزية للدين التي تدور حولها جميع المسائل، أو بتعبير آخر إن جذر الإسلام الذي تنزل منه جميع العقائد والأعمال منزلة الفروع والأوراق، هو الإيمان بالله. وسائر العقائد إنما هي لدعمه وتأييده، وسائر الأعمال ليست إلا لتثبيته وتمكينه، وأن أهم عنصر من عناصر الإيمان بالله هو الإيمان بالتوحيد. إن رسول الله ﷺ، منذ ادعائه بالنبوة إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، ما انفك يعلن بالتوحيد قائلا: لا إله إلا الله. وكابد في سبيل ذلك كل نوع من الأذى، لكنه رغم ذلك، لم يبرح عن هذا التعليم، حتى إذا كان ثمة قلق يراوده يوم وفاته فهو أن ينمحي ذلك التعليم الذي أقامه بعد أداء التضحيات التي لا تعد ولا تحصى. يا أيها الملك!، إن قلب المسلم ليذوب ويتفطر كبده حينما يطالع في الأحاديث النبوية والتواريخ أنه ﷺ حينما كان يعاني مرض الموت ولا ينقطع عن جسده العرق لشدة وطأة المرض، والمرض كان يجري منه مجرى الدم، عندئذ وفي تلك الساعة العصيبة، كان يشتد كربه وتتضاعف آلامه حينما كان حضرته- فداه أبي وأمي- يهتم اهتماما بالغا لئلا ينسى الناس بعده درس التوحيد فيعودوا مشركين، حتى في هذه الساعة العصيبة كان حضرته ﷺ قد نسي نفسه، وكان يتقلب في فراشه ذات اليمين وذات الشمال لشدة قلقه على مصير أمته، وكان يقول:

"لعن الله اليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[١].

وكان يريد بذلك تنبيه أمته أن لا ينسوا ما علّمهم من التوحيد طول حياته ولا يتخذوه إلها بعد وفاته. إن اضطراب الرسول ﷺ في مرض الموت وشغفه بتوحيد

---

[١] صحيح البخاري: كتاب الجنائز

الله كان حادثا أليما لا يترك لمؤمن محب للرسول مجالا أن يقرب الشرك أبدا، لكنك ترى أن معظم من ينتمون إلى الإسلام اليوم يخالفون هذا التعليم مخالفة علنية. ما كان ليخطر ببال المسلمين قبل ثلاثة عشر قرنا أن حاملي أعلام لا إله إلا الله، يخرون يوما على القبور سجدا، ويستقبلون عند الصلاة مدافن أوليائهم، ويعُدّون الإنسان عالم الغيب، ويعزون قدرة الله عز وعلا إلى أولياء الله، ويطلبون حاجاتهم من الأموات، ويقدمون النذور على القبور، ويؤمنون بأن أولياءهم هؤلاء يقدرون على أن يرغموا الله على ما يشاؤون، ويرونهم موجودين في كل مكان، ويذبحون القرابين لغير الله. والأدهى من ذلك والأمرّ أنهم رغم هذه الأعمال المكروهة، يزعمون أن كل ذلك من تعاليم القرآن وأحكام الرسول. فترى المسلمين اليوم أينما وجدوا من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب يعملون هذه الأعمال الشنيعة، وإن الله عز وعلا قد صان قبر الرسول من هذه البدعات نظرا لتضرع الرسول ﷺ وتلهفه قبيل الوفاة، لكن قبور الأولياء الآخرين من الأمة عادت كدور الأوثان للهندوس. ولو عاد الرسول اليوم ورأى هذا الشرك البواح، لعدّ هؤلاء المسلمين المزعومين من المشركين.

لعل قائلا يقول: إن ما ذكرتم من الأعمال القبيحة لم تصدر من العلماء، بل إنما هي من آراء الجاهلين، لكن الحق، أن الحكم على قوم يُطلق نظرا لأكثريتهم، فلما كان معظم المسلمين يتبعون هذه المزاعم المشركة، يحق لنا أن نقول إنهم منحطون من ناحية التوحيد، وإنهم قد نسوا أصل لا إله إلا الله، الذي كان روح الإسلام، غير أنه ليس بصحيح أيضا أن عامة الناس فقط يعتقدون هذه العقائد، بل أن المتبوعين لهؤلاء الجماهير من العلماء والأولياء أيضا يوافقونهم كل الموافقة، وإن كانت القلة القليلة منهم غير موافقة لهم باطنا، لكنهم أيضا قد انحرفوا انحرافا لا يقدرون معه على مخالفة هؤلاء الغلاة علنا، الأمر الذي يدل على أن الإيمان الحقيقي قد تلاشى.

إن بعض الطوائف من المسلمين يزعمون أنهم يجتنبون الشرك كل الاجتناب، بل إنهم يلومون الآخرين من المسلمين بأنهم أضروا بالإسلام بارتكاب الشرك، لكن من الأغرب أن هؤلاء أنفسهم يتخبطون في ظلمات الشرك، وإنهم يمتازون عن غيرهم من المسلمين إذ لا يتخذون كل أحد شريكا لله غير المسيح الناصري، هؤلاء يعتقدون كسائر المسلمين ببقاء المسيح الناصري في السماء حيا يرزق. ويرون أن أفضل الأنبياء محمدا ﷺ مدفون في هذه الغبراء بينما المسيح الناصري حي في السماوات منذ ألفي سنة -والعياذ بالله- ولا يكاد الله يقضي بموته. أفلا يقرؤون ما صرح به القرآن قائلا:

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (النحل: ٢١-٢٢).

وهؤلاء يتمسكون بحياة المسيح الناصري مع أنهم يرون بأم أعينهم أن النصارى قد اتخذوا المسيح إلها، ورغم ذلك لا يتركون الاعتقاد بحياة حضرة المسيح ولا يخجلون من الإدعاء بالتوحيد.

كذلك تراهم يرفعون عقيرتهم ضد الشرك مستنكرين، لكنهم مع ذلك يوقنون بأن المسيح الناصري كان يحي الأموات وهم يقرؤون في القرآن:

﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٦) أي أن الله تعالى بنفسه أيضًا لا يبعث الموتى أحياء إلى الدنيا.

كذلك يقول: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠١)

إن هؤلاء يسمون أنفسهم بأهل الحديث، لكنهم ينسون حديثًا يقول فيه الرسول ﷺ:

عن موسى بن إبراهيم الأنصاري قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: لقيني رسول الله... قال: قال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قال: بلى يا رسول الله،

قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجابه وأحيا أباك فكلمه كفاحا، فقال: تمنّ علي أعطيك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب تبارك وتعالى: "إنه قد سبق مني أنهم لا يرجعون"[١].

إن هؤلاء الناس لا يفكرون أن الفعل الذي هو من صفات الله الخاصة مع ذلك يعُدّه الله ﷻ مخالفا لسننه في هذه الدنيا فكيف يمكن أن يقوم به المسيح الناصري عليه السلام؟! إنهم ينخدعون بكلمات:

﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (آل عمران: ٥٠)

لكنهم يؤولون مثل هذه الكلمات إذا وردت في القرآن عن رسول الله ﷺ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٥) بأن الإحياء في هذه الآية بمعنى الإحياء الروحاني، فلما كان الإحياء روحانيا أيضا ولما كان من المستحيل أن يحي الأموات إلا الله ﷻ، ولما كان الله أيضا لا يرسل أحدا إلى الدنيا بعد موته، فلماذا إذن لا يؤولون الآية المذكورة بما يوافق كلام الله ولا يسبب الشرك بتاتا.

كذلك هؤلاء الموحدون المزعومون يوقنون بأن المسيح الناصري عليه السلام كان يخلق الطير مع أنهم يقرؤون في القرآن الكريم: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ (النحل: ٢١).

ثم يقول ﷻ: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (الرعد: ١٧)

كذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ (الحج: ٧٤).

وبالجملة فإنهم يستنبطون من: ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ (آل عمران: ٥٠) ما يخالف محكم القرآن، بالرغم من أنه يصرح بأنه من المستحيل أن

---

[١] سنن الترمذي: أبواب تفسير القرآن، تفسير سورة آل عمران

يخلق غير الله شيئا، ولا يقدر على ذلك إلا الإله الحق، لا يفكرون بأن لكل كلمة من القرآن عدة معان، فعلينا أن نستنبط منها ما يوافق الآيات الأخرى من القرآن، ويليق بشأن العبد، ولا نختار منها ما يعارض محكم الكتاب وينافي صفات الله ﷻ فنكون بذلك من المشركين مع انتمائنا إلى التوحيد.

هذه هي العقائد الخطيرة التي قد تفشت في جميع الطوائف الإسلامية من العلماء والجهلاء من المقلدين وغيرهم، من أهل السنة كانوا أو من أهل التشييع. ولا يمكن لأحد مع هذه العقائد أن يدعي بأن المسلمين متمسكون بـ"لا إله إلا الله". إن ألسنتهم وإن كانت تنطق بهذه الكلمات لكنهم من أجل هذه العقائد التي سبق ذكرها آنفا قد أصبحوا مبتعدين عن حقيقة هذه الكلمة ابتعاد الشعوب المشركة الأخرى. إن التعاليم التي قدمها حضرة ميرزا غلام أحمد عليه الصلاة والسلام لقمع هذه الضلالة والغي فياضة بروح التوحيد وجلال الله الأجل بحيث يفعم بها قلب الإنسان حبا لله عز وعلا حتى يصبح محفوظا من نيران الشرك ويدرك مقام التوحيد الذي تبوأ به الصحابة رضوان الله عليهم. إن حضرته عليه السلام أبطل جميع هذه الآراء الزائغة السالفة الذكر بالأدلة الدامغة وصرح بأن الله واحد لا شريك له وأن طلب الحاجات من الأموات وتقديم النذور للقبور أو السجود لأحد حيا كان أو ميتا أو الاعتقاد بأن أحدا نبيا كان أو غيره يملك قدرة الله ويعلم الغيب كمثله، أو ذبح الذبائح لغير الله وتقديم الهدايا إليه استرضاء له أو الإيقان بأن أحدا يستطيع أن يرغم الله عز وعلا على ما يشاء؛ كل ذلك شرك يجب تجنبه.

كذلك أثبت حضرته عليه السلام أن المسيح الناصري عليه السلام قد توفي وهو رهين هذه الأرض كسائر الأنبياء، وأنه كان يحي الأموات الروحانيين وكان يخلق كما يمكن لكل إنسان أن يخلق، وكان لا يقدر على إحياء الأموات الحقيقيين لا بإذن الله ولا بدونه؛ لأنه ﷻ لا يورث أحدا من عباده صفاته الخاصة وإن كلامه الصريح

يخالف وجود هذه الصفات في المسيح أو غيره. وإن الناس الذين يفشون الشرك لَيدّعون مثل هذه الادعاءات أن الله تعالى منح صفاته وقواه فلانا من الناس، ولا يدّعي أحد أن إلهه ينفذ حكمه في العالم مستقلًّا عن الله عز وعلا. إن حضرته عليه السلام بدد ظلمات الشرك بهذه التعاليم المطابقة للقرآن والموافقة للعقل السليم، ووجه المسلمين إلى طريق مستقيم كانوا قد حادوا عنه منذ أمد مديد، وبذلك قام بواجب عظيم كان مقدرا لبعثة المسيح الثانية.

والأساس الثاني من أسس الإسلام بعد الإيمان بالله هو الإيمان بالملائكة، وقد مسخه المسلمون كل المسخ، فإن بعضهم كانوا يعتقدون بأن الملائكة ترتكب المعاصي، وقد تعترض على الله تعالى عز وجل أيضا، وفي قصة آدم قدموا الملائكة كأنها تواجه الله بالاعتراض على حكمه مع أنها تؤكد بقولها:

﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: ٣١) بأنه لا يسعها الاعتراض على أفعال الله. ثم تفسيرهم لقصة هاروت وماروت لمن أبشع التفاسير التي تحير العقول؛ يقال إن الله تعالى بعث إلى الدنيا ملكين بصورة رجلين فعشقا امرأة فاجرة وأخيرا عوقبا فعلقا منكوسين في بئر، والعياذ بالله، ويقال أيضًا إن إبليس والعياذ بالله، كان أستاذ الملائكة.

وقد أخذ بعض الناس يزعمون أن للملائكة وجودا ماديا فإنها تهرول كالإنسان هنا وهناك، وأن عزرائيل ينزل مرة يزهق روح فلان ويرجع أخرى ليستولي على روح آخر. وبعكس ذلك أخذ بعضهم ينكرون وجود الملائكة مطلقا ويزعمون أن وجودها وليد الأوهام، ويؤولون آيات القرآن بأنها إنما تدل على قوى وطاقات غامضة حتى اجترؤوا على مخالفة علنية للقران وزعموا أنهم لا يرضون أن يكون القرآن منزلا بلسان جبريل بل يرون وجود الملائكة مخالفا لقدرة الله وعظمته.

إن حضرة المسيح الموعود عليه السلام أبطل هذه العقائد المعارضة للإسلام ونشر العقائد الصحيحة وأثبت بالأدلة أن الملائكة لا تعترض على الله تعالى ولا تأتي بالمعاصي، وقد قال الله تعالى فيها:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٧).

إنها مفطورة على الطاعة والانقياد فقط فكيف يمكن أن تكتسب المعاصي، وتبتلي بعشق العاهرات أو تستحق العذاب بالإعراض عن الله. وإن كانت الملائكة عرضة للآثام فلماذا أمر الله بالإيمان بها؟ لأن الإيمان عبارة عن الانقياد لمن يؤمن به الإنسان، فالأمر بالإيمان بمن يعصي الله ليس إلا إلقاء النفس إلى التهلكة.

كذلك أخبر حضرته أن الملائكة لها وجود روحاني؛ إنها لا تسعى هنا وهناك بل هي كالشمس تقيم بمقامها وتنشر النور من مستقرها وتنفذ أحكام الله من ذلك المقام وتقوم بواجبها مستعينة بالقوى المُسخَّرة لها.

وأيضا أبطل عليه السلام حضرته فكرةً أن إبليس كان أستاذا للملائكة أو كان منها، وبيّن أنّه ما كان إلا روحا خبيثة وقد وصفه الله قائلا: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٥).

وأيضا أبطل حضرته أن الملائكة بنات الأوهام أو إنها مجرد قوى غامضة، وأثبت بتجاربه الذاتية ومشاهدته الشخصية أن للملائكة وجودا يقينيا وكشف عن جهل الذين يسلّمون بأنه لا بد للعيون من نور الشمس ولإبلاغ الصوت من الهواء الذي خلقه الله، ولا ينال ذلك من قدرة الله شيئا، لكنهم يزعمون بأن خلق هذه الوسائط لأجل تأدية الأمور الروحانية يخالف قدرة الله وينال منها أيما نيل. وأبطل مزاعمهم بالعقائد التي يعتقدون بها هم أنفسهم، وأداهم باعترافهم، ونبههم بأن اتخاذ الله الوسائط لا يرجع إلى عجزه في تبليغ أحكامه إلى عباده بل إنما هو لأجل احتياج الإنسان إلى الوسائل في تلقي كلام الله، وهذه الوسائط تساعد الإنسان على تقدمه. وبالجملة فإن حضرته قضى على المفاسد التي تعرض لها

الركن الثاني من أركان الإسلام وكشف عن وجود الملائكة بصورة قدم بها الله ورسوله ﷺ.

والركن الثالث من أركان الإيمان هو الإيمان بالكتب السماوية. كان إيمان المسلمين بها قد تزعزع وكان قد تفشى في المسلمين نظريات غريبة بخصوص الكتب السماوية ولا سيما عن القرآن. والحق أن الإيمان بالقرآن هو الأصل الأساسي من الإسلام أما الإيمان بالكتب السماوية الأخرى إنما هو بشكل أصولي، وإلا فهي قد اندرست ولم يطالب بالعمل بها في صورها الراهنة.

إن ما يعتقد به المسلمون عن القرآن ليحيرني أشد الحيرة، غير أنني أدري أن الداعي لحيرتي إنما هو إيماني بالمسيح الموعود عليه السلام الذي أدى إلى إدراكي لحقيقة القرآن، ولولاه لكنت أيضا مخطئا في معرفة القرآن كسائر الناس. وبعض الناس يزعمون أن القرآن قد ارتفع من الأرض عند وفاة النبي ﷺ وفُقد معظمه، والعياذ بالله، وبعضهم يظنون أن القرآن الموجود بين أيدينا قد تأثر بالتصرفات البشرية، غير أن بعضهم الآخر يرفضون ذلك رفضا باتا ويعدونه كفرا، إلا أنهم بأنفسهم يعتقدون في القرآن بأمثالها من عقائد خطيرة أخرى فيقولون مثلا إنّ بعض القرآن منسوخ؛ وأسلوب النسخ -على حد قولهم- هو أن أية آية تبدو معارضة لآية أخرى فهي منسوخة، وكانت النتيجة أن بعضهم وجدوا هذا التعارض في بعض الآيات بحسب زعمهم والآخرون عثروا عليه في غيرها؛ فهذا أعلن بنسخ هذه الآيات والآخر بتلك، فبذلك تعددت الآيات المنسوخة حتى نسخ قسم يعتد به من القرآن المجيد، وبطل العمل به والعياذ بالله.

ولم تكن الخسارة في ذلك أنه نسخ بعض أقسام القرآن فحسب، بل الأدهى من ذلك والأخطر أن الطبائع ارتابت بأن في القرآن بعضه ناسخ وبعضه منسوخ، فما اعتبار الكتاب الذي لم يعين الله ورسوله القسم المنسوخ والقسم الذي لم يتم نسخه منه، إذ قرر كل واحد ما يحلو له منه أنه هو الأصل والآخر منسوخ.

والعقيدة الخطرة الثانية التي نشأت في الكتب السماوية ولاسيما عن القرآن الكريم هي أن هذا الكلام أيضا ليس بمصون عن تصرف الشيطان، ويقال إن الشيطان يتدخل أحيانا في وحي الله تعالى، وتؤوّل الآيةُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ (الحج: ٥٣).

بأن الشيطان قد تدخل في استماع كل نبي بكلام الله وخلط به الشيطان كلاما من عنده، ولم يكتف هؤلاء بتصريح ذلك فحسب، بل يزعمون أن رسول الله ﷺ كان يقرأ مرة سورة النجم فلما قرأ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ (النجم: ٢٠-٢١)، تصرف عندئذ الشيطان بلسانه، والعياذ بالله، وأجرى عليه كلمات: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى"، فلما سمع الكفار هذه الكلمات من لسان النبي ﷺ خروا سجدا ولما تبين لحضرته ﷺ فيما بعد أن الشيطان أجراها على لسانه، تأسف لذلك أشد التأسف- والعياذ بالله من ذلك.

ولئن استكبره بعض الناس وعدوه مما لا يحتمل، فقالوا إن الشيطان لم يتصرف بلسان رسول الله ﷺ، بل إن الشيطان بنفسه انتحل بصوت الرسول وقال بهذه الكلمات حتى خيل إلى الناس أنها من لسان الرسول ﷺ، الأمر الذي يؤدي إلى إبطال الثقة بكتاب الله القرآن، فقيل للرد على ذلك إن الله تعالى يبطل هذا الوهم قائلا:

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (الحج: ٥٣).

أي أن الله تعالى يبطل تدخل الشيطان بعد حدوثه، لكن هذا الجواب لا يثلج صدر المتشكك لأن الشيطان إذا أمكنه التدخل في وحي الله فما الذي يقنعنا أن هذه الآية نفسها ليست مما أدخله الشيطان وأن الشيطان هو بنفسه طمأن الرسول قائلا: فينسخ الله ما يلقي الشيطان، لكي يُعتبر من الله ما لم ينسخ.

لقد استخف بعض الناس بمكانة القرآن حتى جعلوه خاضعا لأضعف الأحاديث وموضوعاتها، وأخضع بعضهم كلام الله ذي الجلال تابعا لآراء المغرضين وذوي الخلق الذميم الزائغ على اسم أتباع السنة. وإن كان القرآن يرفض أمرًا رفضا باتا لكن ذكره أحد الأحاديث وإن كان أضعفها فهم يؤثرون ذلك الحديث الضعيف على القرآن. وإن أثبت القرآن شيئا وخالفه أحد الأحاديث اعتبروا بيان الحديث ساري المفعول وأعرضوا عن القرآن.

وبعض الناس وصفوا كلام الله القرآن بأنه ليس إلا أفكار الرسول ﷺ. ويرفضون كونه كلام الله رفضا باتا؛ يقولون بأفواههم إنه كلام الله لكنهم يؤولون قائلين إن الأفكار التي كانت تخطر بقلب الرسول الطاهر إنما كانت بتأييد الله تعالى، لذلك ينبغي أن تسمى كلام الله، وإن كانت الكلمات لرسول الله ﷺ، والعياذ بالله، لأن كلام الله- على حد تعبيرهم- لا يمكن أن ينزل في شكل كلمات، لكونها تقتضي لأدائها اللسان والشفاه.

وبعضهم أقروا بأنه لا يمكن ترجمة معاني القرآن بتاتا كأنهم منعوا بذلك المسلمين من فهم كلام الله بسد الطريق الذي يؤدي إلى تبليغه إلى عامة الناس. وعليه صاروا مسؤولين عن انحراف المسلمين عن دينهم.

وادعى البعض الآخرون أن القرآن الكريم كتاب مجمل يحمل في طياته بعض الأمور الضرورية إشارة، لكن لم تثبت منه أية مسألة.

وبعضهم يرون أن القرآن مملوء بالتقديم والتأخير فلا يمكن فهمه إذا لم نراع هذا الأمر.

وبعضهم اجترؤوا على كلام الله بحيث عزوا إليه الأساطير والقصص التي يرفضها العقل السليم وتنفر منها الفطرة الصحيحة أشد النفور، ويسوقون الأساطير الإسرائيلية ويقحمونها في تفسير القرآن دون مراعاة كونها تطابق النص القرآني بل

وإن كانت معارضة لألفاظه ومناقضة لسياقه، ويعدون تلك الأساطير الخيالية من تفسير القرآن، ولا يرتدعون عن نسبتها إلى السلف الصالح من أولياء الله.

وبعضهم يرون أن كلام الله بغير أي ترتيب أو تنسيق وكأنه كلام مضطرب مفكك ككلام أحد المعتوهين وقد حُشدت فيه الحوادث المتنوعة حشدا لا ترتيب فيها ولا مغزى.

ولقد اعتدى بعض المسلمين بل كلهم على الإسلام اعتداء كبيرا إذ قالوا إن كلام الله كان ينزل من قبل لكنه قد انقطع اليوم انقطاعا نهائيا وكأن صفة هامة من صفات الله قد تعطلت، إنه لا يزال يرى ويسمع لكنه لا يتكلم مطلقا، والعياذ بالله.

قصارى القول، إن كل شخص بذل غاية جهده لِيبدّد وحدة كلام الله تبديدا، وحاول أن يحجب جماله الأخاذ عن أعين الناس، وأدهى من ذلك أنهم سموا هذه المحاولات الشائنة "خدمة القرآن" مع أن هذه الجهود هي التي أدت الى كراهية الناس للقرآن وذهب تأثيرُه من القلوب.

أيها الملك! قد طهر المسيح الموعود وجه الإسلام الأغر من هذه العيوب، وأثبت بأسطع الأدلة أن القرآن الكريم آخر هداية من الله ﷻ، وإنه لأسمى من النسخ، وكل ما يحويه فهو صالح للعمل للمسلمين. وما من آية من آياته تناقض الأخرى فتنسخ، والذي يرى فيه اختلافا إنما هو جاهل ويريد أن يعزو جهله إلى القرآن، لا تحريف فيه ولا تبديل. وكل كلمة من كلماته وكل حرف من حروفه هِيَ هِيَ كما نزلت على محمد ﷺ. وليس ذلك فحسب بل يستحيل فيه التبديل مطلقا، لا في مواضيعه ومعانيه ولا في كلماته لا بالنقص ولا بالزيادة، وإن الله لحافظ له بنفسه، وقد هيأ لحفظه وسائل روحانية ووسائط مادية بحيث لا يمكن أن يؤثر فيه التصرف الإنساني. فالقول بالنسخ فيه لخطأ مبين، وإقرار التبديل فيه والتحريف مهما كان تافها لتهمة باطلة، إنه لا ولن يزال محفوظا مصونا.

والزعم بأن قسما منه قد ارتفع من الدنيا ليس إلا افتراء على الله، وذلك لأن المراد منه أن هذا الكتاب الكامل الذي كان قد أنزل هدى للعالمين لم يقم بهذا الواجب ولا ليوم واحد. وإقرار التبديل فيه ليس إلا جعله كتابا غير موثوق به للأبد. ولو كان الأمر كذلك لبعث نبي جديد بشريعة جديدة أخرى لهداية الدنيا لئلا تحرم الدنيا وتبقى بلا شريعة تعمل بها.

كذلك أثبت حضرته أن القرآن المجيد بل كل وحي من الله أسمى من تصرف شيطاني، ومن المستحيل بتاتا أن يتدخل الشيطان في كلام الله، لا بتصرفه بلسان النبي ولا بانتحاله صوته. ودعم حضرته ما ادّعاه بتجاربه الشخصية قائلا: إن الكلام الذي أتلقاه أنا العبد المتواضع إذا كان منزها من شوائب الشك فالوحي الذي يتلقاه مولاي محمد رسول الله ﷺ، وهو القرآن العظيم الذي أنزل هداية إلى القيامة، كيف يمكن أن يكون قابلا للتصرف الشيطاني ولو لثانية واحدة.

ولقد أخبر حضرته المسلمين بأن القرآن المجيد كلام يقيني وقد وعد الله عز وجل بحفاظته، وإنه أوفى بوعده هذا إيفاء حتى الأعداء هم الآخرون يعترفون بحفاظة القرآن، فوضعُ الحديث مقابله لإهانة له ورفضه عمدا. الحديث الذي يخالف القرآن لا يمكن أن يكون حديثا نبويا، وذلك لأن رسول الله ﷺ لا يمكن أن يناقض كلام الله، هذا وإن تدوين الأحاديث ليس بمأمون ولا مصون كالقرآن، فينبغي أن لا يُخضع القرآن للحديث، بل ينبغي إخضاع الحديث للقرآن. فإن وجدنا بينهما تعارضا، فعلينا أن نترك ذلك الحديث لأنه ربما قد عبثت به يد إنسانية.

وردَّ حضرته على الذين يزعمون أن الحديث هو وحده منبع العلوم الدينية كلها، ونبههم على أن هناك مصدرا ثالثا للشريعة عدا القرآن والحديث، وهو السنة النبوية؛ أي الأعمال التي عملها الرسول ﷺ بين أيدي الصحابة ﵃، الذين تلقوا أسوته مباشرة وعملوا عليها، فلا حاجة بنا إلى حديث شفهي، إذ شهد الألوف المؤلفة من المسلمين أمثالهم عاملين عليها متمسكين بها، وتوارثوها عن

المتقدمين. وهذه سنة لا تعارض القرآن أبدا، غير أن الحديث المروي باللسان يمكن أن يخالف القرآن لأنه قابل للتشكيك فيه. فإن عارض القرآنَ المجيد فهو أحق بالرفض وإذا وافقه فهو مقبول، لأنه شهادة تاريخية، وينبغي أن لا تُرفض شهادة تاريخية بلا داع، وإلا تلاشت معظم الحقائق في هذا العالم.

أبان حضرته فساد الفكرة القائلة بأن القرآن المجيد من كلام الرسول، وصرح بأن كل لفظة من القرآن كلام الله، ولم يكن النبي إلا مبلغ ذلك الوحي وليس مختلقا له، ولا تصح الشبهة أن الكلام يقتضي اللسان والشفاه والله تعالى أسمى عن ذلك، إذ الله تعالى ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١٢) هذا قياس مع الفارق فلا يجوز أبدًا أن تقاس صفاته بصفات الإنسان. فإذا كان كلام الله لا يتم إلا باللسان والشفاه فكذلك من المستحيل إذن أن يصنع شيء بغير الأيدي المادية الصانعة. أوَليس الله إذن بقادر على الخلق أيضا؟ لكنه تعالى إذا اقتدر على خلق هذه الأكوان بغير يد مادية فهو أقدر على أن يظهر مشيئته على عبده في شكل الألفاظ بغير الألسن والشفاه. استشهد حضرته على ذلك بتجاربه الشخصية، وقال إن هذا الوهم ناجم عن عدم معرفة هذا الموضوع. فالله تعالى يكلمني أنا بالألفاظ، فإذا كان الله تعالى يكلمني بالألفاظ، أفلا يُعقل أنه يكلم بالكلمات الرسول الكريم ﷺ الذي هو أقرب الخلق إليه عز في علاه. ومن أجهل ممن يقف ما ليس له به علم ويحاول أن يدرك أسرار الله تعالى بعقله المحض وهو أجهل بها.

وإن حضرته أبطل أيضا الرأي القائل أنه لا يمكن ترجمة معاني القرآن، وصرح بأنه كيف يمكن أن يطلع الناس على محاسن القرآن الكريم إذا لم يبلغ إليهم مفهومه؟ ومما لا شك فيه أن نشر الترجمة المجردة للقرآن الكريم من دون نصه العربي لجريمة، لأنها مدعاة للابتعاد عن نص القرآن. ومن الممكن أيضا أن يعرض الناس عن الأصل الحقيقي إذا استمر نقل ترجمة وحدها إلى تراجم أخرى. أمّا الذين لا يعرفون اللغة العربية هم أحوج ما يكونون إلى ترجمة مصحوبة بمتن القرآن، غير أنه من اللازم

تعويد الناس على تعلم اللغة العربية حتى يستطيعوا التمتع ببركات القرآن المجيد مباشرة باللغة الأصلية، الأمر الذي لا يمكن أن يتأتى بمجرد الترجمة، وعلى الأقل لا بد من تعليم كل مسلم قسما من القرآن يلزمه في أداء الصلاة.

ولقد دحض حضرته بأوضح الأدلة القول بكون القرآن كتابا مجملا يحوي بعض الإشارات والرموز فقط وصرح بأن القرآن كتاب جامع وشامل لا نظير له ولا مثيل في العالم. والذنب ذنبكم إذا أعرضتم عن التفكير فيه، ولم تحصلوا على طهارة لا يمكن بدونها أن يتلقى الإنسان معارف القرآن إذ قال ﷻ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠) فلا تعزو فهمكم القاصر إلى القرآن. ثم قدم حضرته جميع المسائل المستمدة من القرآن وردّ على اعتراضات الأعداء بالقرآن نفسه، وأثبت أنه ما من كتاب أوعى للعلوم الروحانية والدينية والأخلاقية وأجمع لها من القرآن الكريم. إن كلماته وجيزة لكنها فياضة بالمعاني الزاخرة كالبحر تماما، حتى إن جملة واحدة من عباراتها تتضمن عشرات المعاني بل مئات منها، وإن معانيه لتحل أعقد المسائل والشكوك في كل عصر وإنه ليفي بحاجات كل الأزمان إلى القيامة.

وأبطل حضرته الرأي القائل بأن القرآن مملوء بالتقديم والتأخير، وأثبت أن كلماته لثابتة في مواضعها ثبوتا بحيث لا يمكن تقديمها أو تأخيرها من مواضعها، وإن كان الناس يرونها لجهلهم مقدمة أو مؤخرة، بل كل ما فيه موضوع في موضع هو الأصح له، وأن وضعه في هذا الموضع يُنشئ مزية أرادها الله، واستشهد حضرته على ذلك بشرحه شتى الآيات، ودحض وساوس أناس توغلوا في التقديم والتأخير بسبب قلة علمهم.

كما انتقد حضرته إقحام الإسرائيليات في تفسير القرآن، وصرح بأن التشابه الظاهر بين بعض الحوادث لا يعني أنها في الحقيقة من قبيل واحد. فإن القرآن الحكيم إذا ذكر حادثا بكلمات محددة خاصة تختلف عن كتب أخرى فإنما أراد بها أنه لا يقبل ذلك الحادث بالصورة التي سرده بها أولئك القصاصون، وأكد

بأن القرآن الحكيم ليس كتاب قصص وروايات بتاتا، بل الحوادث القديمة التي يسوقها القرآن إنما يقدمها كأنباء المستقبل، وإنما يهدف بها أن مثل هذه الحوادث ستحدث للرسول ﷺ أو لبعض أفراد أمته. إن إقحام القصص والروايات الإسرائيلية ليس إلا لتحريف معانيه الأصلية. ولقد أنزل القرآن شاهدا ومهيمنا على الكتب السماوية السابقة وليس العكس حتى نستشهد بها عليه. وعلينا نحن المسلمين أن نفسر القرآن بالقرآن نفسه، ونستخرج ونستنبط معانيه منه لا من خارجه.

ولقد أثبت حضرته أن القرآن الحكيم كتاب مرتب ومنسق وليس بكتاب مشتت تخبط مواضيعه خبط عشواء، بل إن آياته وسوره بدءا من ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ (الفاتحة: ١) إلى ﴿وَالنَّاسِ﴾ (الناس: ٧) لمرتبة أروع ترتيب طبيعي لا يكاد يطلع عليه أحد إلا وهو يأخذ بمجامع قلبه، ولا يمكن أن يتمتع بمثل هذا الترتيب الأخاذ كتابٌ من صنع الإنسان. والذين يرون مواضيع القرآن الحكيم غير مرتبة، أو وجدوه مُجْمع مختلف الوقائع والمواضيع، ليس لهم في الواقع حظ من معارف هذا الكتاب المنقطع النظير. إنهم يعتزون بجهلهم ويتكؤون على ضحالة علمهم، وإن رأيهم ليس إلا خطأ مبينا وظنا باطلا. واستشهد حضرته على ذلك بشواهد عديدة من مواضيع القرآن وجعل العالم كله يعضّ على البنان حيرةً.

وكما دحض حضرته بتجاربه الشخصية والأدلة المشهودة العقيدة القائلة بأن الله قد انقطع اليوم عن الكلام وصرح بأنه ما من صفة من صفات الله بمعطلة. ومادام يرى ويسمع اليوم كما كان من قبل، فما الذي دعاه إلى الانقطاع عن الكلام اليوم؟ الشريعة شيء ومجرد الوحي شيء آخر، فإن الوحي إنما هو مظهر رضا الله، وانقطاعه لا يعني إلا الحرمان المطلق من نيل مرضاة الله وسد جميع الطرق المؤدية إليها، فإن كلام الله لا يمكن أن ينقطع أبدا. فما دام الإنسان

موجودا في الدنيا وما دام بعض الناس ساعين للحصول على مرضاة الله من صميم أفئدتهم عاملين بتعاليم الإسلام فإلى ذلك الوقت سيظل كلام الله ينزل.

قصارى القول إن حضرته أزال جميع الأخطاء المتفشية عن الكتب السماوية وكلام الله القرآن التي من أجلها كان قد تهدم هذا الأساس الهام من أسس الإسلام، ثم رفع بنيانه على قواعده الحقيقية واستهوى الطباع النافرة إلى روعة كلام الله وعظمته وكشف عن نوره الأخاذ الحُجُب التي وضعها المسلمون عليه، واندهشت الأمم الأخرى أيضا لنور القرآن الخلاب الذي كان يبهر عيونهم لشدة لمعانه.

والأساس الرابع للإسلام هو الإيمان بالأنبياء عليهم السلام، وقد شوه المسلمون المتخلون عن حقيقة الإسلام وروحانيته هذا الأساس أيضا أغرب التشويه وأخطر التقبيح الذي جرد قلوب المسلمين من حب الأنبياء وكرهّهم إلى قلوب غير المسلمين. والحق أن الشتائم التي توجه إلى شخصية النبي ﷺ اليوم، إنما مسؤوليتها على هؤلاء المسلمين المزعومين وحدهم لا غير. إن التهم التي يختلقها النصارى وغيرهم من أعداء الإسلام من عند أنفسهم لا تبلغ مدى ما يستنبطون من روايات المسلمين أنفسهم والمسلّم بها عندهم التي يتمتعون ببيانها في مجالسهم بصفة النكات ويستلذون بإدلائها على المنابر. آه! إن قلب مؤمن غيور ليتفطر حينما يرى أن عدوا من أعداء الإسلام -أرغم الله أنفه- يمزق "والعياذ بالله" رداء شرف النبي وكرامته بسيف ليس من صنعه بل هو من صنع المسلمين أنفسهم. والحق أن ذلك العدو لا يكشف إلا نفاق منافق من المسلمين بل ينال ببادئ النظر من خلق النبي ﷺ.

إن الأنبياء لا يبعثون إلا لتشييد بناء البر والتقوى وتقديم الهداية والإرشاد للناس، لكن المسلمين في هذا الفيج الأعوج عزوا -على النقيض من ذلك- إلى الأنبياء ما تتمزق لسمعه الأكباد. إنهم أحصوا المعاصي والآثام لكل نبي من آدم عليه الصلاة والسلام إلى نبينا محمد ﷺ. لقد أثبتوا كون آدم آثما لأنه أعرض عن

أحكام الله بشكل واضح صريح، وأثبتوا كون نوح عليه الصلاة والسلام آثما لأنه دعا لابنه على الرغم من أن الله منعه من ذلك. ثم عزوا المعصية إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقالوا إنه كذب ثلاث كذبات، وقالوا إن يعقوب خدع أباه وهو على فراش الموت إذ تنكر بلباس أخيه حتى يستحق دعاء أبيه. وافتروا على يوسف وقالوا إنه عزم الزنى بامرأة العزيز عزما أكيدا واستعد لذلك كل الاستعداد وما كاد أن يمتنع عنه رغم المواعظ والتنبيهات المتكررة، ولم يرتدع عن ذلك إلا بعد إن رأى صورة أبيه يعقوب عيانا فاستحيا وتندم. كذلك يقال إنه سرق في الصغر وقام بالخدعة ليبقي أخاه معه.

ويتهم حضرة موسى بأنه قتل شخصا بدون مبرر فأتى بكبيرة من الكبائر، كما أنه فر بعد أن ابتز أموال الناس بالباطل. ورموا داود بأنه دبر مكيدة لقتل شخص عن غير جريمة لكي يمتلك زوجته من بعده، ففعل ذلك وتزوج زوجته، فزجره الله على ذلك. وقذفوا سليمان بأنه عشق مشركة فاستولى عليه الشيطان كل الاستيلاء حتى تولى حكومته بنفسه وأنه غلبه حب الأموال حتى حرم من سعادة العبادة، ونسي الصلاة خلال استعراض الجياد حتى غربت الشمس.

معلوم أن رقاب هؤلاء الناس وكل ذرة منهم خاضعة لإحسان رسول الله وتحت أعباء مننه؛ أجل إن هذا الرسول العظيم هو أعظم هدف لتهمهم وبهتاناتهم، فإنهم لم يدعوا ولا جانبًا واحدًا من جوانب حياته الطيبة إلا وصموها. بعضهم زعموا أنه كان يريد أن يستخلف عليا لكنه خشي الناس ولم يستطع أن يحقق أمله، واختلق بعضهم أنه عشق بنت عمته بعد أن رآها، والعياذ بالله، فتزوج منها بعد أن طلقها زيد، وافترى بعضهم بأنه كان يطأ أمة إحدى زوجاته مختفيا عن أزواجه، فمرة رأته إحداهن بهذا الوضع فتندم فأقر لها بأنه لن يعود لمثله أبدا، واستوثق منها أنها لن تخبر أحدًا عن ذلك، واجترأ بعضهم فقالوا إنه كان يفكر أحيانا في أن يداهن المشركين ويوافقهم بتسهيل بعض أحكام الإسلام بحيث ترضى مشاعرهم وعواطفهم.

هذه هي آراء المسلمين المعاصرين في الأنبياء عليهم السلام حتى إن بعضهم تمادوا في غيهم وتجاوزوا حدود سلوكياتهم الشخصية واعتدوا على سيرتهم الدينية، وزعموا أن الأنبياء إنما كانوا يحبون أوطانهم، فإنهم لما رأووا أن الناس لا يمكن أن يتقيدوا بحدود التمدن دون أن يعتقدوا بيوم الدين وأن الجنة والنار حق، أرشدوهم إلى أعمال صالحة ببعض التوجيهات بحسب مقتضى الوقت بنية صالحة. إن ادعاءهم بالوحي السماوي لم يكن صحيحا، غير أنهم يستحقون الاحترام لحسن نيتهم ولأنهم قد قدموا تعاليم أخلاقية سامية. وأمثال هؤلاء المتشككين رغم هذه الأفكار المتطرفة، يُعتبرون مسلمين.

إن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه الصلاة والسلام لم يقم بدحض العقائد الزائغة الأخرى ببيانه الصراط المستقيم فحسب، بل لم يدخر وسعا في تنبيه المسلمين وسائر الناس على خطأ هذه الأفكار المتطرفة ولم يأل جهدا في إطلاعهم على التعاليم الإسلامية الأصيلة الصحيحة بشأن هذه الأفكار. فقد صرح حضرته بأن الأنبياء عليهم السلام إنما يبعثون لتأسيس البر والتقوى في الدنيا، لذا إنهم أسوة للناس. وإن لم يكونوا أسوة فلا داعي لبعثتهم ولا مبرر، بل كان في نزول الكتاب وحده كفاية. إن الغاية المتوخاة من بعثة الأنبياء هي أن يشاهد الناس أحكام الله بصورة عملية، ويتبينوا حقيقتها اللفظية بصورتها التطبيقية، ويتشجعوا بأسوتهم على التقدم في الحسنات، ويستمدوا منهم القوة الروحانية على أهوائهم النفسانية.

إن حضرته علّم الدنيا أن الأخطاء التي وقع بها الناس بحق الأنبياء مرجعها جهل هؤلاء الناس وضآلة فهمهم، إنهم لا يسعون لفهم كلام الله ويذيعون آراءهم بغير تحقيق. فبيّن عليه السلام إن أنبياء الله تعالى أجمعهم معصومون عن الخطأ، إنهم أسوة خالدة وصورة نابضة للوفاء والصدق، وإنهم مظاهر صفات الله، وإنهم أعلام

جلية لتسبيحه وتقديسه وتنزيهه عن كل عيب ومنقصة، إنهم في الواقع كالمرآة الصافية التي يرى فيها المسيء أحيانا دمامته وقبحه فينسبها إليهم.

لم يكن آدم ناقضا لقوانين الشريعة، ولا نوح عاصيا لأوامر الله، ولا إبراهيم كاذبا أبدا، ولا يعقوب خادعا، ولا يوسف آثما ولا سارقا ولا مزورا، ولا موسى سافكا للدماء بغير حق، ولا داود خاطفا لزوج أحد جورا، ولا سليمان ناسيا أحكام الله في سبيل حب مشركة، ولا ساهيا عن صلاته من أجل حبه للخيل، ولم يرتكب رسول الله ﷺ صغيرة ولا كبيرة، كان منزها عن جميع العيوب، مصونا من كل المعاصي. والذي يحاول أن يعدد العيوب في حضرته ﷺ، إنما يُظهر على رجسه الباطني. إن جميع هذه القصص الملفقة عن ذاته الشريفة إنما هي من صنع بعض المنافقين ولا تستند إلى واقع تاريخي، وأن حياته الطاهرة لتدحض هذه الروايات الواهية وتجتثها من جذورها. ومثل هذه الأقاويل عن رسول الله ﷺ وعن سائر الأنبياء إما أنها بقايا التهم الكاذبة من قبل المنافقين أو هي ناجمة عن تأويل خاطئ لآيات القرآن.

إن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام أثبت بوضوح وبأدلة قاطعة أن مثل هذه الآراء الزائغة لا تمت إلى الإسلام بصلة، والحق إنها إسرائيليات انتقلت إلى المسلمين عن طريق النصارى لأنهم كانوا قد سلكوا هذا المسلك الشائن من اتهام سائر الأنبياء، لكي يثبتوا به بأنه مادام المسيح الناصري وحده أسمى من العيوب فهذا يعني أنه كان يملك قوى خارقة تفوق قوى الإنسان حتمًا. لذا فإن المسلمين يرمون سائر الأنبياء بمختلف التهم، حتى رسول الله ﷺ نفسه لم ينج من تجرؤهم واعتدائهم، لكنهم يبرؤون المسيح الناصري وحده من كل عيب وذنب، بل إنهم ينزهون أمه أيضا. أوَليس ذلك بدليل واضح على أن هذه القصص الملفقة والروايات المستنكرة تسربت إلى المسلمين عن طريق النصارى، إما لاجتماعهم في وطن واحد، أو انتشرت فيهم بلسان بعض الأشرار

المفسدين الذين تظاهروا بالإسلام وأشاعوا فيهم مثل هذه الأراجيف المزورة والمخزيات الباطلة التي أخذها مفسرونا بادئ ذي بدء عن حسن ظنهم المعروف، ووضعوها بين الروايات الصحيحة لكي يبلغوا الناس كل صحيح وسقيم، لكن خلف من بعدهم خلف كانوا محرومين من نور النبوة، فأضاعوا الصحيح وتمسكوا بهذه الوساوس الشيطانية التي كانت تعارض تعليم القرآن، وأعرضوا عن تلك الروايات الصحيحة التي تدل على عصمة الأنبياء ونزاهتهم دلالة واضحة، والتي كانت كحسام بتار لتلك الوساوس، وضربتها كانت أشد ما تكون على أصحاب هذه الأوهام.

لكن، الحمد لله على أنه وفّق مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية لكشف هذه العيوب القذرة، وأحل الأنبياء عليهم السلام محلهم اللائق بهم من الإكرام والاحترام، وحافظ على شرفهم وكرامتهم، وبخاصة إنه لم يكتف بالكشف عن شأن النبي ﷺ وشرفه بالألفاظ والعبارات القوية، بل أثبت أيضا عزته بأدلة وشواهد تخرس ألسن الأعداء وتفحمهم كل الإفحام. كما يقول حضرته بالفارسية ما تعريبه:

كل رسول كان نور الصدق، وكل رسول كان شمسا ساطعة.

كل رسول كان ظلا وملاذا للدين، وكان حديقة مثمرة.

لو لم تأتِ هذه الجماعة المقدسة إلى الدنيا لفسد أمر الدين تماما.

من لا يشكر الله على بعثتهم فإنه ينكر نِعم الله تعالى.

كلهم كاللآلي من صدف واحد، وبعضهم مثل بعض من حيث الذات والجوهر.

كل من اطلع على توحيد الحق ﷻ هو مدينٌ لأحد الأنبياء في ذلك.

وقد وصل هذا العلم كلّ شخص بتعليمهم فقط، وإن أنكر ذلك الآن استكبارا.

قوم ضال ونجس ينكرون هؤلاء الأطهار.

لم تسبر عينُهم غور الحق قط وإنما سوّدوا أوراق الكتب هراءً فقط.

انظر إلى تعاسة حظهم، إذ يفخرون بامتلاكهم العيون ويفرون من الشمس.

لو كانت العين غنية عن الشمس لما كان بَصَرُ أحدٍ أكثر حدة من الخفاش.

حين قسم الخير والشر بين الخلق منذ الأزل.

كان الصدق في نصيب هؤلاء القوم، ولم يكن في نصيب الآخرين إلا الكذب.

يقولون: قد جاء إلى غيرهم مئات الكذابين والمكارين.

إن طعنك في الأطهار لا يقع عليهم، بل تثبت بنفسك أنك أنت الفاجر.

إن بغضَ رجال الله ليس من البطولة في شيء، إن الإنسان هو من ليس بشرّير.[1]

والأساس الخامس للإيمان هو الإيمان بالبعث بعد الموت والجنة والنار. لم يدخر المسلمون اليوم أي جهد في هدم هذا الأساس أيضا، كانت القلوب قد أعرضت عن الإيمان بالبعث بعد الموت لأنه لولا ذلك لما نبذ المسلمون تعليم الإسلام وراء ظهورهم. ومن ناحية الظاهر أيضا، أخذت الأفكار الغريبة عن هذه العقيدة تتفشى في المسلمين. إن الصورة الخيالية للجنة التي تأصلت في عقولهم تدل على أن الحقيقة الصحيحة للجنة قد غادرت أذهانهم، ولم تعد الجنة عندهم إلا محل الملذات والترف، كأن الغاية الحقيقية لحياة الإنسان في هذه الدنيا هي الإقامة بمكان يفيض بالمتع المادية من أشهى المأكولات ومصاحبة النساء الفاتنات. فإذا وجدت هذه الأشياء تحققت الغاية وتمت الأمنية، مع أن الله ﷻ يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٧)، أي أن غاية خلق الانسان هي أن يتصف بصفاتي

[1] الخزائن الروحانية، المجلد١، البراهين الأحمدية، ص٢٠-٢٣

ويتصبّغ بصبغتي، لأن العبودية عبارة عن التذلل والانقياد وقبول نقوش الشيء، فالقول بأن الإنسان أولا يقضي عمره خمسين أو ستين عاما قائما بأعمال خُلق لأجلها، ثم يبدأ بمرحلة غير منقطعة من حياة اللهو والترف، أمر في منتهى الحمق والجهل. كذلك كانوا يظنون عن جهنم أنها أبدية، وأن الله تعالى سيلقي فيها الكفار للأبد في عذاب لا ينتهي، ولن يذوقوا رحمته أبدًا، كأنه حاكم قاس لا يعرف الرحمة.

إن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أبطل هذه الأفكار الخاطئة أيضا ورسخ الإيمان بالبعث بعد الموت بأدلة قوية وآيات معجزات، واستثار همم الناس على العمل لتلك الحياة بعد أن أوضح زوال هذه العاجلة وبيّن خلود الآخرة وفضيلتها كوضح النهار، كذلك بدد الآراء اللاغية عن الجنة أنها استعارة محضة وأثبت أن وجودها حقيقة واقعية، كما أظهر خطأ القائلين بأن الجنة إنما هي مثل الدنيا إلا أنها أوسع منها راحة وتنعما، وصرح بأن نعم الجنة تختلف تماما عن نعم هذه الدنيا، وإن نعمها إنما هي صور تمثيلية للعبادات في هذه الدنيا، كأن الروح هي بمثابة الجسد هناك، وروح تلك الحياة أرقى، ولها من القوى الخارقة ما يفوق هذه الروح، كما أن القوى الروحانية للإنسان المتولد عن النطفة تفوق قوى النطفة نفسها.

كذلك أثبت حضرته أن عذاب النار ليس بدائم كما يزعم الناس بل هو منقطع في حين من الأحيان، هو خالد لكنه منقطع بعد امتداد غير قصير، فهو ليس بغير حدود، لأن الله ﷻ الذي يقول في حقه ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (الأعراف: ١٥٧)، يستبعد عنه كل الاستبعاد أن يعذب عباده الضعفاء عذابا مقيما لا ينقطع، ولما كان القرآن الكريم يصرح بأن الجنة ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ (هود: ١٠٩)، وأن أجرها ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ (فصلت: ٩، الِانْشقاق: ٢٦، والتين: ٧)، ولم يأت بمثل هذه الكلمات عن عذاب النار، فلا بد من فارق بينهما، فليس للإنسان إذن أن يتعدى حدود الله ويشترط بغير شروطه، وبخاصة

إذا كان الرسول ﷺ قد فسر القرآن الحكيم بقوله: "يأتي على جهنم يوم ما فيها من بني آدم أحد تخفق أبوابها"[١].

إضافة إلى هذه الأسس الإيمانية، أصبحت الأوضاع العملية للمسلمين خاضعة لتغيرات كبيرة، حتى إن بعضهم كانوا يركّزون على الإباحية المطلقة وكانوا يزعمون أنه من تفوه بـ "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، فليعمل بعد ذلك ما يشاء، وكانوا يوقنون بأننا إذا لم نذنب فلمَن شفاعة الرسول ﷺ؟ وبعض المسلمين أخذوا يظنون أن الشريعة ليست بغاية حقيقةً، إنما هي كسفينة للتقرب إلى الله، فما الفائدة من الجلوس في هذه السفينة بعد أن وصلنا إلى الله؟ وبعض الناس كانوا يزعمون أن أحكام الشريعة إنما هي علامات ظاهرة لأوضاع باطنية، وحينما بعث النبي ﷺ كان الناس عندئذ بحالة بدائية من التمدن والتحضر، وكانوا متوحشين متمسكين بالأحكام الظاهرة. واليوم قد تطور الزمان بأنواع العلوم، وتطوّر العقل الإنساني كثيرًا، فلا حاجة بنا اليوم إلى التقيد بهذه التقاليد الظاهرة، وإن كان أحد يعتني بالنظافة، ويذكر الله بقلبه، ويضطلع بمؤاساة الأمة، ولا يقصر في مساعدة الفقراء، ويحتاط في الأكل والشرب، ويساهم في الخدمات القومية، فكل هذه الأعمال إنما هي بمنزلة صلاته وصيامه، وزكاته وحجه.

وبعض الناس يزعمون أنه يجب اتباع النبي حتى في لباسه الذي كان يرتديه في ذلك العصر، وفي شعره الذي كان يرسله سبطا.

وبعضهم يقولون إنه لم يكن للرسول ﷺ أن يقول من عنده شيئا ويأمر الناس به، إنما هو إنسان مثلنا، والقرآن وحده هو حجة، أما غيره فهو باطل ليس إلا.

وبعضهم يزعمون أنه لا يجوز مخالفة علماء السلف فيما قالوا، إنما علينا أن نقلدهم تقليد العميان.

---

[١] كنز العمال رقم الرواية ٣٩٥٠٦: المجلد ١٤، الإكمال من ذكر النار وصفتها

هذا عن الأصول الأساسية، أما الجزئيات فقضيتها أدهى من ذلك وأمرّ، حتى إن بعض الناس يعدون تعلم اللغات الأجنبية كُفرا، وبعضهم يزعمون أن تعلم العلوم العصرية ينافي الإيمان والإسلام، ومن جهة أخرى إن طائفة من المسلمين يبيحون الربا الذي أنذر به الله تعالى قائلا: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٨٠).

إن الاختلاف قد اشتد في مسائل الصلاة والزكاة والإرث حتى اختفت حقيقتها، وعاد الإسلام مجموعة من التوافه التي لا يحتمل مخالفتها، إن المسلمين المزعومين كسروا أصابع إخوتهم الذين يرفعونها في التشهد، وملأوا أفواه أولئك الذين جهروا بالتأمين بالأوساخ. وبالجملة كانت الأعمال أيضا عرضة للفساد كما كانت العقائد.

ولقد قام مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام بإصلاح هذا الجانب أيضا، وأبطل طريق الإباحة، وصرح بأن الشفاعة إنما هي للذين يجتهدون كل الاجتهاد لتجنب المعاصي، ولكن يحدث منهم تقصير أحيانا، وليست لأولئك الذين يأتون المعاصي لأجل نيل الشفاعة التي كانت لمحو الذنوب ولم تكن لاكتسابها.

كذلك أخبر عليه السلام بأن الشريعة وإن لم تكن مقصودة بالذات، لكن العبودية هي الغاية المقصودة الأساسية، فوجب العمل بأحكام الله ما بقي وجوبه، وأن قرب الله ليس بشيء محدود حتى يقال إننا نلناه تماما فلا حاجة بنا إلى العبادة، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه يردد إلى يوم وفاته ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ و﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وكان مأمورا بأن يسأل دوما ﴿رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٥) فمن من الناس يجرؤ على أن يدعي بأنه قد بلغ الغاية المقصودة فلم يعد محتاجا إلى العبادة؟ الحق أن أمثال هؤلاء الناس يرون الله وجودا محدودا كضفة النهر ويسترون إلحادهم بحجاب من التدين.

كذلك صرح حضرته بأن أحكام الإسلام أنجع وسيلة لاكتمال الإنسان، وإنها لنافعة لكل عصر ولكل طبقة من طبقات أهل العلم على السواء، وبدونها لا يمكن التقدم الروحي، فمن الخطأ المبين أن نقول إننا لم نعد اليوم بحاجة للعمل بتلك الأحكام أو أنه يمكن أن تقوم مقامها أمور أخرى.

كذلك أوضح حضرته أن هناك فرائض وسننا من أعمال الرسول وهناك التقاليد الوطنية والأعراف الشعبية، ومن الظلم أن نرغم الناس على ما فعله النبي ﷺ حسب التقاليد والأعراف المحلية، وأصحاب النبي ﷺ أنفسهم كانوا يتبعون أساليب مختلفة في هذه الأمور، ولم يكن أحدٌ يستنكر غيره.

ولقد أبطل حضرته قول القائلين بأن محمد ﷺ بشر مثلنا فلا يجب علينا طاعته. إنه عليه السلام أكد بأن أنبياء الله تعالى يوهبون فهما خاصا لكلام الله لا يُعطى غيرُهم ولذلك يجب على المؤمن أن يسلم بتصريحاتهم، وإلا تلاشى إيمانه.

كذلك بين حضرته خطأ القائلين بأنه لا بد لنا من اتباع عالم من العلماء البارزين مهما قال أو اعتقد. نعم يلزم كل من لا يملك ملكة الاجتهاد أن يقلد عالما تبين له علمه وصدقه وتقواه، لكن ليس من المعقول أن نفرض على كل ذي علم وفهم مثل هذا التقليد، ونقول بأنه آثم إن لم يفعل ذلك. بل على كل ذي فهم وإدراك أن يعمل طبق ما يعرفه من نصوص القرآن والحديث.

كما أبطل حضرته الفكرة القائلة بجعل الأمور الدنيوية دينية، وصرح بأن اللغات كلها من صنع الله وأنه يجب تعلم ما يفيد من اللغات، وأن تعلم العلوم التي تنفع الإنسان من النواحي الجسمانية والأخلاقية والعلمية والتمدنية والسياسية والروحانية، ليس بمعصية، بل هو واجب، وهو يوجب الثواب إذا كان لأجل خدمة الدين.

أوصى عليه السلام المسلمين باجتناب لعنة الربا، وأخبرهم بأن النهي عن الربا مبني على حِكم عظيمة، فينبغي أن لا نحدث فيه أي تغيير لأجل مصالح دنيوية.

كذلك أوضح حضرته أن مسائل الدين على نوعين: الأول الأصول والأسس والثاني الفروع. والأصول منصوص عليها في القرآن، ولا يمكن الاختلاف فيها، وهي واضحة جلية لكل ذي عينين، والفروع قسمان، الأول ما قرر فيها الرسول طريقا معينا من العمل ونهى عن غيره، فينبغي أن نختار منها ما اختار رسول الله ﷺ، والثاني ما روي فيه طريقان أو أكثر عن رسول الله ﷺ، وظلت طوائف من المسلمين تتمسك بإحداها بينما عمل الآخرون بالأخرى. أما هذه الروايات والطرق العديدة فيجب أن نتيقن بصحة كل منها كسنة الرسول، فلولا ذلك لما كان من الممكن أن يعمل بعض أصحاب النبي ﷺ بقسم منها بينما يتمسك الأصحاب الآخرون بقسم آخر. والحق أن رسول الله ﷺ أجاز في بعض الأمور عدة طرق نظرا لاختلاف الطبائع البشرية، أو عمل ﷺ شيئا أمام أصحابه بطرق عديدة لكيلا يشك الناس في القيام بهذا العمل، كقضية رفع اليدين، إنه رفعهما أحيانا خلال الصلاة، ولم يرفعهما في بعض الأحايين، كذلك قضية الجهر بـ "آمين" فقد جهر به بعض أصحابه، ولم يجهر به البعض، إنه ﷺ استحب كلا الطريقين. كذلك مسألة وضع اليدين أثناء القيام، فقد وضعهما حينا في موضع وفي موضع آخر أحيانا. فلكل مسلم أن يتبع ما يلائم طبعه، وعليه ألا يأخذ على الآخرين مسلكهم، إذ إنهم أيضا يتمسكون بسنة أو رخصة أخرى. خلاصة القول إن حضرته عليه الصلاة والسلام بوضع هذه الأسس المتنوعة قد ذلل جميع الخلافات وقمع جميع الفتن الناجمة في المسلمين عن المسائل الفقهية، وبذلك عادت الأوضاع إلى ما كانت عليه في عصر الصحابة رضي الله عنهم.

هذا بيان موجز للإصلاح الداخلي الذي قام به حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. وإذا قصدنا شرح هذا الإصلاح العظيم، اضطررنا إلى تدوين كتاب مستقل، فلذا أكتفي بذلك. فيمكن الآن لكل قارئ حصيف أن يتبين مدى ما قام به حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام من الإصلاح

الشامل في عقائد المسلمين وأعمالهم التي قد تعرضت للنقص والعيب، وأعاد إلى وجه الإسلام تلك النضارة والروعة التي اختلبت قلوب الأصدقاء والأعداء على السواء، وعادت قوته القدسية قوية فعالة.

أيها الملك، إن العيوب التي تناولناها فيما سبق بالبحث كمثال هي غيض من فيض قد نشأ في المسلمين اليوم، ويتبين لك مما ذكرنا أنها بلغت أبعد غاية ممكنة مع وجود كتاب مصون كالقرآن الحكيم، ولا يمكن أن تتجاوز هذه العيوب هذا الحد إلا إذا تغير القرآن الكريم نفسه -والعياذ بالله- وهذا مستحيل طبعًا، فلا يمكن أن تتعدى العيوب هذا المدى.

ومما يدعو إلى التفكير العميق الآن، هو أن العيوب في أهل الإسلام قد بلغت غايتها فمتى سيظهر المسيح الموعود؟ فلما قام حضرة ميرزا غلام أحمد عليه الصلاة والسلام بإصلاح هذه العيوب وحفظ الإسلام من كل شر، فما الذي يدعونا إلى انتظار رجل آخر بينما قام حضرته عليه السلام بجميع الواجبات المقدرة للمسيح الموعود وحده خير قيام؟ فكيف يمكن إذن أن نشك في كون حضرته مسيحا موعودا؟ إذا أشرقت الشمس ووصلت إلى منتصف النهار فلا يمكن إنكارها، كذلك لا يمكن إنكار كون حضرة ميرزا غلام أحمد عليه الصلاة والسلام مسيحا موعودا مع هذه الأدلة الناصعة الساطعة.

الدليل السادس: النصر الإلهي

الدليل السادس على صدقه -وهو في الواقع يتضمن عدة أدلة- هو النصر الإلهي. إن الرسول في الحقيقة حبيب من أحباء الله، فلا يمكن أن يتحقق صدقه إلا إذا عامله الله معاملة الأولياء والأحباء. فإن ادعى أحد النبوة ولم يحظ من الله بمعاملة الأحباء، فإنه كذاب ليس إلا، لأنه من المستحيل أن يبعث الله أحداً خليفة في الأرض ثم لا يظهر له ما يثبت حبه له ولا ينصره كالأحباء. إن ملوك الدنيا عندما يرسلون أحدا موفدا فينصرونه ويعتنون بعونه ومساعدته إذا احتاج إليهم، فكيف الإله المقتدر الذي لا تنفد كنوزه وهو علام الغيوب يعجز عن نصرة عباده؟ فإن ادعى أحد النبوة، وأيده الله بنصرته الشاملة، فإنه صادق حقا لأنه كما إنه من المستحيل أن يخذل الله الصادق، كذلك من المستحيل ألا يؤاخذ الكذابين ويدعهم يُضلون عباده. ومما يرفضه العقل رفضا باتا أن يؤيد الله أمثال هؤلاء الكذابين ويفتح أبواب نصرته لهم.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة: ٢٢).

فإنه ﷻ سن لأجل إظهار غلبته وقوته أن ينصر أنبياءه المبعوثين بكلامه ويكتب لهم الغلبة، لأنه لو لم ينصرهم، لارتاب الناس في قوته وقدرته.

كذلك يقول ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (المؤمن: ٥٢)

وأيضا يقول تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاء وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر: ٧).

هذه الآيات تتضمن ذكر نصر الله رسله وتسليطه إياهم على أعدائهم وذلك من الناحيتين الجسمانية والروحانية كلتيهما أو من الناحية الروحانية وحدها، وإضافة إلى ذلك يتبين من القرآن أن الذي يدعي النبوة كذبا وافتراء، يلقى جزاء وفاقا، ولا يمكن أن يفلت من الهلاك، كما يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (الحاقة: ٤٥- ٤٧)، أي إننا نحرمه من النصرة ونسد عليه باب الغلبة والتأييد، ونلقيه في أعماق التهلكة.

كذلك يقول ﷻ في موضع آخر: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٢٢).

فلما كان الظالم محروماً من التوفيق والنجاح فكيف يمكن أن يفلح هذا الذي يظلم في حق الله وهو أشد الظالمين ظلماً.

ويتبين مما سبق من الآيات أن الله عز وعلا أصدر قانونين اثنين: الأوّل إنه ينصر رسله الصادقين ويؤيدهم بالقوة والغلبة، والثاني: يخذل كل من يتعمد الافتراء عليه، بل يهلكهم، الأمر الذي يدل على أن ما قلته من قبل قياسا يدعمه القرآن الحكيم أيضا، بل يقدمه كسنة الله المستمرة.

وحسب هذه السنة السماوية وفي ضوء هذا القانون الأزلي لمّا نفكر في دعوى حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام، يتبين لنا صدقه أجلى البديهيات، ولا يبقى على صدقه أي غبار من الشك في أنه مأمور من الله تعالى ومرسل منه إذا رأينا نجاحه الباهر.

قبل أن نتناول أنواع النصرة التي تلقاها حضرة المؤسس عليه السلام من عند الله، نرى لزاما علينا أن نعلم بالأوضاع التي أعلن فيها دعواه، أي أن نرى ما هي الوسائل التي من الممكن أن تساعده في نجاحه والثاني ما هي العوائق والعراقيل في طريقه، والثالث ماذا كانت نوعية دعواه، أي هل كانت جذابة وتضمن نجاحه نظرا إلى الوسائل المادية؟

والجواب عن السؤال الأول: إنه عليه السلام وإن كان من عائلة عريقة، وكان من الضروري أن يكون كذلك، إذ أن أنبياء الله كلهم كانوا من أكرم العائلات لكيلا يشق على الناس الإيمان بهم، غير أن عائلته كانت قد فقدت مجدها السابق إلى حد كبير، ولم تكن من العائلات الفقيرة في منطقتها، غير أنها كانت فقيرة مقارنةً بعظمتها وأبهتها الماضية؛ لأنها كانت قد فقدت معظم أمارتها وممتلكاتها. كانت الأمارة قد انتزعت من أيديها في عهد السيخ، وضِيَعها ضمت في عهد الإنجليز إلى الممتلكات الحكومية. فإن حضرته لم يكن يملك ثروة دنيوية ولا جاها ظاهرا حتى يميل إليه الناس لأجل تحقيق غاياتهم وأمانيهم.

إن والده وإن هيأ له معلما خاصا للتعليم، لكن هذا التعليم لم يكن شيئا يعتد به مقارنة مع تعليم المدارس، لذلك إن حضرته لم يكن عند الناس من عداد العلماء والمشائخ حتى يقال إن الناس آمنوا به لأجل علمه غير العادي.

كذلك لم ينحدر حضرته من عائلة المتصوفين والمشائخ، ولم يكن حاصلا على شرف الخلافة لأحد منهم حتى يقال إنه نجح بمساعدة أتباع مشيخته وإخوانه في العقيدة.

ولم يكن حائزا على منصب حكومي حتى يقال إن الناس اتبعوه لأجل استغلال منصبه الحكومي.

كان عليه السلام رجلا متبتلا إلى الله ومنقطعا عن الناس، وكان مجهولا خاملا لأجل تخليه عن الناس، ولم يكن يعرفه حتى ممن يجاوره غير بضعة أناس أكثرهم من اليتامى والمساكين الذين كان يعطيهم حضرته دوما شيئا من طعامه، أو كان يطعمهم جميع ما يأتيه ويجوع بنفسه، أو ثمة بعض الناس ممن كانوا مولعين بالبحث والتحقيق الديني، وغير هؤلاء الناس ما كان له بهم أية أواصر فلا يقابلهم وهم بدورهم لم يكونوا بحاجة للقائه.

والجواب عن السؤال الثاني هو أن جميع العراقيل الممكنة كانت في طريقه، فقد ادعى النبوة، وكان الإيمان به من شأنه أن يمثّل ضربة قاضية على سلطات العلماء التي كانت قد تأصلت منذ قرون، لذلك خالفه العلماء أشد المخالفة، وكانوا يرون قوته وتقدمه ضعفا لهم وهزيمة؛ لأنهم كانوا متأكدين من أنه لو بعث من الله أحد لإصلاح الناس، لن يلتفت الناس إليهم أدنى التفات.

إن جميع أصحاب الزوايا من المشايخ المتصوفين كانوا بطبيعة الحال أعداءه الألداء وذلك لأنهم كانوا يرون في تقدمه وازدهاره خذلانهم وانقطاع أتباعهم عنهم، وبدلا من أن يكونوا المشائخ المتبوعين يضطرون بأنفسهم أن يتبعوا رجلا آخر. ومن الناحية الأخرى بذهاب الأتباع كانت مواردهم المالية التي كانوا يرزقون منها مهددة بالخطر. وتحرّرهم المطلق في أمور الدين أيضا كان في طريق الزوال، الأمر الذي كانوا يرونه حقا لهم.

إن الأغنياء أيضا كانوا يحادونه لأنه كان يفرض عليهم العمل بأحكام الإسلام، الأمر الذي لم يعتادوا ذلك من قبل، فكانوا يعدونه عبئًا عليهم ووبالا شديدا. ثم كان حضرته يأمرهم بالمعاملة الحسنة مع الناس ومؤاساتهم، الأمر الذي كان يقلق الأغنياء، لأن الشعور بالعبودية في الناس الذي كانوا يستغلونه كان في طريق الزوال، والسيطرة التي كانت لهم عليهم كانت منقرضة.

إن أتباع الأديان الأخرى أيضا كانوا من أعدائه عليه السلام؛ لأنهم كانوا يرون في شخصية حضرته رجلا تحتم بوجوده انهيار أديانهم، وكانوا يكنون في صدورهم خوفا دفينا يأخذ بمجامع قلوبهم كما يضمر الماعز الخوف الطبيعي من الأسد، وكانوا لا يألون جهدا في القضاء عليه بأسرع ما يمكن.

وأصحاب الحكومة المعاصرة آنذاك أيضا كانوا يعارضونه، لأنهم كانوا يخافون اسمَي المسيح والمهدي، وكانوا يظنون، بسبب بعض الروايات القديمة، أن المسمى بهذيه الاسمين لا بد أن يثير الفتن والثورات الدامية، حتى إن إظهار وفاء حضرته

لهم أيضا لم يطمئنهم؛ لأنهم كانوا يعدون ذلك ضربًا من الانتهازية، وكانوا يحسبون أن هذا الرجل لمّا يظفر بوسائل القوة يعرض عن ادعائه بالأمن.

والجماهير أيضا كانوا يعادونه؛ أولا لأنهم كانوا أتباع العلماء أو المشائخ أو الأغنياء أو الكهان الهندوس أو القساوسة. وثانيا لأنهم من جهلهم متزمتون بالتقاليد والعادات ويعاندون كل جديد أشد العناد. وكانت دعواه عندهم بدعة وضلالا وفتنة في الإسلام، لذلك كانوا يعارضونه أشد المعارضة، إما بإشارة سادتهم وكبرائهم أو من جهلهم وتعصبهم.

إن هذه الطوائف كلها لم تدخر وسعا في القضاء عليه، إن العلماء أعدوا له فتاوى التكفير وعبروا لهذا الغرض البحار وقطعوا الصحارى إلى مكة والمدينة. ولاستخراج هذه الفتاوى اختلقوا وابتدعوا أغرب دواعي التكفير، وأثاروا الناس ضده وأغروهم.

إن المتصوفين أيضا أنذروا الناس بأن طريقه تخالف الطرائق السالفة للمتصوفين، وهددوهم وخوفوهم بدعاوى مكانتهم الخاصة عند الله وبمعرفتهم إياه جل جلاله، حتى لم يرتدعوا عن تلفيق القصص الخيالية وإشاعة المعجزات الباطلة، حتى ادعى بعضهم أن هذا المدعي ولو كان صادقا، فاكفروا به ولا تخافوا لأننا نتحمل عبء هذا الكفر، وبذلك أضلوا الناس ضلالا بعيدا.

قاومه الأغنياء بأموالهم وجاههم، وأصحاب الأديان الأخرى شاركوا المسلمين في عدائه ومخالفته، والحكومة بسلطاتها أبعدت الناس وخوفت من انتقامها واستيائها لتمنع الذين كانوا يريدون أن يؤمنوا به، والجماهير ساعدوا سادتهم وزعماءهم على مقاطعته وإيذائه.

قصارى القول: إن المسلمين وغيرهم أيضا تألّبوا عليه جميعا متساعدين متناصرين.

والجواب عن السؤال الثالث أن تعاليمه أيضا لم تكن وفق تيار العصر الحاضر، ولم تكن مسايرة له، ولو كانت موافقة لآراء هذا العصر لكان من الممكن أن نقول أن تقدمه وازدهاره لم يكن بنصر سماوي، بل إنما هو لأجل مسايرة تعاليمه للآراء المعاصرة، فأقبل عليها الناس لأجل توافقها مع عواطفهم وميولهم الذاتية. والأفكار الموافقة للعصر الحاضر على نوعين: أولا ما يوافق آراء الأكثرية وثانيا ما لا يوافق آراء الأكثرية، لكن يوافق الآراء الناشئة عن العلوم العصرية، والنوع الأول من الآراء أسهل ترويجا ونشرا، لكن النوع الثاني منها وإن يواجه في البداية بعض العقبات، سرعان ما ينتشر بانتشار تلك العلوم ولكونه وليد العلوم العصرية.

إن آراء حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام كانت مخالفة لكلا النوعين، إن حضرته كان يدعو الناس إلى تعاليم لم تكن مسايرة للآراء الرائجة، ولم تكن توافق الآراء الناتجة عن العلوم العصرية. لذلك إن حضرته كان يواجه معارضة كلتا الطائفتين: أصحاب الآراء القديمة، وأصحاب الآراء المعاصرة. إن أصحاب الآراء القديمة كانوا يرمونه بالإلحاد، والمشغوفون بالعلوم المعاصرة كانوا يعدونه ذا الآفاق الضيقة والأفكار البالية المتخلفة؛ لأنه من جهة كان يندد بمواعظه القوية المحكمة والمدعومة بالبراهين حياة المسيح الناصري والقصص والروايات الملفقة عن الملائكة، واعتقاد الناس بنسخ القرآن وآراءهم في الجنة والنار، وتضييق أحكام الشريعة وتعسيرها. ومن جهة أخرى كان يوصي ويؤكد على التمسك بالشريعة وبحرمة الربا وبالايمان بالملائكة، وبفوائد الدعاء، وبأن الجنة والنار حق، وكان يؤكد بنزول الوحي بكلمات معينة، وبكون المعجزات حقيقة واقعة، الأمر الذي جعل آراءه مناقضة لآراء كلتا الطائفتين، فلا يمكن إذن أن نقول أن تعاليمه أصبحت مقبولة؛ لأنها كانت تعبر عن الأفكار الرائجة أو التي يُتوقع رواجها في المستقبل.

جملة القول إنه لم تكن له شخصية تساعده على إمالة الناس إليه، ولم يكن طريقه سهلا ممهدا بالأزهار حتى يؤمل نجاحه العاجل، ولم تكن آراؤه تمثل أفكار عامة الناس حتى يتبعوه، فإن نجاحه الباهر رغم هذه الظروف المخالفة إنما هو فعل إلهي وليس ناجما عن وسائل دنيوية أو أوضاع طبيعية.

أتناول الآن بعد ذكر هذه الأحوال تفصيل ذلك النجاح الذي أحرزه حضرته.

فكما قد سبق أن ذكرت أن من سنة الله المستمرة أنه لا يمهل المتعمدين على الافتراء عليه طويلا، لكننا على عكس ذلك نرى أنه عاش حوالي أربعين سنة بعد ادعائه بنزول الوحي عليه بأنه هو المصلح لهذا العصر، وظل يتمتع بنصرة الله تعالى بشتى الأساليب. ولو كان المفتري على الله أيضا يُمهَل بهذه المدة وينال نصرة الله، لاضطررنا أن نقول - والعياذ بالله- إن الحقيقة التي تنص عليها الآية ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ لباطلة ليست إلا. وأن دعوى الرسول ﷺ ما تزال حتى اليوم بحاجة إلى دليل. إن لم يكن كذلك، وليس كذلك حتما، فبقاء حضرة المؤسس عليه السلام كل هذه المدة الطويلة آمنا محظوظا رغم إشاعة وحيه لدليل بيّن على أنه كان من عند الله حقا.

عندما نشر حضرته إلهاماته كان مجهولا خاملا لا يعرفه أحد من الناس في العالم، لكن بعد ذلك تبوأ مكانة مرموقة من الشرف والكرامة رغم المخالفة الشديدة، حتى إن الأعداء أيضا اعترفوا بفضله واعتبروه من زعماء المسلمين المخلصين. والحكومة البريطانية التي كانت تعارضه وتسيء به الظن من قبل، أخذت تنظر إليه بنظرة الاحترام. وانتشر صيته إلى أقاصي العالم، ووهبه الله كثيرا من المخلصين المشغوفين بحبه الذين يفدونه حتى بأنفسهم. إن الأوروبيين الذين كانوا أعداء الإسلام صاروا من المسلمين المخلصين بفضل اتباعه، حتى إن أحدا منهم كتب إلي: إن لحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية علي منة كبرى بأن تشرفت بفضل اتباعه بنعمة عظمى كالإسلام، الأمر الذي دفعني إلى أن لا أنام حتى أصلي عليه أيضا كل ليلة

إلى جانب الصلاة على سيده ومطاعه محمد ﷺ. فلو كان مفتريا على الله كما يقول أعداؤه لما نال هذا الشرف والاحترام والحب الشديد.

كان وحيدا لما ادعى، لكن رغم المعارضة الشديدة من قبل العلماء والمشائخ والأولياء المزعومين ورغم عداء كهنة الهندوس والقساوسة ومع معارضة الزعماء وعامة الناس، ومع أن الحكام في بداية الأمر لم يدخروا وسعا في كبت صوته وإبعاد الناس عنه، لكن رغم كل هذه العقبات بدأ الناس ينضمون إلى جماعته واحدا تلو الآخر، من الفقراء والأغنياء ومن المتصوفين والعلماء ومن عامة المسلمين ومن الهندوس والمسيحيين كذلك، من أهل الهند ومن سائر البلاد حتى أن جماعته كانت قد تجاوزت عند وفاته الألوف وبلغت مئات الألوف، وما زالت ولا تزال تتوسع وتتقدم، حتى أنها بدأت تنتشر في بلادك أفغانستان رغم استشهاد اثنين من الأحمديين المخلصين بسبب تضليل بعض العلماء المتزمتين بالحكومة هناك لمجرد الاختلاف المذهبي في بعض الأمور. ويكاد يوجد أتباع هذه الجماعة في كل مقاطعة من مقاطعات الهند. وعلاوة على ذلك فإنه ليوجد أتباعٌ لهذه الجماعة في بلاد العرب وفارس وروسيا والولايات المتحدة الأمريكية وفي المناطق الغربية والشمالية والجنوبية الشرقية من قارة أفريقيا، وفي أستراليا وأوروبا أيضا. إن خضوع أفراد من الشعب الحاكم لطاعة فرد من الشعب المحكوم وإيمانهم بدينه، وقد أُشربوا عداوته منذ أجيال متتالية، لا يمكن إلا بنصر الله عز وعلا.

إن أناسا قد أرادوا قتله، وحاولوا أن يدسّوا له السم أيضا، وجروه إلى المحاكم، ورفعوا ضده القضايا المزورة وتألب عليه المسلمون والهندوس والمسيحيون جميعا لكي يصلبوا المسيح الثاني كما علّقوا المسيح الأول، لكنه في كل مرة نجح ونجا من كل هجوم، وتضاعفت له نصرة الله يوما فيوما.

كان حضرته قد بُعث لنشر الإسلام وتجديده، وقد أعطاه الله تعالى جماعة من المخلصين لتحقيق هاتين الغايتين الشريفتين ووهبه أموالا أيضا، حتى تنفق هذه

الجماعة نصف مليون روبية تقريبا على الأمور الدينية سنويا. وتصدر العديد من الصحف والمجلات لنشر تعاليم الإسلام في البنجاب والبنغال وسريلانكا، وموريشيوس وأمريكا وغيرها، ومئات من الكتب أُلِّفت لتصديق حضرته. وقد شرح الله صدور الناس للإيمان به، وهناك ألوف ممن تبين لهم صدق حضرته بالرؤى والكشوف والإلهام، وأُفعمت قلوبهم حبا له رغم العداء.

قصارى القول، إن حضرته نجح في تحقيق أهدافه رغم الأوضاع المعاكسة، ورغم كل مخالفة شديدة، ومع كل ضعف، ورغم واجباته غير العادية، وهيأ جماعة منتشرة في جميع أصقاع العالم يتأجج في صدور أعضائها شوق شديد لنشر الإسلام. وما زال يشرفه الله تعالى بنصره المتزايد عزة وأموالا وسلطانا ورعبا.

فإذا كان قانون الله هذا هو الحق - ومن أصدق من الله قيلا- بأن المرسل الصادق ينال نصرة الله، والمفتري على الله لا يلقى إلا الخزي والهلاك، فلا شك في صدق حضرة مؤسس الأحمدية عليه السلام، وإن شك أحد في صدقه رغم هذا الدليل البين فمن الممكن أن ينشأ ثمة سؤال أنه ما دليل صدق سائر الأنبياء إذًا؟

ولإيضاح مرادي أرى من الواجب أن أذكر مرة أخرى، أنني ما أردت بما قلته أن حضرته كان صادقا لأنه كان في بداية الأمر ضعيفا ثم تمكن ونال العز والشرف؛ لأن مثل هذا التقدم قد حدث لكثير من الناس، كـ"نادر خان" الذي كان ضعيفا ثم ظفر بالشرف، وتحوّل نابليون من رجل عادي إلى فاتح عالمي، لكن رغم ذلك، لم يتحقق أبدا أن هؤلاء كانوا أولياء الله وأحباءه، بل إنني أقول:

إن حضرته ادعى بأنه من عند الله، فلو كان مفتريا في هذه الدعوى ومتعمدا خداع الناس، لكان أحق بالهلاك؛ لأنه من سنة الله المستمرة أنه يبيد من يفتري عليه كذبا. ولم يكن لتقدم حضرته وازدهاره وسائل مادية بتاتا.

وكل طائفة من الطوائف عارضته أشد المعارضة ولم تكن ثمة طائفة أو جماعة خاصة به وتساعده على التقدم.

إنه عليه السلام جعل الناس يسلّمون بأمور يخالفها أصحاب الأفكار القديمة والحديثة.

ورغم ذلك كله نجح في تحقيق غايته، وأسس جماعة من أتباعه، وجعل الناس يقبلون على ما ادعى، ونجا بفضل الله من عدوان الأعداء، وحظي بنصر الله وتأييده.

من المستحيل أن تجتمع هذه الأمور الخمسة في مفترٍ، وكلما اجتمعت في شخص، كان من عند الله بغير منازع، وكان صادقا في كل ما ادعى، وإلا فلن يبقى ثمة أي دليل على صدق الصادقين.

نعم، إن كان رجل لا يدعي النبوة، أي لا يدّعي شيئا قط، كمثل "نادر خان" أو "نابليون"، أو كان مدعيا غير النبوة، أي الألوهية، أو كان مجنونا، فلا يصدق عليه هذا الدليل، كذلك لا يصدق على من يزعم بأن كل ما يتفوه به من الكلام فهو من عند الله كطائفة "الشيخية" التي تعتقد بمثل هذا الاعتقاد، وكانت تزعم أنه لا يزال هناك أناس يمثلون مرضاة المهدي عليه السلام، ومرضاة المهدي إنما هي مرضاة الله فحسب، فكل ما يتفوهون به من كلام أو يخطر ببالهم من أفكار إنما هي من عند الله، وكان علي محمد الباب، وبهاء الله مؤسس الطائفة البهائية من هذه الفرقة. فإن أمثال هؤلاء يعتقدون بأن كل ما يقولون هو من عند الله فلا يمكن أن يُعدّوا متقولين، لأنهم يرون ذلك عن عقيدة موروثة، فلا يستحقون ذلك العقاب الشديد الذي يستحقه المتعمدون الافتراء على الله.

وكذلك إنَّ تقدُّمَ أحدٍ المؤقّتَ، أيضا ليس دليلا على صدقه بحيث إن وجاهته الشخصية تلجىء الناس إلى قبوله، أو تظاهره جماعة أخرى، أو الذي يمثل آراء المعاصرين من عامة الناس، أو يدعو الناس إلى مسايرة العلوم العصرية، أو يمسك الناس عن مخالفته لسبب أو آخر.

الدليل السابع: هلاك الأعداء

إن الدليل السابع على صدق دعواه، وهو أيضا مجموعة من أدلة لا تحصى، أن الله عز وعلا أهلك أعداءه دون استثناء وبغير يد إنسانية. معلوم أننا نقاوم كل من يتقدم لإيذاء أحبائنا، ونعاقبه، ونبعد عن طريقنا كل من يحول دون مسيرتنا. فإن كان المبعوثون يأتون من الله عز وجل فمن مقتضى العقل أن يتجلى لأجلهم بغيرته، ويُبعد عن طريقهم كل من يعوقهم، ويذل من يريد إهانتهم، ويذيق مرارة الخيبة كل من يحاول إخفاقهم، فإن لم يفعل الله ذلك، صار حبه لعباده وصلته بهم بلا شاهد أو دليل، واشتبهت دعاوي الأنبياء، إذ أن ملوك الدنيا وحكامها الذين لا يملكون إلا سلطات محدودة، هم الآخرون يعاقبون كل من يعارض أولياءهم وعمالهم أشد العقاب، ويؤاخذون كل من يعاديهم.

ويتبين من القرآن الكريم أن مقتضى العقل هذا في محلّه تمامًا، ويصدقه أنه لا بد من أن يؤاخذ من يعادي ويعاند مرسليه، فيقول الله:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (الأنعام: ٢٢)

هذه الآية تنص على أنه كما أن المفتري على الله لا ينال الفلاح كذلك الذي يكذّب المبعوث من الله لا يلقى النجاح أبداً.

كذلك يقول الله عز وجل:

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١١-١٢)

والآيات بهذا المعنى كثيرة في القرآن، فلا حاجة بالاستزادة منها، خلاصة القول أن من سنة الله أنه تعالى يدمر أعداء الأنبياء والمرسلين ليكونوا عبرة للآخرين.

ولقد تلقى حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية أيضاً وحي الله القائل:

"إني مهين من أراد إهانتك"

وطبق هذا الوعد وتلك السنة فأهلك الله أعداءه بصورة أدهشت ذوي الأبصار وحيرت أولي الألباب.

ولقد سبق أن ذكرت شيخا كبيرا من مشائخ أهل الحديث، وكان ممن يعرف حضرته من صغره، وكان قد كتب على تأليف حضرته "البراهين الأحمدية" تعليقا قويا، ووصف في هذا التعليق خدمات حضرته الجليلة للإسلام بكونها منقطعة النظير. لكن لما ادعى حضرته كونَه المسيح الموعود عاداه هذا الشيخ وغضب أشد الغضب، وظن أن التعليق الذي كتبه على "البراهين الأحمدية" هو الذي جعل حضرته معجبا بنفسه ومعتدا بشخصيته، حتى بلغ بالشيخ ظنه هذا إلى أن كتب أنه (حضرته) معتز بتعليقي على كتابه، فأنا الذي رفعته، والآن أنا سأرغم أنفه ذليلاً.

فخرج ذلك الشيخ من بيته عازما على ذلك، حتى بلغ مشارق الهند ومغاربها، واستصدر من عشرات العلماء فتاوى التكفير واستملى فيها أنه ليس هذا المدعي وحده بكافر، بل إن جميع أتباعه أيضا كفار، والذي يكلمهم فهو أيضا كافر، بل الذي لا يكفّرهم هو أيضا يجر على نفسه الكفر. وطبع ذلك الشيخ فتاوى التكفير هذه ونشرها وأذاعها في طول الهند وعرضها، وحسب أنه قد أذل حضرته بهذا الهجوم العنيف، لكن ما الذي يُدري هذا المسكين عندئذ أن الملائكة في السماء كانت تنادي بأعلى صوتها: ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام: ١١، الأنبياء: ٤٢)، كما كان ملائكة الله المقدسون يهتفون قائلين: "إني مهين من أراد إهانتك".

أيها الملك، لم يمض على فتاوى هذا الشيخ المتجاسر وقت طويل، حتى أخذ الله يمحو شرفه من قلوب الناس. ومن قبل كان من أشرف العلماء عند الجماهير. ففي لاهور مثلًا – مدينة الأحرار الذين لا يبالون بأحد– لما كان يمر بشارع من شوارعها يقوم الناس احتراما له، وكان الهندوس أيضا يعظمونه لتعظيم المسلمين إياه، وكان الناس يضعونه على الرأس والعين حيثما غدا أو راح، حتى أن السلطات العليا– مثل الحاكم العام وغيره– كانوا يرحبون به، لكن بعد هذا الافتاء أخذ الله ينقص الأرض الرحيبة من أطرافها من شرف هذا الشيخ المتبجح، حتى بلغ به الذل إلى أن خذله أتباع طائفته الخاصة التي كان يتزعمها. ولقد رأيته بعينيّ على محطة القطار يحمل أثقاله الفادحة بنفسه ويرزح تحتها، ويتدافع به إلى هنا وهناك، لا يرثى له أحد. وقد بلغ عدم ثقة الناس به درجة أن التجار أمسكوا عن البيع له، فالتجأ إلى اشتراء حاجاته بيد غيره، وقاطعه أهل بيته، إذ انقطع عنه بعض أولاده وأزواجه، وارتد أحد أبنائه عن الإسلام. وبالجملة إنه رحل عن هذه الدنيا محروما من جميع عزه وشرفه، شقيا أشد الشقاء، عبرة للناس، وكانت كل لحظة من أيامه الأخيرة تشهد بصدق الآية الكريمة:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ (الأنعام: ١٢)

والمثل الثاني الذي أريد أن أقدمه لهلاك أعداء حضرته، هو "جراغ دين" من سكان "جامون" (كشمير) كان هذا الرجل من أتباع حضرته، ثم ادعى لاحقا بأنه المبعوث لإصلاح العالم، ونشر ضد حضرته عدة نشرات ومقالات، وأخيرا لما لم يطمئن بكل ذلك، دعا على حضرته عليه السلام، وأراد أن ينشر هذا الدعاء، وفيما يلي تعريبه:

"اللهم، إن دينك في الفتنة بسبب هذا الشخص (أي حضرته) وهو يخوِّف الناس بأن الطاعون ظهر لأجله، والزلازل أيضا حدثت نتيجة تكذيبه، فيا رب بيِّن كذب هذا الرجل المفتري، وارفع عن الدنيا الطاعون لكي يتحقق كذبه ويتبين الحق من الباطل."

كتب هذا الدعاء للطبع والنشر، لكن ما أغرب بطش الله ﷻ وما أشده! فما أن سجلت هذه الكلمات في الأوراق قبل الطبع حتى هجم على داره الطاعون الذي دعا الله لرفعه عن الناس لكي تبطل دعوى حضرته أن الطاعون قد نزل وانتشر لإثبات صدقه، فقضى هذا المرض الوبيل والعذاب الأليم أولا على ابنيه الاثنين اللذين لم يكن له من أولاد غيرهما، وخانته زوجته وفرت مع رجل آخر، وهلك هو بنفسه أيضا بالطاعون بعد هلاك ابنيه، وكان يقول عندما أحدق به الموت من كل جانب، يا أسفاه! اليوم قد خذلني الله أيضا. إن هلاك هذا الرجل لأروع شهادة على أن عداوة المرسلين ليست بأمْر هيِّن، وهي تدفع الإنسان عاجلا أو آجلا إلى هوة عذاب الله.

وعلاوة على "جراغ دين الجاموني" هناك عشرات آخرون ابتهلوا بالدعاء على حضرته، ولم يلبثوا أن بطش الله بهم بعذابه الشديد، مثل الشيخ "غلام دستغير القصوري" الذي كان من أعظم علماء الأحناف وذائع الصيت، فقد دعا على حضرته عليه السلام سائلا الله تعالى أن يحكم بين الصادق والكاذب، فهلك هذا الشخص خلال بضعة أشهر بالطاعون وصار عبرة لسائر الناس. ثم كان هناك شخص من قرية "دوالميال" بمحافظة "جهلم" اسمه "فقير ميرزا"، حيث زعم بين أيدي الناس أن الله العليم أنبأه بأن مؤسس الجماعة الأحمدية (عليه الصلاة والسلام) سيهلك ويدمر إلى اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٢١هـ، وكتب لأعضاء الجماعة الأحمدية عهدا مسجلا بشهادات عديد من الناس، وضمنه كشفه المزعوم، وأقر فيه بأنه إذا لم تجتث شأفة حضرة الميرزا إلى ٢٧ رمضان المعظم ١٣٢١هـ، فمن حقهم أن يعاقبوه أشد العقاب. وكان هذا العهد قد سجل في ٧ رمضان من ١٣٢١هـ، فلقي حتفه لاحقًا يوم ٧ رمضان المعظم في السنة التالية. أما حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية فلم يمسسه سوء. وكان من الأجدر أن يحدث ذلك، لأن أهل الحق من أنبياء الله لأسمى وأجل من مزاعم

الكذابين. ثم حان رمضان التالي، وأحاط الطاعون بهذه القرية، فأولا هلكت زوج هذا المدعي المتصلف، ثم أصيب هو نفسه بالطاعون، فهلك به بعد سنة كاملة تماما في اليوم نفسه الذي كان قد كتب فيه العهد، أي في ٧ رمضان ١٣٢١هـ بعد أن تجرع غصص الموت وقاسى آلامه الممضّة، وبعد أيام خلت بنته أيضا.

لو جمعت هذه الشواهد لبلغت المئات بل الألوف، لأن مئات من الناس بل ألوف منهم لما ضاقوا ذرعا بالأدلة القاطعة، عكفوا على الدعاء على حضرة المؤسس عليه السلام متزمتين، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. والأغرب من ذلك أن الله عز وجل أظهر آية تدمير الأعداء وهلاكهم وذلهم بأساليب متنوعة. والذين طالبوا بهلاك الكاذب خلال حياة الصادق أهلكهم الله، أثناء حياة حضرة المؤسس عليه السلام، والذين زعموا بأن هلاك الكاذب في حياة الصادق ليس بحجة إذ أن مسيلمة الكذاب ظل حيا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فالله تعالى يمهل الكاذبين، فأمهل الله هؤلاء لكي يكونوا أمثال مسيلمة الكذاب.

ومن أمثال هذه الآيات مثل الشيخ "ثناء الله الأمرتسري" الذي كان رئيس التحرير لمجلة "أهل الحديث" وكان يعرف بزعيم أهل الحديث، ولما تمادى هذا الشيخ في أعدائه حضرته عليه السلام تحداه حضرته بالمباهلة طبق نص القرآن:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران: ٦٢)

فدعاه حضرته إلى المباهلة، غير أنه لم ير سلامته إلا في الفرار منها، وأصر على الإعراض عنها رغم التحريضات المتكررة، فكتب حضرته دعاء، وطلب من الشيخ أن ينشره في صحيفته، وأبدى حضرته رغبة في أن يجيب طلبه طبق مبدأ "هلاك الكاذب خلال حياة الصادق"، لكن الشيخ المذكور لم يزل مصرا على إعراضه عن هذا الطريق، وندد بهذا الطريق في صحيفته قائلاً: "إن ذلك ليس بمعيار للحق،

وأنه لن يقبل هذا الطلب أبداً، لأنه يتبين من القرآن الكريم أن الكاذب يُمَدّ في أجله، وأن فعل الله يصدق ذلك، إذ عاش مسيلمة الكذاب بعد وفاة الرسول ﷺ.

إن صراحة الشيخ بذلك أثارت سخط الله عليه، فأخذه الله طبق إقراره وأمد في أجله، وأبقاه حيا بعد وفاة حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية أيضا وتحقق حسب ادعائه هو أنه مثيل مسيلمة الكذاب، وكل يوم من أيام بقائه أصبح دليلا ناصعا على قدرة الله الغالبة وحجة بينة على كون الشيخ مسيلمةَ الكذاب.

وبالجملة إن الله ﷻ أخزى أعداءه وأهلكهم بكل نوع من العذاب، وأهلك الذين أصروا على أن الكاذب يموت في أثناء حياة الصادق في خلال حياة حضرته، والذين رفضوا هذا الأصل وأكدوا أن الكاذب يُمَدّ في عمره ويبقى بعد وفاة الصادق، أمهلهم طويلا، ودلل على تفاني حضرته في حب الرسول ﷺ بأن جعل من أعداءه أمثال أبي جهل وأشباه مسيلمة الكذاب وأثبت بأن كل هذه الآيات من عند الله وحده، وليست وليدة صدفٍ، لأنه لو كانت صدفة محضة لما عامل ﷻ كلَّ واحد من الفريقين معاملة طبق الأصول المسلّم بها لديه.

وعلاوة على هذه المهالك التي صبت على أعدائه بعد المباهلات والدعاء عليهم، هناك عدة طرق أهلك بها الله أعداءه وأنزل في عصره ألوانا من العذاب عليهم، وأذاقهم ضروبا من الويلات، حتى انبرى كل قلب يشهد بأنه لم يسبق لهذا الدمار مثيل. ولسنا الآن بحاجة إلى تفصيل هذه المصائب، إذ إنه لأمرٌ لا يختلف فيه اثنان. وما من بلد من بلاد الدنيا لم يحل به الطاعون، ولم يكن عرضة للزلازل والأمراض والحروب الطاحنة، ولم تدمر به المدن والعمران.

كان بعض ما نزل على الآحاد من العذاب مماثلا لما كانوا يتهمون به حضرته. فكما زعم بعض أعدائه أنه مصاب بالبرص، أصيب ذلك العدو نفسه بالبرص، وأشاع بعضهم أن حضرته توفي أو سيتوفى بالطاعون، فهلك هؤلاء أنفسهم بالطاعون. وقد تنبأ أحد الأطباء الرسميين في "بتياله" بأن حضرته سيهلك بمرض

الرئة، فهلك ذلك المتنبئ مسلولا. ونرى لذلك مئات الشواهد من أن الذي افترى على حضرته بشيء، انقلب عليه ذلك الافتراء نفسه. ولقد أظهر الله تعالى لحضرته آيات إذا نظر فيها أحد متخليا عن العناد، أيقن بقدرة الله وبأنه شديد العقاب، واضطر إلى أن يقبل بأن حضرته مرسل من ربه حقا، وإلا فما الداعي إلى أنه عَزَّ وَجَلَّ كان ولا يزال يظهر له هذه الغيرة الشديدة.

الدليل الثامن: سجود الملائكة

يتبين من القرآن الحكيم أن الله ﷻ أمر الملائكة بالسجود لآدم بعد أن خلقه، والسجود عبادة، والسجود لغير الله لا يجوز مهما كان حائزا على العظمة والشرف، لا للأنبياء، ولا حتى لسيد الأنبياء محمد ﷺ، وليس السجود لغير الله غير جائز فحسب، بل إنه لكبيرة تحرم صاحبها من قرب الله تعالى وفضله، فالسجود لآدم ليس بمعنى العبادة.

ولا يمكن أن نقول بأنه قد يكون السجود جائزا في قديم الزمان، ثم صار محظوراً فيما بعد، إذ أن الشرك ليس من الذنوب التي قد تجوز حينا ولا تجوز في حين آخر، لأن وحدانية الله هي أصل من أصول الإيمان. ومن المستحيل أن يحدث فيه تغيير أو تبديل في حين من الأحيان. ولو افترضنا جدلًا أن السجود لغير الله كان جائزا من قبل، لكن عد بعد ذلك شركا محرما، لحقَّ للشيطان أن يدعي أن الله اضطر، والعياذ بالله، أخيرا لما كنتُ أُصر عليه، وكان عذري أنه لا يمكن لي السجود للبشر، ولم أرفض السجود لله قط.

قصارى القول أن السجود لغير الله لم يجز ولا يجوز بتاتا، ولن يجوز أبداً، فالسجود المطلوب من الملائكة ليس سجود عبادةٍ، بل لا بد من أن يكون بمعنى آخر. فهو طبق القواميس العربية "الطاعة الكاملة"، فكما أن السجود يدل على العبادة، كذلك يصدق على الطاعة، كما ورد في "لسان العرب" تحت "سجد": "كل من ذل وخضع لما أمر به فقد سجد". فالأمر بالسجود لآدم يعني أن يطيعه الملائكة، وطاعة الملائكة للبشر هي أن تساعدهم على تحقيق غاياتهم، وليس ذلك خاصا بآدم، بل يشمل سائر الأنبياء، بل من لم تؤمر الملائكة بالسجود له، فهو ليس بمرسل أصلا.

إن في حياة النبي ﷺ لشواهد عديدة على أن الملائكة نصرته في أعماله، كما نرى في موقعة بدر أن الملائكة ألقت الرعب في قلوب الكفار، وهبت رياح عاصفة بالحصى التي رماها النبي ﷺ، وفي غزوة الأحزاب إذ أطفأت الملائكة نيران أحد سادة الكفار برياح عاتية، الأمر الذي أدى إلى اندحار الكفار، وتبينت له ﷺ مؤامرة يهودية دعته إلى طعام مسموم. إن معظم ظهور طاعة الملائكة يتحقق عن طريق القوانين الطبيعية، ولما كانت الملائكة السبب الأول لتلك القوانين، فهي تصرفها لتأييد الأنبياء ضد أعدائهم، الأمر الذي يسبب غلبة الأنبياء بالرغم من العوامل المادية المعارضة، ويكون دليلا على صدقهم.

وإن تأييد الملائكة هذا كان حليفا لحضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام دائمًا، وما برحت الملائكة تناصره وتؤيده وتخلصه من المشاكل بأعجب الطرق، وكانت تسخر القوانين الطبيعية لنصرته. فقد حدث مرة أن حضرته كان نائما في دار مع أناس آخرين من المسلمين والهندوس، فهب حضرته من نومه فجأة على شعورٍ قلبيٍّ بأن الغرفة على وشك الانهيار، ولم يكن ثمة ما يدل على انهيارها، غير أن السقف كان يصدر صرير الخشب المتآكل، فأيقظ حضرته جميع النائمين وطلب منهم أن يخرجوا من البيت قبل وقوع الكارثة، لكنهم لم يهتموا بهذا التنبيه، فعادوا نائمين وقالوا إنه وهمٌ محض ولسنا في أي خطر. وبعد برهة شعر حضرته بالصوت والصرير ذاته، فنبههم تنبيهاً شديدا، وأصر عليهم بالخروج، عندئذ قاموا من النوم متثاقلين شاكين بأنه أفسد راحتهم لمجرد توهمه، فشعر حضرته أن سلامة البيت متوقفة على وجوده وسيقع حالما يخرج، لذلك أخرجهم جميعا قبل خروجه هو، فلما تقدم حضرته للخروج وما إن خطا خطوة واحدة إلى الخارج حتى تهاوى سقف البيت بقوة، فدُهش الناس لذلك وصاروا ممتنين له، وأدركوا أنهم أنقذوا من الموت المحتم لأجل وجود حضرته بينهم.

كذلك كان يحدث أحيانا عند إصابته بالأمراض المتنوعة، إن الأدوية كانت تتمثل له. والبين أن الأدوية لا روح لها. والحق أنها كانت نصرة الملائكة الذين هم مأمورون لإظهار تأثير الأدوية، وهم السبب الأول لكل شيء. كما نرى أن حضرته أصيب مرة بداء عضال مؤذ، ولم ينفعه أي دواء من شتى الأدوية التي استعملها، وما لبث أن ظهرت له صورة قالت له: "أنا النعناع في خدمتكم"[1] فاستعمل حضرته هذا الدواء وشفي تماما بفضل الله.

أحيانا كان الأعداء يكيدون لقتله، لكن الذين كانوا يُبعثون لقتله، إما أن أطلعه الله عليهم، أو أن الملائكة كانوا يملأون قلوبهم كمشركي غزوة بدر حتى صاروا قتلى الحق تائبين مبايعين له خاضعين لنير طاعته تاركين العداء مثل عمر رضي الله عنه.

غير أن أهم هذه الحوادث هو الآية الكبرى التي ظهرت بصورة الطاعون، وسأسرد لاحقًا كيف وقع الطاعون في الدنيا طبق أنباء حضرته، ونكتفي الآن بأن نقول: إن الله تعالى أرى حضرته الطاعون بصورة الفيل الذي يعيث في الأرض بالهلاك والتدمير، لكنه لما وصل إلى حضرته جلس أمامه خاضعا طائعاً. ومعنى هذه الرؤيا أن ملائكة الطاعون قد أمرت بتأييد حضرته، ولتأييد هذا المنظر الذي رآه حضرته أُلهِم إليه كثير من الإلهامات أحدها ما تعريبه: "النار خادمة لنا، بل خادمة خدامنا"[2]، فأعلن حضرته أن أتباعه سيكونون آمنين من الطاعون نسبيا وإن كانت بعض الإصابات تحدث فيهم أيضا، غير أنها ستحدث كما كان يستشهد أصحاب النبي ﷺ خلال محاربة الكفار، لكن قتلى الكفار كانوا أكثر بكثير من شهداء المسلمين.

---

[1] جريدة "الحكم"، مجلد ٩، عدد ٧، يوم ٢٤/ ٢/١٩٠٥

[2] الأربعين ٣، الخزائن الروحانية، مجلد ١٧، ص ٤٢٩

كذلك أعلن حضرته أن قاديان ستكون أمنع للطاعون من سائر القرى والمدن الأخرى، ولا تكون هدفا للطاعون المبيد كمناطق أخرى، وستكون دار حضرته محروسة ومصونة كلها على الإطلاق، ولن تحدث فيها إصابة من الطاعون. وبعد هذه الإعلانات، فتك الطاعون بأهل الهند أشد الفتك، وكان يقضي على مئات الألوف منهم كل سنة، لكن رغم ذلك إن حضرته منع جماعته من التطعيم ضد الطاعون، العلاج الوحيد الذي كان عليه السلام يوثق به للاحتماء من هذا المرض الوبيل، ومع ذلك قلما أصيب به أتباعه، بينما جرف الطاعون غيرهم جرفا. لما رأى الناس هذه الخارقة متكررة إلى عدة سنوات، اضطروا للتساؤل لماذا تصيب جراثيم الطاعون سائر الناس دون الأحمديين؟ ونظرا لذلك اعتنق الأحمدية ألوف منهم، بل إن معظم الأحمديين في عهد حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية، آمنوا به عند رؤية هذه الآية البينة، وكان مما يدهش له أكثرهم أنه من الذي يدل هذه الجراثيم على أن فلانا يؤمن بحضرة الميرزا وفلانا لا يؤمن به.

إن أكابر أعداء حضرته عليه السلام هلكوا بالطاعون كما سبق أن سقنا بعض الشواهد، لكن جماعته ظلت مصونة إلى حد كبير، وما أصيب بهذا المرض من جماعته إلا نادرًا جدًّا، إن إلقاء الطاعون رحاله في هذه البلاد إلى عدة سنوات متتالية عديدة، وتخلص الأكثرية الكبرى من جماعته من هذا الوباء في هذه الديار ليدل دلالة واضحة على أن الملائكة كانت تسخر جراثيم هذا المرض لتأييد حضرته من جهة، واستئصال أعدائه من جهة أخرى طبق رؤيا حضرته السابقة الذكر والوحي الذي تلقاه من الله: "النار خادمة لنا، بل خادمة خدامنا". وبذلك كانت الملائكة تقوم بواجبها الذي كتب عليها لنصرة كل مرسل من الله تعالى.

كذلك حدث في قاديان، إذ حصل فيها أقل من القليل من إصابات الطاعون مقارنة بالقرى الأخرى، ولم يبق بها هذا المرض إلا ثلاثة أعوام، بينما ظل في المدن الأخرى عشر سنوات أو أكثر.

أما دار حضرته عليه السلام بصورة خاصة فكانت أروع مثال لطاعة الملائكة وينال الموت من بيوت جيرانها المتصلين بها من كل النواحي لكن داره التي كان يسكنها عندئذ أكثر من مائة شخص، وأضف إلى ذلك أن هذه الدار ما كانت تحظى بوضع صحي لموقعها المنخفض، لم يمت بها أحد فحسب، بل لم يصب بها حتى ولا فأرة. مع أن الطاعون عندما يدخل بلدًا يحصد جميع الفئران حصدًا. وإنه لأعجب آية تدعو أولي الألباب إلى طمأنينة واقتناع. فإن لم تكن الملائكة تؤيد حضرته، فما الذي سخر له النواميس الطبيعية التي لا يتمكن من التصرف فيها حتى الملوك والسلطات العليا من الحكام؟ كذلك إن كبار الأطباء الذين كانوا يفرطون في الحيطة والحمية ليل نهار، لم ينجوا من هذا الوباء، كما إن القاطنين في قصور شاهقة منعزلة عن العمران أيضا أصيبوا به ولم يتخلصوا من بطشته. والمطعَّمون ضد الطاعون أيضا لم يكونوا من الناجين. لكن رغم ذلك كله إن القاطنين بدار حضرته كانوا بمنجاة منه مع انعدام الأسباب الظاهرية ومع فقدان الأدوية الواقية والوسائل الصحية المواتية، رغم لزومهم الدار غير هاربين منها، بل إن الحيوانات أيضا كانت مأمونة، مع أن عدد هؤلاء السكان كان كبيرا وفي زيادة مستمرة لأجل تقاطر اللاجئين إليها كل يوم.

فلو لم يدخل الطاعون قاديان بتاتا، أو دخله ولم تحدث حول دار حضرته إصابات، فكان من الممكن أن يعزى ذلك إلى المصادفة، لكن تفشي الطاعون بقاديان، وحلوله بالبيوت المجاورة، ونجاة سكان "الدار"، بل الدواب

اللاجئة إليها أيضًا، بعدما سبق أن نشر حضرته أن الملائكة تحفظه وتؤيده، لأقوى دليل على أن الملائكة كانت مأمورة بالانقياد لحضرته عليه السلام ومكلفة بحفظه وصيانته، ولذلك فإن الأسباب الطبيعية الخاضعة لها كانت مصروفة إلى نصرته.

إن تأييد النواميس الطبيعية لحضرته تبيّن حقائق عديدة، غير أنني أرى أن الشواهد السابقة تغنينا عن مزيد الإيضاح، وأنه تتجلى بها حقيقة أمثال هذه المعجزات، ستدركون بها حق الإدراك أن المؤيَّد بمثل هذا التأييد ليس من المفترين الكاذبين بتاتا.

الدليل التاسع: كشف العلوم السماوية

إن الدليل التاسع على صدق حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام- وهو في الواقع يتضمن عدة أدلة- أن الله تعالى كشف عليه بقدرته علوما تفوق إدراك الإنسان.

إن بعثة الأنبياء إنما تهدف إلى إيراد الناس على عين زاخرة يتوقف عليها بقاء الحياة الروحانية، أي وصلهم بالله الذي هو المنبع الحقيقي لجميع أنواع الحياة، الأمر الذي لا يتأتى دون العلوم الروحانية، ولا ينال قرب الله إلا من حظي بمعرفة الله تعالى، وأدرك وسائل قربه، واطلع على دقائق صفاته. ولا يمكن أن يرشد الناس إلى الأمور الروحانية إلا من له حظ وافر من هذه العلوم.

فلا يستحق ادعاء مدّع النبوة التسليم ما لم يحظ بنصيب أوفر من علم الله الذي لا يعرف الحدود، وما لم يربّه الله من لدنه تربية علمية خاصة. فالآن نمعن النظر في صدق حضرة المؤسس عليه السلام طبق هذا القانون أيضا وننظر في العلوم التي فتحها الله على حضرته.

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣٢)

أي علمه الله تعالى الصفات الإلهية، وهي تشمل جميع أنواع العلوم، لأن معرفة الله لا تعني إلا علم الصفات الإلهية الذي يتعلق بالمشاهدة، وهذا النوع من العلم يوهب لكل نبي، كما يقول سبحانه وتعالى عن لوط عليه السلام: ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (الأنبياء: ٧٥)

ويقول عز وجل عن حضرة داود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ (النمل: ١٦)

ويقول تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ (يوسف: ٢٣)

ويقول عز وعلا عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص: ١٥)

ويقول تعالى عن رسول الله ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (النساء: ١١٤)

ثم وعده بزيادة العلم، وعلّمه أن يدعو الله قائلا: ﴿قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ (طه: ١١٥)

تبين من هذه الآيات أن كل نبي يوهب من عند الله علما خاصا، فوهب الله تعالى حضرة المسيح الموعود عليه السلام أيضا مثل هذا العلم بفارق وحيد وهو أنه وهبه العلوم الباطنية والعلوم الظاهرية كلتيهما بفضل اتباعه للنبي ﷺ بينما أعطي الأنبياء السابقون علومًا باطنيةً فقط. كما وهب حضرته عليه السلام أسلوبا رائعا للبيان، وقد جعله الله منقطع النظير في كلا الأمرين بحيث لا يمكن لأحد أن ينافسه في وفرة هذه العلوم ولا في بيانها.

أتناول أولا العلوم الظاهرية. وهذه معجزة اختص بها النبي ﷺ -قبل حضرته- دون غيره من الأنبياء، إذ لا نجد مثيلها فيهم. إن الوحي العظيم الذي نزل على الرسول ﷺ يقول فيه الله عز وجل: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤)

صرح الله في هذه الآية بأن القرآن الحكيم منقطع النظير في جميع أنواع المزايا ومنها مزية تتعلق بظاهره. ولفت الله الأنظار إلى فصاحة القرآن الكريم في مواضع عديدة، كما يقول عز وعلا:

﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ٢)

أي أنه كتاب قد أسست قواعده المحكمة على صخر من الحقائق الراسخة، ثم بُيِّنت بيانا واضحا من لدن إله محيط بالعلوم كلها وعليم بالحقائق جمعاء، والإله الحكيم لا يمكن أن يصدر منه إلا الكلام المحكم، والخبير المطلع على أن عصر العلوم قريب، فلا بد من آيات علمية، فجعل لغة القرآن مفصلة بحيث يفسر القرآن نفسه بنفسه، ويشهد بفضله بذاته.

لما كان المسيح الموعود عليه السلام تلميذا لسيدنا ومولانا محمد ﷺ وظله، وكان قد اقتبس من نور سيده ﷺ، لذلك جعل الله له أيضا حظا من هذه المزية، فوهبه الفصاحة. وكما سبق أن ذكرت إن حضرته لم يكن خريج مدرسة معروفة، بل وُظِّف لتعليمه بعض الأساتذة من ذوي الكفاءة العادية الذين علموه بعض مبادئ العلوم الرائجة، ولم يسافر إلى بلد عربي لتحصيل اللغة العربية، ولم يقصد مدينة تعرف كمركز للعلوم العربية، ولم يتعلم إلا ما تيسر له من بعض المبادئ من بعض الكتب العادية جدًّا في حياته القروية المنعزلة.

لما ادعى حضرته واهتم بإصلاح الناس، فأولُ ما استلفت أنظارَ الأعداءِ هو هذه الأوضاع الخاصة التي نشأ فيها حضرته، ففكروا في ذلك، فرأوا أن الهجوم عليه من هذه الجهة سيكون أشد، فأذاعوا في الناس أنه ليس إلا كاتبا عاديا، وبرع بعض البراعة في الكتابة باللغة الأردية، فاسترعى اهتمامَ الناس ببعض كتاباته، حتى اغتر بنفسه، وادعى هذه الدعوى، وبما أنه يجهل اللغة العربية، فلا يصلح لأن يكون له رأي في الأمور الدينية. فكان هذا الاعتراض يوجه ضده في كل ناد وفي كل مقال، لكي يسيئ الناس به الظنّ، أما قولهم بأن حضرته جاهل لا يعرف من اللغة العربية شيئا فباطل تمامًا، لأنه كان قد درس بعض الكتب السائرة في ذلك الزمن غير أن الحق أنه لم يتلمذ على يد عالم بارز من العلماء، ولم ينل شهادة علمية من المدارس العتيقة، لذلك لم يُعتبر من كبار العلماء، ولم يكن "مولويا" بالمعنى المعروف.

فلما ثارت الضجة حول هذا الاعتراض، وألح المشايخ على ذلك في كل فرصة وأثاروه في كل موضع، حدثت عندئذ معجزة. فعلمه الله في ليلة واحدة أربعين ألف مادة من اللغة العربية، ووهبه آية القدرة على أن يؤلف الكتب بالعربية، ووعده بأنه سيوهب فصاحة وبلاغة خارقة تعجز جميع الناس. فكتب حضرته مقالا باللغة العربية وضمه إلى كتابه "مرآة كمالات الإسلام" وتحدى مخالفيه بالإتيان بمثله، ولكن لم يجرؤ أحد على ذلك. فتابع حضرته الكتابة بالعربية حتى ألّف أكثر من عشرين كتابا، وأعلن مع بعضها جائزة مالية تقدر بعشرة آلاف روبية لمن يكتب مقابله مثل هذه الكتب فصاحة وبلاغة، لكن رغم ذلك كله لم يقدر أحد من المعارضين أن يكتب الرد على هذه الكتب، بل كتب عليه السلام بعض الكتب متحديا العرب أيضا بأن يأتوا له بمثيل، لكنهم أيضا لم يفعلوا ذلك فتولوا مدبرين، كما تحدى حضرته الشيخ رشيد رضا رئيس تحرير مجلة "المنار" مخاطبا إياه بكتاب خاص لكنه لم يبرز له. كذلك تحدّى حضرته آخرين من العرب لكنهم لم يجرؤوا على مواجهته.

اعترف علماء الهند بعجزهم قائلين إن هذه الكتب لم يكتبها الميرزا نفسه، بل إنه أخفى عنده بعض العرب، وهم يكتبون له. يتبين من اعتراضهم هذا أنهم كانوا مقتنعين بالبلاغة واللغة القيمة لكتب حضرته، غير أنهم كانوا يشكون في قدرته على كتابة هذه الكتب، فرد عليهم حضرته قائلا: لكم أيضا أن تستعينوا بمن شئتم من العرب، فاكتبوا مثل ما أكتب، لكن رغم التحدي المتكرر لم يبارزه أحد في هذا الميدان، وظلت هذه الكتب المتحدَّى بها بلا رد عليها حتى اليوم.

وعدا هذه الكتب إن حضرته تلقى الوحي مرة بأن عليه أن يلقي خطبة باللغة العربية ارتجالا مع أنه لم يخطب بها من قبل ولا مرة واحدة. واليوم التالي كان يوم عيد الأضحى، فطبقا لأمر الله قام حضرته بعد صلاة العيد للخطبة وألقى بالعربية خطبة طويلة نشرت فيما بعد باسم "الخطبة الإلهامية". كانت هذه الخطبة في غاية

من الروعة اللغوية التي أدهشت العرب والعجم على السواء، وهي تتضمن دقائق وغوامض تزيدها عظمة وروعة.

إن معجزته العلمية هذه كانت من أعظم معجزاته وأقواها، لأنها أولا تفوق تلك المعجزات التي تؤثر في نفوس المشاهدين لها فقط، وثانيا، لأنها اضطرت حتى الأعداء للاعتراف بعظمتها، وستخلد هذه الآية العظمى ما دامت السماوات والأرض حجةً قاطعة على رؤوس الأعداء على غرار القرآن الكريم وآية لامعة بينة. إن بعض الناس لما لا يجدون بداً من الاعتراف بهذه الآية، يقولون إن مثل هذه المعجزة لتنال من شرف القرآن، لأن القرآن يدعي بأن لغته منقطعة النظير فإذا جعل الله لغة حضرة الميرزا منقطعة النظير أيضا، فإن هو إلا مساس بكرامة القرآن وإبطال لادعائه، هذا الاعتراض ناشئ عن العناد فقط، وإلا ولو فكروا لتبين لهم أن ادعاء القرآن بانقطاع نظيره، رغم ادعاء حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام، حق بلا مراء، بل قد زاد قوة وتأثيرا.

إن الفضائل في الدنيا على قسمين، قسم يعرف بالفضائل الحقيقية وآخر يسمى الفضائل الإضافية، فالأول يوجد بغض النظر عن الأشياء الأخرى، والثاني يوجد واضعا الأشياء الأخرى في الحسبان، وأقدم مثال هذا الأمر من القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى عن بني اسرائيل: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة: ٤٨)

ثم يقول عن المسلمين: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١١)

فمن ناحية هو يفضِّل بني إسرائيل على العالمين، ومن جهة أخرى يفضل المسلمين على أمم العالم كلها، ويبدو لبادئ النظر اختلاف بين الآيتين، لكن لا خلاف بينهما في الواقع، لأن التفضيل في الأولى على العالم المعاصر عندئذ، بينما التفضيل في الثانية على كافة الأمم من الأولين والآخرين. ففضل كلام المسيح الموعود على سائر الكلام إنما هو بالنظر إلى كلام الناس المعاصرين، وفضل القرآن

الحكيم يشمل كلام الناس وسائر الكلام السماوي أيضا، ومنه ما نزل على حضرة المؤسس ﷺ من الوحي وما كتب حضرته من الكتب. ففضل القرآن العظيم على سائر الكلام حقيقي، أما فضل كلام حضرته فهو إضافي، فلذلك إن هذه المعجزة لحجة على الناس المعاصرين، ولا تمس بعظمة القرآن.

سبق أن ذكرت أن معجزاته زادت معجزة القرآن سموًا، والتفضيل إنما يكون على عدة أضرب، ضرب منها يدل على الأفضلية، لكن لا يشترط أن تكون أفضلية مطلقة، وفيه يكون الكلام الموصوف بمثل هذه الأفضلية وإن كان أفضل من غيره متقدما، إلا أن سائر الأنواع الأخرى من الكلام لا تتأخر عنه كثيرًا في الأفضلية، بل تكون مقاربة له، ومثال ذلك ما نرى في سباق الخيل حيث أن الجواد المتقدم يمكن أن يكون سابقا لغيره بمقدار يسير مثل شبر أو ذراع أو مقدار طول فرس أو أكثر أيضا. فهذا هو شأن الكلام المنقطع النظير، إذ يمكن أن يمتاز عن غيره امتيازًا يسيرًا كما يمكن أن يسبق غيره بفرق شاسع غير عادي.

أما السؤال : كيف يُعرف ما إذا كان كلام الله المعجز أي القرآن الكريم يسبق غيره من الكلام ببون شاسع أم بفارق بسيط، فسبيله أن يوضع - بين القرآن الكريم وبين غيره من الكلام الذي يدعي القرآن أنه أفضل منه - كلام آخر يراه أصحابه أيضا عديم المثال، ولكنه رغم ثبوت أفضليته على سائر أنواع الكلام يكون أقل رتبة من كلام الله المعجز أي القرآن الكريم.

وعليه فإن إثبات أفضلية كتب حضرته عليه السلام فوق سائر الكتب إنما هو دليل على ثبوت فضل القرآن الكريم على سائر أنواع الكلام وانعدام نظيره، بل يدل على أن القرآن الكريم يفوق سائر أنواع الكلام بمراحل واسعة جدا، وذلك لأن كلام حضرته عليه الصلاة والسلام حين وضع بين القرآن الكريم وبين سائر الكتب الأخرى جعلها تتأخر عن القرآن الكريم تأخرا ملحوظا، وأخرجها من دائرة

التنافس مع القرآن الكريم، أما كلام حضرته عليه السلام فهو بنفسه تابع للقرآن الحكيم وخاضع له، الأمر الذي يتبين منه أن القرآن يعلو سائر الكتب.

وعدا هذه البلاغة التي أعطيها حضرته عليه السلام، وُهب علما ظاهريا عن حقيقة اللغة العربية ألا وهو أن هذه اللغة هي أم الألسنة كلها، وهذا لعمري كان علما عظيما رائعا، إذ أن علماء اللغة الأوروبيين كانوا قد وصلوا بعد جهود مضنية جبارة إلى نتيجة أن "السنسكريتية" أو "الفهلوية" أم اللغات، بينما ذهب بعضهم إلى أنهما أيضا فرعان للغة السابقة، وأن تلك اللغة السابقة قد اندرست. هذا ما كان يراه علماء أوروبا، أما العرب الناطقون بالعربية، كانوا ينكرون بأنفسهم فضيلة هذه اللغة، بل كانوا يبحثون عن أم اللغات في اللغات الأخرى دون العربية متأثرين بعلماء أوروبا. إن تثبيت الله تعالى إياه على هذه الحقيقة في هذه الأحوال والظروف كان ولا شك اكتشافا مدهشا، غير أنه قد تبين من القرآن الحكيم أن هذا الاكتشاف العلمي كان وفق التعاليم القرآنية، إذ الكلام المنزل لجميع العالمين كان ينبغي أن ينزل بهذه اللغة التي هي أم اللغات لكونها أقدم اللغات قاطبة، كما يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ (إبراهيم: ٥)

كان رسول الله ﷺ مبعوثا للأمم كافة وللعالم أجمعه، فكان من الأحرى أن ينزل عليه الكتاب بلغة تستحق أن تكون لغة العالم كله بصفتها أم اللغات، وبما أن هذا الكلام المنزل على الرسول ﷺ كان باللغة العربية، فلذلك إن اللغة العربية هي وحدها أم اللغات.

وضع حضرته أصولا ومبادئ دالة على هذا الاكتشاف العظيم بعد أن تلقاها من الله تعالى، وبها قد أوضح هذه الحقيقة كوضح النهار أن اللغة العربية في الواقع هي أم اللغات وهي وحدها لغة إلهامية، وليس من لغة من سائر اللغات تستحق هذه الفضيلة. فعزم حضرته عليه السلام على أن يؤلف في هذا الموضوع كتابا شاملا، لكنه مع الأسف الشديد لم يتمكن من تكميله، غير أنه

قد بيّن فيما كتب المبادئ الأساسية لهذا البحث، وإن هذه الأسس تصلح بعد الشرح والتفضيل لأن تقنع جميع العالم بهذه الحقيقة الراهنة. وإنني بإذن الله عازم على أن أؤلف كتابا في ضوء تلك المبادئ والأسس التي وضعها حضرته، وعلى هدى تلك العلوم التي أودعها في كتابه، وإنني لأريد أن أحقق دعاويه بأوضح الطرق وأجلاها، وأضمّنه تصديق علم اللسانيات الحديث الموضوع من قبل علماء أوروبا لهذه الحقيقة، كما أريد أن أبين عثرات هؤلاء العلماء بهذا الصدد، وما التوفيق إلا من الله. إن هذا الاكتشاف من حيث علاقته باللغة العربية، لاكتشاف منقطع النظير وسيكون نقطة تحول لرأي العالم نحو الإسلام، وإنه سيورث الإسلام عزًّا وعظمةً.

وعدا العلوم الظاهرية، حظي حضرته عليه السلام بالعلوم الباطنية أيضا التي هي تراث أنبياء الله تعالى، وعجز أعداؤه عن مبارزته في هذا الميدان. وكما سبق أن ذكرت إن حضرته لم يبعث بشريعة جديدة، بل كان، طبق الأنباء، قد أتى للقيام بخدمة الإسلام وإشاعته، وكان أهم واجباته نشر العلوم القرآنية وتعليمها، إن القرآن العظيم ليشمل العلوم بأسرها. ومن المستحيل أن ينزل بعد القرآن علم جديد، كما ليس من الممكن أن يظهر بعد الرسول ﷺ معلم جديد، لأن كل معلم بعده إنما هو مجدد للعلوم التي علمها الرسول ﷺ لا غير، كما يتبين من الوحي الذي تلقاه حضرته:

"كل بركة من محمد صلّى الله عليه وسلّم، فتبارك مَن علّم وتعلّم"[١].

فالمعلّم هو الرسول ﷺ، والمتعلم هو المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. فبما أن العلوم بأسرها ختمت بالقرآن، فلذلك إن الذين يبعثون بعده سيتعلمون ذات العلوم القرآنية لا من علوم أخرى جديدة، وإن أعظم الأدلة على صدقهم إنما هو

[١] البراهين الأحمدية، الجزء الثالث، الخزائن الروحانية، مجلد أول، ص ٢٦٥ - ٢٦٨، الحاشية في الحاشية ١.

وراثتهم لتلك العلوم القرآنية الواسعة التي لا تمت إلى مجرد العلوم العقلية بصلة، بل علمهم يتناول حقيقة صفات الله والمراتب الروحانية التي يشرف بها عباده.

أيها الملك! لنر أن الله تعالى قد منح حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام من علوم القرآن الآن هذه حظا أوفر حتى يصح أن نقول بغير مبالغة أن القرآن نزل نزلة أخرى، وإن قولنا هذا سيكون حقا ومصدقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في رواية: لو كان الإيمان معلّقاً بالثريا لناله رجل من فارس.

أولا وقبل كل شيء أتناول من علوم القرآن قسماً هاماً أيد الإسلام تأييداً، وغيّر موقف الإسلام بين الأديان من مغلوب إلى غالب، أي أن القرآن الحكيم الذي كان يعد من قبل كتابا ميتا قد عاد كتابا حياً خالداً، وانهزم الأعداء مأخوذين بالفزع إزاء فضائله الباهرة.

كان عامة المسلمين قبل بعثة المسيح الموعود يرون أن علوم القرآن ومعارفها قد بلغت منتهاها بيد السلف الصالح من المفسرين وغيرهم ولم يعد بإمكان أحد أن يزيد عليها حرفا، وأن البحث الجديد المتجاوز عن حدودها إنما هو عبث ومضر للدين. ولقد اختص الله تعالى حضرته عليه السلام بما أظهر عليه من أن خلق الله المادي كما يحتوي على أسرار لا تحصى، كذلك إن كلام الله تعالى أيضا يتضمن من المعاني والمعارف ما لا نهاية له، وإذا كانت ذبابة حقيرة من مخلوق الله تظهر قواها المتجددة في كل زمن، وإذا كانت أسرار تكوينها، وخواصها الكامنة وعاداتها الراسخة يتوسع علمها وتزداد معرفتها، وإذا كانت الاكتشافات تقدم عن خواص أصغر نبات وأضعف غرس وتأثيره، فما الداعي إذن إلى تحديد كلام الله عز وعلا بحيث يستنبط الناس معارفه وخواصه إلى زمن خاص ولم يعد بعد ذلك إلا كمعدن انتهت كنوزه ودفائنه ونفدت خيراته، إن كلام الله تعالى يجب أن يكون من ناحية المعاني والمطالب أوسع من الأشياء المادية الأخرى، وإذا كانت العلوم الدنيوية تتجدد وتتطور وتتقدم الفلسفة والعلوم الطبيعية بخطوات حثيثة واسعة،

وإذا كان علم الأرض وعلم الآثار القديمة وعلم وظائف الأعضاء وعلم النباتات وعلم الحيوانات وعلم الهيئة وعلم السياسة وعلم الاقتصاد وعلم المعاملات وعلم النفس وعلم الروحانيات وعلم الأخلاق وأمثالها إما تكتشف أسرارها كل يوم أو إنها تقدمت مقارنة مع العلوم القديمة تقدما مدهشاً، فهل يا ترى، قد بلغ كلام الله وحده مثل هذا الجمود والركود، حتى لم يعد صالحاً لأن يزوّد أصحاب النظر فيه بعلوم متجددة ومعارف حديثة وحتى يظل هامدا جامداً لا حراك به حيث كان قبل عدة قرون؟

إن الإلحاد والابتعاد عن الله والنفور من الشريعة الذي نراه اليوم كل أولئك ثمرات هذه العلوم المعاصرة مباشرة أو عن طريق غير مباشر. فإذا كان القرآن الحكيم كلام الله كان من الجدير به أن يتضمن المعارف التي إما تطمئن الناس بالدلائل بإظهار خطأ هذه العلوم رغم تقدمها وسعتها، وتبين بأن الشكوك التي أثارتها هذه العلوم، هي مما لا مجال لها أو ناجمة عن قلة التدبر.

وبعد تقرير هذا الأصل، أثبت حضرته بالأدلة أن القرآن الحكيم لا يشمل جميع الأوضاع الراهنة والنهضات المعاصرة فحسب، بل إنه يتضمن بعض جزئيات هذا العصر أيضا، لكن المسلمين السابقين، لمّا لم يدركوا هذا العصر، فلم يدركوا حقيقة هذه الإشارات، فظلوا يحملونها على أحوال القيامة.

نرى مثلا أن سورة التكوير تتضمن كثيراً من علامات هذا العصر كما:

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ (التكوير: ٢-١٤).

أي حينما تُطوى الشمس وتنكدر النجوم. ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾، أي تُزال الجبال عن مواضعها، وتُخترع الآلات التي تشقها شقا وتحولها إلى طرق ممهدة وأنفاق. ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ أي إن وسائل النقل والسفر الجديدة تعطل النياق والجمال ولن تبقى لها من الأهمية ما كانت. ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي إن الناس سيجهلون العلوم الدينية حتى يصيرون من جهلهم بها كالوحوش، وكذلك إن الأمم المتوحشة كسكان أوروبا الذين كانوا، قبل ستة قرون أو سبعة، عراة حفاة، بينما كان أهل آسيا عندئذ مثقفين متقدمين، هؤلاء الأوروبيون سينتشرون في العالم ويستولون على الحكومات، وأيضا إن الشعوب الوحشية ستقضي عليها قضاء نهائيا والعرب يقولون "حشرت الوحوش أي أهلكت". هذا ما تحقق في هذا العصر، إذ نرى أن السكان الأصليين بأستراليا وأمريكا الذين يسمّون وحوشا، أُهلكو رويدا رويدا حتى لم تبق لهم من باقية في تلك البلاد.

ثم قال: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾، أي حينما تشق من الأنهار قنوات. ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، أي حينما يجتمع الناس ويتقاربون رغم الأبعاد الشاسعة، أي تُبتكر الوسائل المؤدية إلى اتصال الأمم والبلدان بعضها ببعض كأجهزة الهاتف التي تقرب الناس من بعد آلاف الأميال أو تبتكر القطارات والطائرات ونظام البرق والبريد والأنظمة اللاسلكية، والإذاعات، حتى جعلت العالم كله كمدينة واحدة. ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ أي إن الموءودات من البنات أو النساء سيطرح السؤال عن وأدهن من الناحية القانونية وإن كان وأدهن يجوز عند بعض الأديان، أي أن الحكومات ستحظر هذا الفعل الشنيع ولن تقبل أي فتوى دينية لجوازه في هذا الصدد مع أنه كان عادة متبعة في الأزمان القديمة. ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾، أي حينما تنشر الكتب والصحف والمجلات وتشاع كما نرى اليوم عيانا، إن هذه المنشورات والمطبوعات قد بلغت كثرة تدهش العقول. ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ

﴿كُشِطَتْ﴾، أي حينما تقشر السماء قشرا، وتكتشف العلوم السماوية مثل علوم الأفلاك والنجوم ومن العلوم القرآنية التي ستشاع في هذا العصر. ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾، أي حينما تضرم نيران جهنم- أي سيبتعد الناس عن الدين من جراء العلوم الجديدة ويكرهونه وتتخلى القلوب عن الإيمان وكذلك سيفسدون أيما إفساد باستخدام الناس وسائل التنعم والترف. ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي حينما تقرب الجنة حيث يهيج فضل الله ورحمته عند انتشار الفتن والشرور وازدهار الإلحاد، عندئذ سيترحم الله تعالى على عباده ويهيئ لهم وسائل تقوي إيمانهم وتبين فضائل الدين حتى يسهل للناس القيام بأعمال تورثهم الجنة.

والآن عليكم أن تنظروا في هذه الأمور، أوليست هذه العلامات لهذا العصر، وهل من الممكن ربط هذه العلامات بيوم القيامة أو بزمن آخر دون هذا العصر؟ وكيف يصح أن نخصها بالقيامة لمجرد آيتي: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ منخدعين بظاهرهما، بينما لا علاقة للآيات الأخرى بالقيامة مطلقًا، فلماذا تعطل العشار يوم القيامة خاصة؟ وإن قيل من شدة الفزع، فقلنا يومئذ يفر الإنسان من أبيه وأمه وأهله وإخوته وأخواته كل أولئك يهجرهم في ذلك اليوم. فحين تنقطع مثل هذه العلائق ذات الأهمية الكبرى لا يبقى ثمة مجال لترك النوق والجمال. ينشأ ثمة سؤال: لماذا تحشر عندئذ الوحوش؟ ولماذا تشق يومئذ القنوات والترع من الأنهار؟ أو لماذا توصل الأنهار بعضها ببعض؟ ولماذا يُسأل يومئذ عن الموءودة، إذ السؤال عن الأعمال يحصل بعد حشر الأجساد، بعد فناء هذا الكون وليس عندما ينقلب نظام هذا الكون رأسا على عقب. وما يلي هذه الآيات من الأمور ليدل على أن كل هذه الأنباء ستتحقق في هذا العالم، كما يقول الله عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ (التكوير: ١٨-١٩)

لو كانت لهذه السورة علاقة بالقيامة وهي بدأت بـ ﴿إذا الشمس كورت﴾، فكيف يمكن أن يتنفس الصبح بعد تكوير الشمس نهائيا؟ قصارى القول إن الأنباء في هذه السورة لا تتعلق بيوم القيامة بتاتا، غير إنها تطابق ظروف هذا العصر تمام المطابقة، حتى كأنها صورة صادقة لما نراه اليوم، والواقع أن هذه السورة تنبئ بالانحلال الديني وكثرة الآثام وضروب من التقدم المادي المدهش، كما أخبر فيها بنزول فضل الله الذي يقوي إيمان المؤمنين وتتبخّر الشكوك والشبهات.

قد سردت هنا مثالا واحدا من الأنباء الواردة في القرآن عن هذا العصر، التي بينها حضرته بنفسه، أو استنبطها خدامه من القرآن في ضوء تعليماته، على أن مفاسد هذا العصر والأنباء عن أوضاعه والطرق الناجعة للتخلص منها قد بلغت في القرآن كثرة تضطر حتى المعاندين الألداء إلى الاعتراف بأن القرآن كتاب الله الذي لا يخفى عليه شيء من الماضي والحاضر والمستقبل، لكننا نترك ذكرها مخافة الإطالة.

العلم الأساسي الثاني الذي أعطي حضرته عن القرآن هو أن القرآن لم يأت بحقيقة إلا أتى عليها بدليل مقنع. وبوضع هذا المبدأ الأساسي قد انفتح باب عظيم لعلوم القرآن. ولو أمعنا النظر في القرآن طبق هذا المبدأ لتبين لنا أن آلاف الأمور التي كانت تعد من قبل مجرد دعاوي وكان الدليل الوحيد على ذلك إنما هو أن الله تعالى قال كذا، كلها كانت مدعومة بأدلة قوية، الأمر الذي أدى إلى اندفاع الفطرة الإنسانية بحميّة واشتياق بالغَين إلى القرآن وتمسكها بحقائقه راضية مطمئنة بعد أن كانت تستعد، من أجل تقدم العلوم المعاصرة، للخروج عن هذا النير المفروض عليها إجباريا، والناس بدلا من أن يعدوا أحكام القرآن عبئاً فادحاً عليهم، أخذوا يقبلون عليها في شوق وطمأنينة، وأصبحوا يشعرون أن القرآن لم يلق على أعناقهم أغلالاً، بل إنه مرشد حكيم يصحبهم إلى نهاية الطريق، وكذلك إن حضرته قدم على وجود الله تعالى أقوى الأدلة من القرآن الحكيم ما لم تقدر العلوم المعاصرة على رفضها، والتي دفعت جماعة من الملحدين إلى الاقتناع بوجود الله وتوحيده.

كذلك إن حضرته رد على الاعتراضات التي كانت توجه ضد الملائكة مستدلاً بالقرآن، وبين الدلائل من القرآن الكريم على ضرورة النبوة وعلى صدق الأنبياء، كما أثبت القيامة من آياته الكريمة، وأوضح أهمية الأعمال الصالحة وفوائدها والعواقب الوخيمة لارتكاب المنكرات والمنهيات، وأهمية اجتنابها، بيّن كل هذه المسائل وغيرها من سائر المهمات من القرآن التي ذكرها بالأدلة العقلية والنقلية، وبذلك أثبت أن اكتشاف العلوم الحديثة لا يضر القرآن شيئا، لأنه من المستحيل أن يتعارض قول الله تعالى وفعله. والحق أن الكلام الذي ينافي فعله تعالى هو ليس بكلامه، وكلامه تعالى لا يعارض فعلَه بتاتا.

إن كشف هذه العلوم من القرآن الحكيم أدى إلى أن الجماعة الأحمدية وحدها عاكفة على تحصيل العلوم الحديثة من ناحية، ومن ناحية أخرى إنها على يقين أكيد بصحة أن العقائد الإسلامية قائمة على وجه البصيرة غير مراعية للمصالح السياسية ولا العصبية ولا التقليد، وإنها لقادرة على إثبات صدق المبادئ الإسلامية، بينما سائر الجماعات الإسلامية الأخرى إما تصر على المحافظة على إيمانها المزعوم معتبرة الحصول على هذه العلوم كفرا وتبرأت منها لكونها محرومة منها، أو تأثرت بها أسوأ التأثر وتخلّت عن القيم الدينية، أو تتظاهر بالإسلام مخافة الناس، لكنها تضمر في صدورها مئات الشكوك والشبهات عن التعاليم الإسلامية.

والأصل الثالث الذي علّمه الله عن القرآن الحكيم، هو أنه ما من شبهة أو وسوسة يثيره العقل الإنساني عن القرآن إلا والرد عليه موجود في القرآن نفسه. وقد بيّن حضرته هذا الموضوع بتفصيل يحير العقول ويأخذ بمجامع القلوب، إنه أبطل جميع الوساوس بآيات القرآن نفسه، ولم يكتف بمجرد القول. إن القرآن يخالف هذه الوساوس لذلك هي مرفوضة، بل دعم حضرته جوابه ببراهين علمية وعقلية مستقاة من القرآن تضطر أتباع سائر الأديان لتصديقها.

والعلم الأساسي الرابع الذي وهبه الله عن القرآن، هو أن المسلمين قبل ذلك كانوا يدّعون بأفضلية القرآن على سائر الكتب السماوية، غير أنهم لم يحددوا هذه الأفضلية التي تجعله منقطع النظير ولكن حضرته بيّن هذه الفضائل بشرح وإسهاب وأسلوب أخاذ يجعل الإنسان يفدي القرآن والرسول ﷺ الذي عن طريقه قد وجدنا هذه التعاليم.

والعلم الأساسي الخامس الذي أعطاه الله تعالى هو أن القرآن الحكيم ذو معانٍ، وله بطون كثيرة، ويمكن أن يستفيد منه جميع طبقات ذوي العقل والفهم فيجدوا فيه الحقائق طبق مواهبهم وكفاءاتهم. أي إن كلماته هِيَ هِيَ، ولكن معانيها عديدة وإذا فكر فيه رجل بسيط وجد فيه تعاليم سهلة وحقائق بارزة لا يستصعب فهمها، وإذا قرأه رجل متوسط الفهم، وجد فيه العلوم حسب علومه، وإذا نظر فيه أصحاب الثقافة العالية والإدراك القوي، وجدوا فيه بغيتهم، ولا يمكن أن ييئس من فهمه حتى قاصرو العلم ولا يجده أصحاب الملكات العلمية الراسخة كتابا سطحيا لم يظفروا فيه بما يثلج صدورهم في مجال التقدم العلمي.

والعلم الأساسي السادس الذي علمه الله تعالى عن القرآن، هو أن القرآن الحكيم يتناول، علاوة على العلوم الروحانية، العلوم المادية الضرورية للإنسان التي لا بد للإنسان من الإلمام بها، ويتوسع انكشاف هذه العلوم ويتقدم مع تقدم الزمان وتطوره، لكي يتمتع بها أهل كل عصر.

والعلم الأساسي السابع الذي وهبه الله عن القرآن، هو أن الله أعطاه تعليم الطرق والمبادئ التي تجنب الإنسان عن الخطأ في تفسير القرآن وتساعد على اكتشاف العلوم الجديدة، وتورثه دراسة القرآن كل مرة لذة وسرورا.

والأصل العلمي الثامن الذي وهبه الله تعالى، هو أنه علّمه جميع المراتب الروحانية بواسطة القرآن، وأن العلوم التي كان الناس يسعون إلى تحصيلها بمجرد

العقل فيخطئون فيها في بعض الأحايين، علمه الله إياها بالقرآن الحكيم أن القرآن بيّن جميع الأوضاع الروحانية من أدناها إلى أعلاها بترتيب بديع، ويمكن لكل إنسان أن يسلك هذه الطرق ويتقرب إلى الله، وإنه يتمتع خلال ذلك بثمرات الإيمان اليانعة مما لم يتيسر للناس من قبل، إذ أنهم كانوا يقنعون بمجرد الاستدلال ببعض آيات القرآن لكنهم لم يدركوا هذه الدرجات الروحانية مجتمعة.

والأصل العلمي التاسع الذي أعطاه الله تعالى، هو أن القرآن الكريم كله من أوله إلى أخره منزل مرتباً سورًا وآيات، وكل كلمة من كلماته وكل جملة من جمله موضوعة في موضعها الصحيح، ونجد بينها ترتيبا وتنسيقاً رائعاً لا أهمية أمامه لسائر الكتب الأخرى، لأنها لا تملك من الترتيب إلا أن تحشد المواضيع المستقلة المتفرقة بترتيب ما، لكن ترتيب القرآن على عكس ذلك نسيج وحده، إذ إنه ليس مرتبا من حيث المواضيع فحسب، بل إنه يراعي ترتيب المعاني من نواح عديدة، مثلاً إذا أردنا بكلمة معاني مختلفة فلن يختل الترتيب القرآني، فكل معنى يحل محله الملائم، فاختلاف المعاني وتعددها لا يؤدي إلى اضطراب الترتيب، بل هذا الترتيب يعم جميع المعاني الصحيحة الموافقة لأصول التفسير مهما توسعت واختلفت. خذوا أي معنى من معاني الكلمات وفسروها في ضوئها، فلن يختل ميزان الترتيب القرآني، وهذه ميزة لا ولن نجد مثيلها في كلام البشر أبدا.

والأصل العلمي العاشر الذي علمه الله تعالى، هو أن القرآن الحكيم حدد درجات الحسنات والسيئات، أي صرح بالحسنات التي تثير الشوق للحسنات المعينة وأوضح السيئات التي تسبب السيئات المعينة، وبهذا العلم يمكن للإنسان أن يستفيد استفادة عظيمة بشأن الإصلاح الخلقي، لأنه بهذا العلم التدريجي يستطيع الإنسان أن يكسب كثيراً من الحسنات التي لم يكن بقادر عليها من قبل رغم بذل المجهودات. فكأن حضرته كشف الغطاء عن معجزة القرآن أنه قد رفع الستار عن

منابع الحسنات وأماط اللثام عن مصادر السيئات التي يمكن أن يبرد بها غليله، أو يحول بها دون العواصف العاتية.

والأصل العلمي الحادي عشر الذي أخبر به حضرته، هو أن سورة الفاتحة هي ملخص القرآن الكريم وهي بمنزلة متن لسائر القرآن، وهي تتضمن جميع المبادئ الأساسية، وفسرها حضرته بتفاسير ضخمة مسهبة، واستمد منها أدق المعارف وألطف العلوم التي تقوي الإيمان، وأذاعها في الناس. وإن حضرته يسر بهذا العمل العظيم أن يحمل عبء المسؤولية الجسيمة لحفاظة الإسلام، إذ أن كل ما لا يُفهم من الكتاب المفصل يمكن فهمُه من الكتاب المجمل، ويمكن أن يتحدى بهذه السورة وحدها سائر الأديان، ويدرك بها جميع المراتب الروحانية.

هذه هي بعض الشواهد التي سقتُها تبيانا للعلوم الأساسية، وعلاوة عليها وُهب حضرته الأصل العلمي الثاني عشر، وهو علم مفصل استطاع به حضرته أن يترجم آيات القرآن ويشرح معارفها. إن هذه المعارف والتعليمات التي أخذها من القرآن، لو أحيطت بالبيان لاحتاجت إلى مجلدات عديدة، وإن عيون العلوم التي انفجرت أمامه، قد برهنت على صلته القوية بذلك المبدأ الفياض الذي هو عليم والذي يصف القرآن علمَه قائلاً: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

لأنه ليس باستطاعة الإنسان أن يدرك هذه العلوم بمجرد قواه العقلية، عندما ندرس القرآن في ضوء تلك العلوم والمبادئ التي بينها حضرته نرى فيه، بحارا زاخرة بالعلوم التي لا تحد.

لفت حضرته أنظار أعدائه إلى معاني ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠) وتحداهم قائلاً: لو كنت مفترياً كما تزعمون لما وُهبت مثل هذه العلوم الدقيقة الخارقة. وكرر حضرته هذا التحدي مراراً، بأنه إذا كان فيكم أحد من العلماء أو المشايخ يحظى بالعلاقة بالله تعالى، فليبارزني في إظهار علوم

القرآن، ويمكنكم أن تعينوا جزأين من القرآن بالاقتراع عن طريق شخص محايد ويُعطى كل واحد منا أحد الجزأين فيكتب تفسيره الشامل للمعارف الجديدة، لينظر الناس بأعينهم ويروا أي الفريقين يحظى بنصر الله عز وعلا، لكن رغم هذا التحدي المتكرر لم يجرؤ أحد على مبارزته، وأنى له ذلك!!؟ إذ لا يمكن مبارزة خدامه المخلصين أيضا فضلاً عن مبارزة حضرته. والحق أن القرآن اليوم هو لنا وحدنا.

قبل أن أنهي هذا البحث أرى من الأجدر أن أنقل هنا إحدى قصائده الفارسية في مدح القرآن، يستلفت بها حضرته إلى علوم القرآن، وفيما يلي تعريبها:

"لقد انبلج الصبح المنير بنور القرآن المقدس، وهبّ نسيم الصبا على أَنْوارِ القلب.

لا يوجد مثل هذا الضياء واللمعان في شمس الضحى، ولم يلاحظ أحدٌ هذا الجذب والجمال في القمر.

بقي يوسف محبوسا في قعر البئر، أما يوسف هذا فقد انتشل منها الكثيرين.

فقد جاء بإشراقته بمعاني مئات الدقائق، وقد تقوَّس الهلال أيضا تعظيما له.

ما أعظم حقيقة علومه، فإنها كمثل عسل يقطر من وحي الحق.

حين طلعت في الدنيا شمس الصدق هذه، انزوى البوم، عابدُ الليل، في عشه.

ما نال أحد اليقين قط في الدنيا إلا مَن أحبه حبا جَمًّا.

من حظي بعلومه صار كنز المعارف، ومن لم ير ذلك العالَم فهو يجهل العالم كله.

لقد نزل غيث فضل الله الرحمن بمجيئه، وشقيٌّ من تركه وتوجّه إلى جانب آخر.

إن الرغبة في السيئة عِرق من الشيطان، ولا أعدُّ إنسانا إلا من نجا من كل أنواع الشر.

يا منجم الحب أُدرِك جيدا من أين أنتَ، إنك نور من الله الذي خلق الخلق كله.

لم يعد أحد موضع رغبتي، فأنت الوحيد حبيبي؛ لأن نورك وصلَنا من ذلك المغيث"[١].

---

١ الخزائن الروحانية، المجلد١، البراهين الأحمدية، ص٣٠٥

الدليل العاشر: الأنباء

الدليل العاشر على صدق مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية الذي في الواقع يحتوي على المئات بل الألوف من الأدلة هو أن الله عَزَّ وَجَلَّ أطلعه على غيبه إطلاعا واسعا، الأمر الذي يدل على أنه كان مرسلا من عند الله، إذ إنه تعالى يصرح في القرآن الحكيم: ﴿ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ (الجن: ٢٧-٢٨)

ومعنى "أظهره عليه" أعطاه القدرة والغلبة عليه، فالذي يتشرف بالاطلاع الكثير على الغيوب، ويتلقى وحيا صافيا نقيا كالماء المصفى الذي لا يشوبه كدر، ويحظى بآيات لامعة جلية، ويتنبأ بأمور عظيمة قبل حدوثها، فهو مرسل مبعوث من عند الله، وإنكاره يدفع إلى إنكار القرآن نفسه الذي وضع هذا الأصل، بل إلى إنكار جميع الأنبياء الذين ظلوا يقدمون هذا الدليل على صدقهم. كما جاء في التوراة أن من علامات المفتري أن ما تكلّم به باسم الرب لا يحدث ولا يصر ولا يتحقق.

وحينما نختبر دعوى حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية طبقًا لهذا المبدأ، يتبين لنا صدقه كالشمس في نصف النهار. إن الله عَزَّ وَجَلَّ اختصه بالاطلاع على الغيب بالكثرة والتواتر لدرجة لم نجد نظيره في الأنبياء الأولين ما عدا الرسول ﷺ. بل الحق أن هذه النبوءات قد بلغت من الكثرة بحيث أنها لو وُزّعت لأمكن إثبات صدق العديد من الأنبياء. وأقدم فيما يلي اثني عشر نبأ كمثال:

هذه الأنباء التي تنبأ بها حضرته على عشرات الأنواع؛ منها ما يتعلق بالسياسة ومنها ما يتعلق بالشؤون الاجتماعية ومنها ما يحتوي على التغيرات الجوية ومنها نبوءات دينية وأخرى مرتبطة بالمواهب العقلية والفكرية، وبعضها

كانت تتصل بانتشار النسل وبعضها بانقطاعه. بعضها تحتوي على التغيرات الأرضية وبعضها كانت تتعلق بالعلاقات الدولية بينما الأخرى كانت تشمل صلات الرعية والراعي، وبعضها كانت تشير إلى تقدم جماعته، كما كانت بعضها تومئ إلى هلاك الأعداء، وبعضها كانت تنبئ بالتطورات المقبلة في العالم. وبالجملة إنها كانت متنوعة المقاصد والأغراض التي يحتاج مجرد ذكرها إلى قائمة طويلة.

وأذكر فيما يلي اثني عشر نبأ قد تحقق، وأولها يتعلق بأرض أفغانستان:

النبأ الأول

عن استشهاد الشيخين، عبد اللطيف السيد وعبد الرحمن، رضي الله عنهما وما حدث بعد ذلك

أيها الملك! حفظك الله من مغبة الأخطاء التي لم ترتكبها. إن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام كان قد أُخبر قبل أربعين سنة من عند الله:

"شاتان تُذبحان وكل من عليها فانٍ". والشاة في علم تعبير الرؤيا تعبر بتعبيرين: أولهما، "النساء"، والثاني، المطيع المنقاد من الرعية. وبما أن النساء لا يناسبن الجملة التالية، لأن الذبح لا يختص بهن عادة، وإنما الرجال هم مَن يتعرضون للمنايا وهم أهدافها في الحروب وغيرها. لذلك من الأنسب هنا والأوفق للقرينة أن تعبر الشاتان برجلين من الرعية مطيعَين غاية الطاعة وأنهما رغم براءتهما من كل جريمة أو مخالفة مَلِكٍ وعدم استحقاقهما للقتل سيُقتلان بغير حق. وأنه سيعقب قتلهما الدمار والهلاك العام في تلك البلاد، وأن أُمّ قشعم ستلقي بها رحالها.

إن هذا النبأ وإن لم يصرح ببلد خاص، غير أن عبارته لتدل على أن هذا الحادث سوف لا يحدث داخل المملكة البريطانية بل سيحدث في بلد يتعرض فيه الناس للقتل نتيجة ثورة الحكام وغيظهم وهم طائعون لقوانين الحكومة ومخلصون لها.

وثانيا: إن النبأ ليدل على أن المقتولَين هما من أتباع رجل يدعي بتلقي الوحي السماوي، لأنه إذا لم يكن كذلك لم يكن هناك أي داع لتخصيص النبأ بالقتيلَين اثنين حصرًا.

ثالثا: يتبين من النبأ أن قتلهما سيكون ظلما وجورا ولن يكون بسبب جريمة سياسية.

ورابعا: أن هذا العمل الفظيع سيجر على أهل تلك البلاد ويلا وثبورا عاما.

إن هذه الأمور الأربعة لتجعل هذا النبأ أهم من الأنباء العادية بكثير، وليس لقائل أن يقول: إن النبأ مبهم لأن محله ليس بمحدد، إذ إن اجتماع هذه الأمور الأربعة يزيد النبأ عظمةً لأن مثل هذا الاجتماع لا يمكن أن يحدث عن طريق المصادفة.

لم يتراءى أي أثر من آثار تحقق النبأ حتى بعد عشرين عاما مضت على الوحي، غير أنه لم تكد تنقضي هذه المدة حتى أخذت تتبين الآثار التي أدت إلى تحقق النبأ بصورة مدهشة. اتفق أن أخذ رجل بعض كتب سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إلى أفغانستان وقدمها إلى شيخ جليل من قرية "خوست" سيد عبد اللطيف السيد الذي كان يحظى عند الحكومة بالاحترام والإجلال. وكان من كبار الحكام مَن يخلصون له الحب لأمانته وتقواه. فقرر ذلك الشيخ بعد دراسة هذه الكتب أن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام صادق في دعواه. فبعث إلى حضرته أحد تلاميذه مستزيدا للبحث والتفتيش، وأوصاه بأن يبايع نيابة عنه حضرةَ المسيح الموعود عليه السلام. وكان ذلك التلميذ هو الشيخ عبد الرحمن. فوصل إلى قاديان فبايع حضرته بنفسه وعن الشيخ الجليل عبد اللطيف أيضا. ثم رجع مزودا بكتب المسيح الموعود عليه السلام إلى أفغانستان. وأراد أن يتوجه أولا إلى كابول لكي

يبلغ هذه الدعوة إلى ملك أفغانستان أيضا. وبعد وصوله إلى كابول، أثار عليه بعض من الغوغاء المتسرعين الحقودين الملكَ الأمير عبد الرحمن قائلين إن هذا الشخص مرتد وخارج عن دائرة الإسلام ومستوجب للقتل. فخدعوا الأمير فأصدر ضد الشيخ عبد الرحمن فتوى بقتله، فقتلوه بصورة وحشية بشعة. كان ذلك الشخص يحب ملك أفغانستان أشد الحب، لذلك أحب وآثر أن يبلغ الملك بشرى ظهور المهدي والمسيح الموعود قبل أن يتجه إلى وطنه. فعوضوه عن هذا الحب بأن قتلوه خنقا. لكن حدث كما أخبر الله تعالى بحدوثه قبل عشرين عاما، أن شخصين بريئين من رعايا الملك سيُقتلان ظلما وعدوانا بغير أن يخالفا قانونا حكوميا. فقُتل أحدهما فتحقق شطر من النبأ.

وبعد هذا الحادث بعام أو عامين، خرج الشيخ الجليل عبد اللطيف من وطنه بنية حج بيت الله، وبما أنه كان قد بايع حضرته عليه السلام فأحب أن يتشرف بلقائه في طريقه إلى الحج. فجاء إلى قاديان وعاين هنا أكثر مما استوعبه من خلال مطالعته للكتب سابقًا. فانجذب إلى نور الله بسبب صفاء قلبه انجذابا جعله يؤجل إرادة الحج ويقيم بقاديان. ثم رجع بعد بضعة أشهر إلى وطنه وعزم على أن يخص الملك بحظ من هذه النعمة التي نالها. فكتب بعد أن وصل إلى "خوست" أربع رسائل إلى أربعة من ندماء الملك. وبعد وصول هذه الرسائل إلى كابول، أثار بعض الناس الأمير حبيب الله خان ملك كابول وحملوه بمختلف أنواع الحيل والتهم على أن يطلب الشيخ عبد اللطيف إلى كابول معتقلا. فوصلت هذه الأوامر إلى عامل خوست، فأتى بالشيخ عبد اللطيف إلى كابل فسلمه الأمير إلى مشائخه الذين لم يقروا عليه أية تهمة. غير أن بعض المغرضين الذين كانوا يؤثرون أهواءهم على مصالح الحكومة، هيجوا الأمير قائلين: إذا أطلق سراح هذا الرجل وتأثر به الناس خمدت فيهم جذوة الحماس للجهاد، الأمر الذي سيضر بالحكومة إضرارا بالغا. فانتهى الأمر إلى أن أصدر عليه قرار الرجم، وأصر الأمير قبل تنفيذ الحكم

على أن يتوب الشيخ عبد اللطيف، لكنه لم يرد على ذلك إلا أن قال: إنني متمسك بالإسلام الحق، أفأصبح كافرا بهذه التوبة؟ فلن أتركه أبدا. وقد اخترته بعد تفكير عميق. فلما يئس الحكام من رجوعه إلى رأيهم، حملوه مقيدا مغلولا إلى خارج المدينة ورجموه أمام جمع غفير من الناس.

فذهب هذا المحب والمخلص للملك ضحية لمكائد بعض المغرضين وأصحاب الأهواء الذي خدعوا الأمير بأن حياته خطر عظيم على الحكومة. إن أمثال هؤلاء الأطهار يكونون للبلاد جُنّة تُعصَم بها من المصائب والآفات. إن هؤلاء المتآمرين قالوا للملك: إذا بقي هذا الشخص حيًّا آمنًا خمدت في الناس جذوة الجهاد. ولكنهم لم يخبروه أن الجماعة التي كان ينتمي إليها هذا الشيخ تفرض على أتباعها أن يطيعوا أوامر الحكومة التي يسكنون فيها. وأن نفوذ مثل هذه التعاليم سيؤدي إلى استقرار الأمن واستئصال الفتن وتسوية الخلافات بين طوائف الرعية بأفغانستان حتى تصير الرعايا كلهم متفانين في طاعة الملك، وحتى يفدونه بأنفسهم أيضا. وأيضا لم يخبروه بأن هذه الجماعة التي انضم إليها هذا الشيخ تُعلِّم أتباعها بأن لا يدسوا الدسائس ولا يرتشوا ولا يكذبوا ولا ينافقوا. وهذه الجماعة لا تكتفي بمجرد التكلم بهذه التعليمات بل تفرض على أتباعها التمسك بها، وكذلك لم يخبروه بأن انتشار مثل هذه الأفكار في البلاد سيسبب الاستقرار فيها ويوجهها نحو التقدم والرقي، وأيضا لم يُعلموه أن هذا الشخص إنما ينكر الجهاد الذي هو عبارة عن الاعتداء الفاضح على الأمم الأخرى بدون مبرر وبغير أن تتدخل في المبادئ الإسلامية الأساسية. وهذا النوع من الجهاد هو الذي يسيء إلى الإسلام أيما إساءة، أما الجهاد الحقيقي الذي جاهده النبي ﷺ بنفسه، فلا ينكره هذا الشخص أبدًا كما أنه لا يعارض الحرب التي يضطر إليها شعب للدفاع عن حريته واستقلاله ضد الشعوب المعتدية. بل يعتقد بأن الجهاد لا يجوز ضد أحد إلا إذا تدخل في الدين وحال دون العمل بمبادئه الأساسية،

وذلك لكيلا يكون على الإسلام حجة. وإذا مست الحاجة إلى الحرب لأجل حماية المصالح السياسية صحت هذه الحرب أيضا، ولكن لا تسموها بالجهاد. لأن الانتصار الذي يضحى لأجله بشرف الإسلام شر من الهزيمة التي تضمن صيانة عزته وكرامته.

قصارى القول إن سيد عبد اللطيف قُتل بلا مبرر بعد أن انخدع الأمير بأقاويل الناس الباطلة، وبذلك تحقق الجزء الأول من الوحي "شاتان تُذبحان" بأن رجلَين من هذه الجماعة الوفيين الخاضعينِ للحكومة سيُذبحان رغم طاعتهما وإخلاصهما للملك، وبقي من الوحي الجزء الذي يتعلق بالهلاك والدمار العام الذي يحيط بجميع هذه البلاد بعد هذا الحدث. ولم يلبث أن تحقق هذا الجزء الأخير هو الآخر. فلم يكد يمضي على استشهاد الشيخ عبد اللطيف شهر حتى أحدق بمدينة كابل سيل جارف من وباء الهيضة الرهيبة التي قضت على الكثير من أهلها حتى فزع الناس من هذا العذاب المفاجئ وأخذ الخوف والفزع من قلوبهم كل مأخذ. وأدرك الناس بصورة عامة أن هذا البلاء قد نزل عليهم بسبب قتل السيد المظلوم. كما صرح بذلك رجل محايد هو "السير آي فرانك مارتن" الذي ظل يزاول واجبات رئيس المهندسين بأفغانستان سنين عديدة. وتبين ذلك من شهادته التي سجلها في كتابه:"Under the absolute Ameer" "تحت الأمير مطلق العنان "إن هذا الوباء كان غير مترقب إطلاقا، لأن هذا الوباء نظرا إلى حقائق تاريخية لم يكن متوقعا حدوثه في أفغانستان إلى أربعة أعوام أخرى. فإن هذه الهيضة كانت آية جليلة لله الذي كان قد أخبر مبعوثه عليه السلام قبل ثمان وعشرين سنة. والأمر العجيب أن الله عز وجل -لتعظيم هذا النبأ- كان قد أخبر بذلك الشيخ عبد اللطيف فقال قبل شهادته: "إنني أرى أن قيامة المصائب والآلام ستقوم على أفغانستان بعد استشهادي". وعليه فقد تأثر بهذا الوباء كل بيت من بيوت كابول، كانت لعامة الناس أم لخواصهم وأغنيائهم، حتى فتحت أبواب الهلاك في

البيوت الكبرى المزودة بوسائل التعقيم والوقاية أيضا. اختص الوباء بالبطش بهؤلاء الخواص البارزين الذين ساهموا في رجم الشهيد المرحوم مساهمة فعالة. أصيب به بعضهم بأنفسهم وأهلك به أقرب أقرباء البعض.

باختصار، فإن كلام الله تعالى قد تحقق بعد مدة طويلة تحققا تاما. وإنه تعالى أظهر قوة رسوله بآيات رهيبة، وفتح لأصحاب البصيرة طريق الإيمان. هل من أحد من الناس يجرؤ على الادعاء بمثل هذا النبأ من عنده؟ ومن من بني الإنسان يستطيع أن يدعي بأن كثيرا من الناس سيؤمنون به في حينٍ لم يؤمن به ولا شخص واحد، حتى إن دعوته ستجتاز حدود وطنه وتنتشر في البلاد الأخرى، وأن اثنين من أتباعه في البلاد الخارجية سيُقتلان بغير ذنب أتياه غير إيمانهما به، وأن الكارثة الكبرى ستحدث في تلك البلاد بعد استشهادهما وكأنها قيامة، ويهلك من جراء ذلك ألوف مؤلفة من الناس. فإن كان أحد من بني الإنسان أيضا يقدر على الإخبار بمثل هذه الأخبار فلن يبقى ثمة فارق بين كلام الله سبحانه تعالى وكلام عباده.

ونريد هنا أن نزيل شبهة وهي أن كلمات: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ (الرحمن: ٢٧) تقتضي العموم الشامل لجميع الناس. فهل أهلك بالوباء جميع أهل أفغانستان؟ بل أهلك بعضهم وبقي كثيرون. فالحق أن كلمة ﴿كُلُّ﴾ قد تطلق على العموم وأحيانا تستعمل بمعنى البعض، وليس من اللازم أن تكون هذه الكلمة دوما للعموم، كما وردت في القرآن الكريم: ﴿كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ (النحل: ٧٠) مع أنه لا تمص كل نحلة جميع الثمرات. فمعناها إذن كُلي من بعض الثمرات. وكذلك وردت هذه الكلمة في قصة ملكة سبأ، فقال تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (النمل: ٢٤) مع أنها كانت تملك منطقة صغيرة جدا من الدنيا. فمعنى الآية أنها كانت قد وُهبت بعض نعم الله تعالى، غير أنه من الضروري أن تحوي هذه الكلمة العموم بصورة ما بحيث تعم قسما كبيرًا يتعلق به. وكلا الأمرين متحقق في وباء الهيضة التي انتشرت في كابول وما حولها بعد

استشهاد الشيخ المرحوم، حتى إن كل نفس هلعت من شدة وقع هذه المصيبة وأُهلك بها عدد كبير من الناس. حتى اضطر مؤلف إنجليزي -ما كان يعلم عن هذا النبأ شيئا- إلى أن يذكر في كتابه هذا الوباء المبيد بصورة خاصة بارزة.

والاعتراض الثاني الذي يمكن أن يوجه ضد هذا النبأ هو أن النبأ يحتوي على كلمة "تُذبحان" لكن أحد القتيلين قتل خنقا بينما الآخر لقي حتفه بالرجم، فلم تتحقق النبوءة بأن رجلين سيذبحان. هذا الاعتراض أيضا ناشئ عن قلة التدبر وضآلة المعرفة، لأن "الذبح" في اللغة يطلق على الهلاك أيضا كيفما كان. وجاء هذا الاستخدام في القرآن أيضا في عدة مواضع. كما ورد في قصة موسى عليه السلام: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ (البقرة: ٥٠) مع أن التاريخ يشهد على أن أتباع فرعون كانوا لا يذبحون البنين، بل إنهم أولا أمروا القوابل أن يهلكن أبناءهم لكنهن لما ترحمن على الصغار، فأمروا بإلقائهم في النهر. (الخروج: الإصحاح ١، الفقرة ٢٢. وأعمال الرسل: الإصحاح ٧، الفقرة ١٩. والتلمود)

وفي تاج العروس: الذبح: الهلاك، فلا يصح القول بأن عبد اللطيف رُجم ولم يُذبح، إذ أن الذبح يعني الهلاك بأي طريق كان.

النبأ الثاني

ثورة إيران

النبأ الثاني الذي أريد أن أذكره من نبوءات المسيح الموعود عليه السلام الكثيرة له علاقة مع حكومة إيران. لقد تلقّى سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في ١٥ يناير ١٩٠٦م الوحي القائل بالفارسية: "تزلزل در ايوان كسرى افتاد".[١] أي حدث

[١] التذكرة ص٥٩١ الطبعة الرابعة.

زلزال عظيم في قصر كسرى. نُشر هذا الوحي كالمعتاد في مجلات الجماعة وصُحفِها الأردية والإنجليزية. حينما نشر هذا الوحي كانت حكومة ملك إيران مصونة ومحفوظة من كل خطر لأن الملك في ١٩٠٥م كان قد قبل مطالبات الشعب الإيراني وأعلن بتكوين مجلس الأمة (البرلمان). وكان الشعب الإيراني عندئذ يحتفل بهذه المناسبة السعيدة احتفالا عظيما. وكان الملك مظفر الدين شاه يتمتع بقبول عام عند الناس. وكل إيراني كان مسرورا بأنه قد منح الشعب حقوقه النيابية بغير سفك الدماء. وإن سائر العالم كان يتطلع في شوق ورجاء إلى هذه التجربة التي كانت جديدة لسائر البلاد الآسيوية ما عدا اليابان. وكانت هذه الشعوب المتطلعة تجهل العواقب الوخيمة التي لا بد من أن تنشأ نتيجة لمثل هذه الحكومة الائتلافية في شعب قليل الثقافة عديم الخبرة. وكان نشر هذا الوحي في مثل هذه الظروف مدهشا جدا عند الناس. لكن الأعمال المستحيلة عند الإنسان أسهل ما تكون عند الله عز وعلا. إن الشعب الإيراني كان مسرورا بنيل حريته واستقلاله وكان الملك معجبا بما يتمتع به من القبول العام. فإذا بالملك مات في ١٩٠٧م بعد أن عمر خمسا وخمسين عاما. وتبوأ العرش بعده ابنه محمد علي شاه. إن محمد علي شاه، وإن كان قد أعلن في مستهل عهده بالتمسك باستحكام الحكومة ودعم النظام النيابي، لكن بعد أيام قلائل أخذت تتبين تلك الآثار التي أخبر بها حضرة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. وجعلت بوادر الفتن والقلاقل تتوضح بعد عام مضى على نشر الوحي. وبدأت الخلافات بين الملك ومجلس الأمة. بدأ الملك يماطل ويتلكأ في قبول مطالبات المجلس، وأخيرا اضطر بسبب ضغط المجلس عليه على إخراج العناصر المعارضة لرأي المجلس. غير أن الملك عزم في نفس الوقت على مغادرة طهران. وبينما كان الملك يغادر طهران إلى جهة أخرى، بدت الخلافات الشديدة بين الكاسكين -الذين كانوا يؤدون

خدمة حرس الملك- وبين العناصر المناصرة للحركة الشعبية. وتحقق قسم من الوحي بأن نسف بناء البرلمان الإيراني بالمدافع. وأزاح الملك مجلس الأمة. فأثار هذا العمل الملكي تيارا قويا من الثورة العامة ضد الحكومة واستولت العناصر الجمهورية علنا على حكومة مناطق لارستان، لابدجان، أكبر آباد، بوشهر وشيراز وسائر المناطق الجنوبية من إيران، بعد أن عزلوا الحكام المحليين. وبدت الحرب الأهلية جهارا، فرأى الملك أن الأوضاع لدقيقة وعصيبة جدا. فأخذ يبعث أمتعته وكنوزه إلى روسيا واستنفد جهوده لسحق الثورة. لكن الطين زاد بلة واستفحلت الفتن حتى سادت الثورة مناطق أصفهان في يناير ١٩٠٩م. والرؤساء البختياريون أيضا انضموا إلى الثوار، فهزموا الجيش الملكي هزيمة نكراء. فعاد الملك يجدد عهده بإعادة الحكم النيابي، وردد الإعلانات المتكررة بأنه لن يسمح بتأسيس حكومة استبدادية، لكن من من بني الإنسان يقدر على تأخير مواعيد الله تعالى!! فأخذ الفزع يشتد في قصور كسرى، وأخيرًا اضطر الملك ليرى ذلك اليوم الذي خذله فيه الجيش الكاسكي الوفي الذي كان يعتز به وانضموا إلى الثوار. لجأ الملك مع حرمه، هاربا من قصره، إلى السفارة الروسية في ١٥ يوليو ١٩٠٩. فتحقق الوحي السماوي الذي تلقاه حضرة المسيح الموعود عليه السلام بعد تمام عامين ونصف مثيرا العبر. فانتهى النظام الاستبدادي بإيران وبدأت التجربة الجديدة من النظام الجمهوري الذي لا يعرف عواقبه إلا الله. إن سُحُب الفزع والخوف والاضطراب واليأس التي كانت تغشى القصر في الشهرين يونيو ويوليو لا يدرك خطورتها إلا الذين جربوا مثل هذه الحوادث أو الذين يوهبون من الله قوة متخيلة غير عادية. على كل حال إن هذه الآية من أعظم الأدلة على صدق حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام عند ذوي البصيرة، لكن ما أقل من يستفيد.

النبأ الثالث

عن القسيس آتهم الذي تمت به الحجة على العالم المسيحي عامة وعلى نصارى الهند بصورة خاصة

والمثال الثالث للأنباء التي أبينها هو من تلك الأمور الغيبية التي نشرها حضرة المسيح الموعود عليه السلام ضد المسيحيين المعادين للإسلام لكي تتم الحجة على العالم المسيحي.. أيها الملك: لا أدري إن كنت تعرف أم لا أن دعاة المسيحية ومبشريها قد اعتادوا الهجمات الفظيعة على شخص الرسول ﷺ مستندين إلى عقائد المسلمين الخاطئة ومستدلين بالروايات الملفقة من قبلهم، غير أن قسوة تلك الهجمات كانت قد بلغت من الشدة قبل أربعين سنة ما لا نجد مثيله اليوم، إن حضرة المسيح الموعود عليه السلام رد على هجومهم البذيء رداً عنيفاً مفحماً حتى إن ردوده القوية جعلتهم يتراجعون منهزمين، فلا يجرؤون اليوم على مثل ذلك الأسلوب الشائن الذي كانوا قد اختاروه في تلك الأيام، وكان ممن اعتاد هذا الأسلوب النابي المخجل القسيس عبد الله آتهم، وحدث مرة أن اتفق المسلمون والمسيحيون على عقد مناظرة بينه وبين حضرة المسيح الموعود عليه السلام، وأتى عبد الله آتهم خلال المناظرة بحيل متنوعة، لكن لم تجده أي نفع، ولم يلق في النهاية إلا الهزيمة المخزية بين يدي المسلمين والمسيحيين كذلك، وبما أن ذكر المعجزات جرى خلال المناظرة أيضاً فأخبر حضرته من الله:

"الفريق الذي يتخذ الكذب عن عمد ويهجر الإله الحق سيُلقى به في الهاوية خلال خمسة عشر شهرا - بحساب شهر مقابل كل يوم من أيام الحوار هذه - وسوف يواجه ذلةً متناهية إذا لم يرجع إلى الحق."

ولما كتب حضرته جوابه الأخير في هذه المناظرة الكتابية، ضمنه هذا النبأ أيضاً، وصرح بأنه إذا تحقق هذا النبأ، تبين جلياً أن رسولنا الأعظم ﷺ -الذي وصفته في كتابك "أندرونه بايبل"، والعياذ بالله، بأنه دجال- كان رسول الله الحق.

هذا النبأ كان يتضمن أمرين: أولاً إن عبد الله آتهم الذي يتخذ المسيح عليه السلام إلها سيلقى في الهاوية خلال خمسة عشر شهراً لأجل عناده وتعصبه وبسبب بذاءته. وثانياً أنه إن رجع إلى الحق وتندم على فعله وأدرك خطأه، تخلص من العذاب الموعود، فلو لم يرجع هذا الفريق إلى الحق وأصر على عناده، ولم يهلك أيضاً، لتبين كذب النبأ، فلئن رجع، وهلك في خمسة عشر شهراً، ظهر كذب النبأ أيضاً، لأن النبأ كان يبين أن عمر آتهم عند الله كان أكثر من خمسة عشر شهراً، ولن يموت خلال هذه المدة إلا إذا أصر على عناده، ويتبين بأدنى تدبر في النبأ أن الأمر الثاني للنبأ أجل وأعظم من الأمر الأول، لأن الأمر الأول يُصرح بأن آتهم سيموت خلال خمسة عشر شهراً إذا أصر على عناده. إن إصرار آتهم على تعنده كان طبيعياً، لأنه كان من كبار علماء المسيحيين، وكان قد ألف كتباً عديدة في تصديق المسيحية وضد الإسلام، كان مبجلاً من الناحية الدنيوية أيضاً، لأنه كان يتمتع بحظوة ملحوظة عند كبار الإنجليز، وأضف إلى ذلك أنه وحده -دون سائر القساوسة- انتخب ممثلاً للمسيحية في هذه المناظرة الهامة وأن كبار القساوسة كانوا بصفة مساعدين له أثناءها، فإن مثل هذا الشخص لا بد من أن يُعدّ من الموقنين يقينًا تامًّا بالمسيحية وأنه لن ينكر ألوهية المسيح ولو للحظة بعد تأييده القوي لها، ولاسيما بعد أن اضطلع بواجب أعظمِ مناظرٍ وممثلٍ لها، ولن يدع نفسه يخيل إليها أن الإسلام يملك قوة خارقة من الإعجاز، وإن هلاكه خلال خمسة عشر شهراً وإن كان في ذاته أمراً عظيماً، غير أنه من الممكن أن يخيل إلى أحد أن رجلاً كان قد بلغ خمساً وستين سنة، فلعل أجله

كان قد حان. أما الأمر الثاني من النبأ فكان يتضمن جانبين مهمّين، وهما: الأول أنه إذا تاب ورجع فلن يلقى في الهاوية خلال المدة المحددة، فإن أول وجهة لهذه الصورة للنبأ وهو أن رجوع آتهم عن العناد أعظم وأهم من تمسكه به، لأن موت الإنسان يمكن أن يحدث بيد أحد من الناس أيضاً، لكن إبقاء أحد خمسة عشر شهراً لا يمكن لأحد، فلو تحقق الوجه الثاني من النبأ، لكان أعظم وأروع من الوجه الأول، فالله تعالى الذي لا يتعذر عليه شيء اختار الأمر الثاني الذي كان أصعب من الأول، أي إنه سلط على "آتهم" هيبته، فظهر الأثر الأول للنبأ أثناء المناظرة، إذ تبرأ آتهم أمام أعين الناس من وصف الرسول- والعياذ بالله- بالدجال، واضعاً يديه على أذنيه. بعد نشر هذا النبأ كانت أنظار أهل الهند تتطلع لهذا النبأ وتترقب نتائجه، غير أن الله عز وعلا لم يدع الناس ينتظرون خمسة عشر شهراً، بل إنه بدأ يحدث تغيراً عظيماً في أحوال آتهم منذ نشر هذا النبأ، حتى أنه امتنع عن تأليف الكتب والنشرات لتأييد المسيحية. إن امتناع أشهر المبشرين المسيحيين وأعظم مؤلفيها وكتّابهم لم يكن أمراً عادياً، بل كان دليلاً بينا على أنه أخذ يشعر في قرارة نفسه أن الإسلام هو الدين الحق وأنه أخطأ في مخالفته ومقاومته، لكن آتهم لم يكتف بالسكوت، بل إنه في الواقع هوى في هاوية روحانية، حتى إن الشعور بالخطأ أخذ يشتد به ويزداد تعمقاً ورسوخاً لدرجة جعل يتخيل ويشاهد أغرب المناظر الرهيبة، كما صرح بذلك لذويه وأحبائه، أحياناً كان يرى الأفاعي تهجم عليه، وأخرى يتخيل أن الكلاب تتبعه لتعضه، كما كان يخيل إليه مراراً أن رجالاً أشداء مسلحين بالرماح يهجمون عليه، مع أنه لا يمكن تدريب الأفاعي ولا الكلاب على الهجوم على آتهم بصورة خاصة، ولا السلاح بمسموح في الهند على الإطلاق لكي يهجم به الناس عليه علانية في الشوارع، والحق أنها كانت هاوية مضطربة في نفسه يمدها

الشعور الشديد بالندامة والخجل على ما صدر منه من تأييد المسيحية وتكذيب الإسلام، وهذه الهاوية كانت بدلا من تلك الهاوية الكبرى التي كانت قد أُعِدّت له جزاء عناده وتمرده، فلو ظل مؤمنًا بالمسيحية كسابق إيمانه ومصرًّا على تكذيب الإسلام، لما أمكن أن ينجو من تلك الهاية الكبرى ويتعرض لجهنم الوساوس والمخاطر فحسب التي كان يراها حتى عدّ الدواب والحيوانات الأخرى من أعدائه، وهجمت عليه الأفاعي والكلاب الخيالية، وإنه لو لم ير الخالق ﷻ ضده لما رأى المخلوق ثائراً عليه، ولما امتنع من مساعدة المسيحية بقلمه ولسانه امتناعاً نهائياً، وتشرد في مدن مختلفة.

وبالجملة فإن ما أخبره الله تعالى في نبئه بالناحية الثانية من الرجوع إلى الحق، والتي كانت أصعب من الأولى، تحققت بصورة غريبة، وأخذت الشكوك تتطرق إلى قلب آتهم في ألوهية المسيح وترسخ صدق الإسلام في قلبه، فعندئذ تم القسم الثاني من النبأ، أي إن آتهم على الرغم من أنه كان قد اقترب من الموت بسبب الذعر الذي كان يسود قلبه وُهب بقاء خمسة عشر شهراً، لكي يتم قول الله تعالى فيه: ولئن رجع وتاب عصم من الموت.

هذا النبأ كان عظيماً جداً، وكان يكفي لإيضاح الحق لكل ذي عينين، لكنه لو تم تحققه دون ضجة من الأعداء، لقال الناس أن آتهم لم يرجع ولم يتب، وأن الادعاء برجوعه اختلاق ليس إلا، فلمزيد من الإيضاح لهذا النبأ إن الله تعالى سخر بعض المعارضين من المسيحيين والمسلمين الذين أثاروا ضجة لصالح مسيحي أن النبأ ليس إلا كذباً وافتراءً، وأن آتهم لم يهلك. فرد عليهم حضرته بأن النبأ كان ذا وجهين، والوجه الثاني منه تحقق بصراحة، لكنهم أصروا على الإنكار، وقالوا إن آتهم لم يُظهر الرجوع بتاتاً، فطالبه حضرة المؤسس عليه السلام بأنه إذا كان يظن أن أنصاره من المسيحيين والمسلمين صادقين

فعليه أن يعلن مقسما بالله أنه لم يخطر بباله، خلال هذه المدة، ما يصدّق الإسلام ويكذب المسيحية، لكن آتهم رفض بحلف مثل هذا القَسم، وأعلن إعلاناً بدون القسم أنه لا يزال مصدقاً للمسيحية، لكن الله الذي له تصرفٌ مطلقٌ في القلوب والأذهان، جعل قلمه يخط ويقر ضمن هذه الإعلانات بأنه لا يؤمن بألوهية المسيح مثل سائر المسيحيين، وبحسب كلمات الإلهام كما سبق أن ذكرنا إن النبأ كان يصرح بأن الذي يتخذ عبداً ضعيفاً إلها سيلقى في الهاوية، وإن آتهم نفسه اعترف وأقر أنه لا يعتقد بألوهية المسيح لكن رغم ذلك أصر عليه حضرته بأن يعلن مقسماً بالله أنه لم يتردد في صدق دينه، ولم يشعر في نفسه أي شعور بصدق الإسلام وأنه لا يزال يتمسك بآرائه ضد الإسلام، فإن أقسم مثل هذا القسم ولم يأخذه عذاب غليظ خلال سنة، فإننا مفترون إذن. وصرح حضرته بأن آتهم إن أقدم على هذا القسم فله ألف روبية كجائزة، فأجاب عليه آتهم بأن القسم لا يجوز في دينه، مع أننا نرى في الإنجيل كثيراً من أقسام الحواريين وأحلافهم، وأن الدول المسيحية لا تولي أحداً منصباً هاماً إلا إذا أدى حلفاً خاصاً، حتى أن الملك أيضاً يحلف، والقضاة يحلفون، وأعضاء البرلمان يحلفون وأصحاب المناصب في الدوائر الحكومية العامة والجيش أيضاً يحلفون، والشهود في المحاكم يحلفون، بل إن المحاكم المسيحية تستحلف المسيحيين خاصة بدون سائر الناس، وتفرض على الشاهد أن يحلف بأنه يشهد أمام الله الخبير البصير، فإذا كان الحلف عند المسيحيين ميزة خاصة للمسيحيين، كان قول آتهم: "إن الحلف لا يجوز في دينه"، باطلاً وتهرّبا من هذا القسم، لأنه سبق أن شاهد تلك المناظر الرهيبة التي كانت تحتم عليه بأنه لو أقسم لكان مصيره الهلاك، وتنكشف حقيقة رفضه انكشافاً لا غبار عليه من الشك، إذ رأينا أنه ما من مسيحي يستحق منصباً دينياً إلا إذا أدى حلفاً،

ويفرض في فرقة البروتستانت التي ينتمي إليها آتهم على كل قسيس أن يحلف حلفين، أحدهما بوفائه وطاعته للكنيسة وآخر بالطاعة للحكومة. ولما تعرض آتهم لهذه الحقائق كلها، لم ينبس ببنت شفة ولزم السكوت، ومن جهة أخرى إن حضرة مؤسس الأحمدية عليه السلام ضاعف الجائزة على القسم حتى بلغت أربعة آلاف روبية، وطالبه أيضاً أن يقسم ويأخذ هذه الجائزة دون شرط مضي سنة، لكن آتهم- الذي كان يعرف يقيناً أنه يكتم باطنه عن قومه ويخفي ما ذاق خلال هذه المدة من مرارة- لم يكن ليقسم، أي إنه لم يقسم، ورغم الإصرار لم يجرؤ على ذلك أبداً، وأمضى بقية أيامه ساكتاً مبهوتاً وامتنع عن التأليف والكتابة ضد الإسلام وانتهى عن التبشير بالمسيحية نهائياً، فتبين صدق النبأ عياناً، وكأن الله تعالى جعل عدواً لدوداً للإسلام يتوب من عقيدة ألوهية المسيح ويقر بذلك كتابياً، وأرغمه على تصديق ما كان يختلج به صدره عن صدق الإسلام، وذلك بما اختار من الاتجاه على مطالبته بالقسم. (مع أنه كان قد حاول أثناء المناظرة في إحدى إجاباته الكتابية إثبات ألوهية المسيح ووجود الصفات الإلهية في ذاته).

إن هذا النبأ لآية عظمى تزيد كل ذي فطرة صحيحة إيماناً تتجلى فيه عظمة الله وقدرته تجلياً رائعاً، بجعل رجل هو من أعداء الإسلام وأعظم شخصية من شخصيات أحد الأديان وأبرزها، الذي قدِّم كمناظر ممثل عن دينه ضد الأديان الأخرى، والذي أمضى طوال عمره في تأييد دينه ومخالفة الأديان الأخرى، أجل، جعل مثل هذا الشخص يشك في دينه ويدرك صدق دين آخر، ويرى مناظر خارقة هائلة، وإبقاءه آمناً خمسة عشر شهراً لتغير عظيم حدث في نفسه طبق النبأ.. كل أولئك، وبالله العظيم، خارجة عن نطاق القوة البشرية.

النبأ الرابع

عن "دوئي" المتنبئ الأمريكي الذي صار هلاكه حجة على المسيحيين عامة وعلى أهل أمريكا خاصة

والآن أسجل نبأ تنبأ به حضرته إتماماً للحجة على المسيحيين، غير أنه كان يهدف به إلى إقامة الحجة على الشعوب الغربية. إن "ألكسندر دوئي" كان رجلا ذائع الصيت بأمريكا، وكان وطنه الأصلي "أستراليا" التي هاجر منها إلى أمريكا، وأخذ يلقي المواعظ الدينية في عام ١٨٩٢م وما لبث أن أقبل عليه الناس لأجل ادعائه بشفاء المرضى بدون دواء، وادعى في عام ١٩٠١م أنه جاء كإيليا قبل بعثة المسيح الثانية ليمهد له طريق الظهور. وبما أن المتدينين كانوا ينتظرون ظهور المسيح بفارغ الصبر بعد أن شاهدوا آثار ظهوره واضحة جلية، تقدمت حركته تقدماً ملحوظاً، فاشترى قطعة من أرض، وبنى عليها مدينة باسم "صهيون" وأعلن أن المسيح سينزل بهذه المدينة، فاستبق الأغنياء لشراء الأراضي هناك وبنوا قصوراً شاهقة بأثمان خيالية باهظة، لكي يظفروا قبل الجميع برؤية المسيح النازل، وكان "دوئي" يعيش بهذه البلدة كملك من الملوك. سرعان ما تضاعف عدد أتباعه حتى أربى على مائة ألف، وانتشر دعاته في جميع البلاد المسيحية، وكان هذا الشخص يعادي الإسلام أشد العداء، وكان لا يزال يتفحش بالكلام البذيء ضد الإسلام. نشر في ١٩٠٢م إعلاناً عاماً، أن المسلمين إذا لم يتنصروا، سيكون مصيرهم الهلاك والدمار الشامل، فبلغ حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه الصلاة والسلام هذا الخبر، فما لبث عليه السلام أن نشر رداً على هذا الإعلان، وضمنه فضائل الإسلام، وقال إنه لا حاجة لإهلاك الملايين لإظهار صدق المسيحية، إذ إني أنا المسيح الموعود من عند الله، فبارزني بالمباهلة، وبها سيتبين الصدق من الكذب،

وستساعد الناس على الاهتداء إلى الحق، نشر حضرته النشرة في سبتمبر ١٩٠٢م واستمر نشرها في أوروبا وأمريكا من ديسمبر ١٩٠٢ إلى أواخر ١٩٠٣م بكثرة حتى تناولتها معظم الصحف الأوروبية والأمريكية وكتبت التعليقات عليها، وقد بعثت قرابة أربعين صحيفة أعدادَها الخاصة إلى قاديان أيضاً. إن نشر هذا الإعلان في الصحف بهذه الكثرة إن دل على شيء فإنما يدل على أنه لا بد من أن يكون قد اطلع عليها مليونان ونصف مليون شخص على الأقل.

إن "دوئي" لم يرد على ذلك، غير أنه جعل يدعو على الإسلام، وبدأ يشن هجمات عنيفة، حتى نشر في ١٤ فبراير ١٩٠٣ بصحيفته الخاصة ما تعريبه: أدعو الله أن يأتي يوم يُدمَّرُ الإسلام فيه تدميراً، اللهم آمين، اللهم دمر الإسلام." ثم نشر في ٥ أغسطس ١٩٠٣م: إن "صهيون" ستقضِيَن على هذه الوصمة الشنعاء على وجه الإنسانية (أي الإسلام) - والعياذ بالله.

ولما رأى حضرته عليه السلام أن دوئي لم يعد إلى صوابه ولم يكفّ عن غيه، نشر إعلاناً آخر في ١٩٠٣م باسم "الأنباء عن مصير دوئي و "بيغوت" Piggot. وسجل حضرته في هذه النشرة: أن الله عز وعلا بعثني اليوم لتشييد بناء توحيده واستئصال شأفة الشرك، ثم أضاف قائلاً إن الله عز وجل قد وهبني آية بينة لأمريكا وهي أن "دوئي" إن بارزني بالمباهلة وواجهني بالصراحة أو حتى بالإشارة، ف "إنه بلا مراء -على مرأى مني- لاقٍ حتفه ومفارق هذه الدنيا متحسراً متألماً"، وأضاف حضرته قائلاً: كنت قد دعوته للمباهلة من قبل، لكنه لم يجب دعوتي حتى اليوم، لذلك أمهله منذ اليوم سبعة أشهر للجواب.

ثم كتب حضرته: "اعلموا أن آفة كبرى ستنزل على صهيونه." وفي الأخير إن حضرته سأل الله عز وجل أن يحكم في أمر"بيغوت" و "دوئي" حكماً عاجلاً بإظهار كذبهما على الناس، إن هذه النشرة أيضاً نشرت في البلاد الغربية بكثرة، وإن صحف

أوروبا وأمريكا مثل (Herald England،Glassgow) و(New York Commercial Adviser) وغيرها نشرت ملخصاتها، واطلع الملايين على موضوعها.

حينما نشرت هذه النشرة من قبل حضرته ، كان كوكب دوئي في أعلى أبراجه، وكان أتباعه يتضاعفون يوماً فيوماً، وكان هؤلاء الناس أثرياء إلى حد أنهم كانوا يقدمون لدوئي في مستهل كل سنة هدايا تعادل ثلاثة ملايين روبية، وكانت له مصانع عديدة تشتغل ليل نهار، وكان يملك ما يساوي ستين مليوناً من الروبيات، وكان عنده من العمال والخدم ما لا نجد مثيلهم إلا عند كبار الملوك، وكان يتمتع بصحة جيدة، حتى إنه كان يعدها من إحدى معجزاته، وكان يزعم أنه يستطيع أن يشفي الناس بإذنه، وبالجملة إنّ حظه من المال والصحة والأتباع والسلطان في جميع هذه الأمور الأربعة كان وفيراً.

سأل الناس دوئي، لماذا لا يرد على النشرة التي نشرها حضرة المسيح الموعود ؟ فرد على الناس قائلاً: "يسألونني لماذا لا أرد على هذه الأمور، أجل يطلبون مني الجواب، أتظنون أنني سأكلف نفسي بالرد على البعوض والبراغيث والذباب؟ إني إن أردت أن أدوسها بقدمي، لسحقتُها في لحظة واحدة، لكنني أمهلها لكي تبتعد عني وتعيش بضعة أيام أخرى." ما أجهل الإنسان في بعض الأحايين. إن دوئي قد قبل المبارزة ضمنيًّا على الرغم من رفضه لها بدايةً، لكنه لم يدر أن حضرته عليه الصلاة والسلام كان قد أعلن أن دوئي سيهلك حتماً خلال حياتي إن قبل مبارزتي ولو بالإشارة. إنه وقف بنفسه موقف المبارزة إذ ادعى أنه لو أراد أن يدوس الديدان الصغار برجله لفعل، واستنزل عذاب الله على نفسه.

لكن غيه وإباءه لم يبلغ هذا المدى فحسب بل إنه بعد أيام ذَكَر حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وقال عنه: "هذا المسيح المحمدي الأحمق"، وكتب أيضاً أنه "إذا لم أكن أنا نبيًّا في هذا الزمان فليس هناك نبي". هذا وإنه واجه حضرته في كانون الأول ١٩٠٣م علناً، وتحداه علنا، وكتب في صحيفته "إن ملكاً

من الملائكة أخبرني أني سأغلب أعدائي" فكأنه بهذه الكلمات تنبأ بموت حضرة المسيح الموعود عليه السلام. إن هذه المبارزة التي كانت قد بدأت بالإشارات تحولت شيئاً فشيئاً إلى المبارزة الصريحة، وجاءت بثمارها عاجلا. وبما أنه قد أقام نفسه مقابل حضرته عليه السلام فقد ترك حضرته الكتابة ضده وأخذ ينتظر حكم الله طبق ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ (السجدة: ٣١). وأخيراً؛ إن الله بطيء في البطش، لكنه إذا بطش بأحد فإن بطشه لأليم شديد، أجل هذا الإله المقتدر مد إليه يده القوية وعطل رجليه اللتين كان يريد أن يدوس بهما المسيح المحمدي (عليه السلام) فلم يعد قادراً على أن يضع هاتين الرجلين على الأرض، فضلاً عن أن يدوس بهما المسيح الموعود عليه السلام، أي أن غضب الله نزل عليه بصورة الشلل فتحسّن منه بعد أيام، لكن عاوده المرض بعد شهرين بأشد من الأول، فمزق قواه المتبقية أشد التمزيق، ولما أصبح مرضه عضالاً، سلم أعماله إلى نوابه، وانتقل بنفسه إلى جزيرة يصلح جوها لتخفيف الشلل، لكن غَضَبَ الله عز وعلا لم يفارقه هناك أيضاً، وأراد الله عز وجل أن يحوله إلى دودة محقرة كما كان قد وُصف المسيح المحمدي عليه السلام بهذه الصفة، ويذله ويهينه بذات الممتلكات الكبرى التي جعلته يتباهى بها ويزدهي، فحدث بعد رحلته إلى الجزيرة أن ارتاب أتباعه في دعاويه، وقالوا إن هذا الذي كان يدعي بشفاء الآخرين لا بالدعاء بل بقوته الروحية، كيف أصيب بهذا المرض، وفتشوا في غرفه الخاصة التي كانت محظورة على الآخرين، فوجدوا فيها زجاجات الخمر، فشهدت زوجه وابنه أنه كان يفرط من شرب الخمر في خلوته، مع أنه كان ينهى أتباعه عنها نهياً شديداً، ولا يسمح لهم بشيء مسكر حتى كان يمنعهم من التدخين، وكذلك أقرت زوجه بأنها كانت وفية له حتى في أيام فقره، لكنني الآن أقول مع الأسف الشديد، أنه ابتدع بحكم تعدد الزوجات لا لشيء إلا لأنه كان حريصاً على الزواج بعجوز غنية، وذلك لأنه كان يريد أن يحقق أهواءه النفسانية بزواج تلك العجوز فعرضت زوجته على الناس تلك الرسائل الغرامية التي

كتبتها تلك العجوز كجواب على رسائل دوئي، فاشتدت ثورة الناس عليه، فنظروا في حساب الأموال الجماعية، فتبينوا أنه خان الأمانة وغصب منها خمسة ملايين، وأسفر البحث عن أنه كان قد قدم لفتيات المدينة الفاتنات هدايا بمئات الألوف، فأرسلت إليه جماعته حينئذ برقية بكلمات تالية:

إن جميع أتباعك يرونك مجرماً بالتبذير والرياء والافتراء والمبالغات وسلب أموال الناس واستغلالها غير المشروع، والاعتداء على حقوق الناس وغصبها، فعليه فإنك تعزل من منصبك.

إن دوئي لم يستطع أن يكذب هذه التهم وفي نهاية المطاف أعرض عنه جميع أتباعه، إنه حاول أن يستميلهم مرة أخرى، لكن ما استقبله على المحطة إلا بضعة أشخاص ولم يهتم بكلامه أحد، وأخيراً إنه توجّه إلى المحاكم، لكنه رجع منها بخفي حنين، ولم يتمكن من الاستيلاء على الأموال الجماعية، إلا أنها أجرت له راتباً قليلاً يقتات به، وبلغت به الشقاوة والتعاسة إلى أنه كان يُحمَل من مكان إلى آخر بأيدي خدمه الزنج، وكان يتذوق أنواع الآلام والمرارة، حتى أشار عليه بالتداوي بعض أحبابه الذين كانوا لا يزالون يقابلونه، لكنه ظل يرفض العلاج، وذلك خوفًا من اتهام الناس لأنه كان ينهى الناس عن العلاج ويتعالج بنفسه، وأخيراً حينما لم يبق معه من أكثر من مائة ألف إلا مائتان وخابت آماله في المحاكم أيضاً، واشتدت عليه وطأة المرض، صعب عليه أن يتحمل هذه الآلام الممضة فداهمه الجنون، وحدث في بعض الأيام أن جاءه بعض أصحابه لسماع وعظه فرأوا جسده مغطّى بالضمادات، فقال لهم: إن اسمه "جيري" وإنه ظل يقاتل الشيطان طوال الليل، وأن أحد قواده قد قتل اثناء هذا القتال وإنه بنفسه أصيب بجراح، فأيقن من حضر من أصحابه بأنه قد أصيب بالجنون، فأعرضوا عنه وخذلوه، وتمت كلمات حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية: "إنه سيفارق هذه الدنيا أمام عيني هاتين متحسراً متألماً أشد التألم." وذلك في ٨ مارس ١٩٠٧م حينما هلك

دوئي ملوماً محسوراً، ولم يحضر موته إلا أربعة من خدمه، وكانت جُلّ بضاعته المتروكة ما يعادل حوالي ثلاثين روبية فقط.

أيها الملك، هل هناك من موت أخزى وآلم من الذي ذاقه دوئي، وإنه لعبرة وآية بينة لأهل الغرب، كما اعترفت عدة صحف بأن نبأ حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية قد تحقق تماماً، وإنها اضطرت لإقرار هذه الحقيقة اضطراراً، وإليكم أسماء بعض هذه الصحف: "دون ول غازيت" الأمريكية، تناولت هذا الحادث الهام بالذكر وقالت ما تعريبه: "إن افتخر (حضرة) أحمد وأتباعه بتحقق هذا النبأ قبل بضعة أشهر تحققاً لا غبار عليه، فلا لوم عليهم." ٧ يونيو ١٩٠٧م.

وكذلك كتبت الجريدة الأمريكية "Truth Seeker":

"إن الظروف والأحداث بظاهرها كانت تعاكس البقاء الطويل لصاحب التحدي، لكنه خرج منتصراً ظافراً" أي إن حضرة المؤسس عليه السلام كان أكبر من دوئي سناً، وكان هو شاباً بالنسبة إلى حضرته.

قالت الصحيفة الأمريكية "هيرالد" الصادرة في بوسطن (٢٣ يونيو ١٩٠٧):

إن صيت النبي الهندي قد بلغ منتهى غاياته بعد موت "دوئي"، أوَليس من الحق أنه تنبأ بموته وأعلن أنه سيذوق موتاً مريراً مخزياً خلال حياته، إن دوئي كان قد أتم خمسة وستين عاماً، بينما كان صاحب النبأ قد بلغ خمسة وسبعين".

ويتبين من هذه المقتطفات أن وقع هذا النبأ كان أقوى ما يكون في الأوساط الصحفية من المسيحية بل في الملحدين أيضاً، وكان قد بلغ بهم التأثر بنتائج هذا النبأ المدهش إلى أنهم لم يأبوا الصراحة بعظمته في الصحف، ومن المؤكد أن هذه الآية إذا عرضت على أهل الغرب بقوة وتحد، فلن يستطيعوا أبداً، مع شهادة عشرات النصارى الصحفيين أنفسهم، أن ينكروا تحقق هذا النبأ العظيم، بل سيضطرون إلى الاعتراف بأن الإسلام هو الدين الحق، ولا يمكن النجاة لأحد إلا باعتناقه، وكذلك لن يبالوا لومة لائم في سبيل اعتناقهم الإسلام وإيمانهم بمحمد ﷺ

وانضمامهم إلى جماعة خادمة للمسيح الموعود عليه السلام، بل إن بوادرها قد أخذت تظهر منذ اليوم، وانضم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية أكثر من مائتي شخص من أمريكا.

النبأ الخامس

عن ليكهرام الهندوسي الذي تمت به الحجة على الهندوس

والآن أتناول نبأ حضرته عليه السلام الذي كان مظهرا لصدق الإسلام للهندوس، والذي هزّ نفوس مئات الألوف بظهوره في مواعيده، وجعلهم يعترفون بصدق الإسلام باطنا، ولقد أسلم منهم المئات ولا يزالون.

وتفصيل هذا النبأ، أن فرقة جديدة باسم "آريا سماج" نشأت من بين الهندوس قبل حوالي خمسين عاماً، وقد عزم أصحاب هذه الفرقة على تحويل المسلمين هندوسا نظراً لضعف صلة المسلمين بدينهم في هذا العصر، ولأجل ذلك فإن زعماء هذه الطائفة ظلوا ينشرون ضد الإسلام أفحش الكتب والنشرات، وكان في طليعة هؤلاء الزعماء المتفحشين رجل اسمه "ليكهرام". لقد حدّثه حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام مرارا، وحاول أن يقنعه بصدق الإسلام، لكنه رغم ذلك أبى إلا أن يصر على عناده وبغيه، وظل ينشر لبعض الآيات القرآنية تراجم ممسوخة تتفسخ فحشاً ونتانة حتى يصعب على لبيب مجرد قراءتها، وإن أكرم الخلق وأشرفهم وأجمعهم للكمالات الإنسانية، كان في رأيه أذل الناس وأحطهم، إن أتفه وأسخف كتاب عنده هو الذي نراه جامعًا لجميع العلوم وخازنًا لها، أي القرآن الكريم، غير أن نور الشمس يؤذي دوما العيون السقيمة، وهكذا كان شأنه، وحينما امتد به

النقاش، تمادى في إساءته إلى رسول الله ﷺ، وأخذ يستهزئ بحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام وكان يطالبه بالمعجزات، فلجأ حضرته أخيرا إلى الله تعالى وسأله عن مصير هذا الشخص، فأخبره الله بأن الآية له أنه سيهلكه في القريب العاجل، إن حضرته سأل ليكهرام قبل نشر هذا النبأ، أن هذا النبأ إذا كان مزعجاً له فإنه مستعد على أن لا يُظهره، لكنه رد على ذلك قائلاً إنني لا أخاف أنباءك أبداً، فانشرها كما تشاء. فبما أن النبأ كان غير محدد الموعد وكان ليكهرام يطالب بتحديده، لذا انتظر حضرته وامتنع عن نشره ما لم يحدد موعد ظهور النبأ من قبل الله، وأخيراً إن حضرته نشر النبأ بعد أن تلقى الخبر من الله عز وجل بأن ليكهرام سيناله عذاب أليم يسبب موته خلال ست سنوات بدءا من ٢٠ فبراير ١٨٩٣، ونشر مع ذلك الوحي العربي الذي تلقاه عن ليكهرام:

"عجل جسد له خوار، له نصب وعذاب".[١]

أي إن هذا الشخص إنما هو عجل كعجل السامري يخور ولا حظ له من الحياة الروحانية، وأنه سيكون هدفاً لبلاء عظيم وعذاب أليم. ثم أعلن حضرته على الملأ قائلا: إنني أعلن لجميع أصحاب الأديان، أنه إذا لم يصب هذا الشخص خلال ست سنوات منذ اليوم (٢٠ فبراير ١٨٩٣) عذاب خارق للعادة مهيب أشد الهيبة الإلهية، فتيقنوا أني لست من عند الله.[٢]

وبعد نشر هذا النبأ بقليل، نشر حضرته نبأ آخر بهلاك هذا الشخص بوضوح أكثر، وهو:

"وبشرني ربي وقال مبشرا   ستعرف يوم العيد والعيد أقرب"

---

[١] التذكرة ص ٢٢٩ الطبعة الرابعة.

[٢] انظر مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج٥ ص ٦٤٩ -٦٥١

"منها ما وعدني ربي واستجاب دعائي في رجل مفسد عدو الله ورسوله المسمى ليكهرام الفشاوري. وأخبرني ربي أنه من الهالكين. إنه كان يسب نبي الله ويتكلم في شأنه بكلمات خبيثة. فدعوت عليه فبشرني ربي بموته في ست سنة، إن في ذلك لآية للطالبين".[١]

وبعد ذلك، تلقى حضرته خبرا آخر يتصل بهذا النبأ ونشره على غلاف كتابه "بركات الدعاء" بعنوان:

نبأ آخر عن ليكهرام الفشاوري

في أثناء غفوة خفيفة صباح اليوم (٢ أبريل/نيسان ١٨٩٣م الموافق ١٤رمضان ١٣١٠ من الهجرة) رأيتُني جالسا في حجرة كبيرة مع بعض صحابتي، وإذ برجل عملاق مرعب الشكل وكأن الدم يقطر من وجهه، يدخل ويقف أمامي. فلما رفعتُ نظري إليه، أدركت أنه كائن له جسم ومظهر غريب، كأنه ليس إنسانا، بل أحد الملائكة الغلاظ الشداد. كان مظهره يثير الفزع والرعب في القلوب. وبينما أنظر إليه سألني: "أين ليكهرام؟" وذكر أيضا اسم شخص آخر وسأل عن مكانه. وحينئذ فهمت أن هذا الرجل قد أُسندت إليه مهمة عقاب ليكهرام والشخص الآخر".[٢]

وكذلك نشر حضرته عليه وعلى مطاعه الصلاة والسلام في كتابه "مرآة كمالات الإسلام" أشعارا فارسية عن "ليكهرام" منها ما تعريبه:

"احذرْ أيها العدو الجاهل الغبي الضال

وخفْ السيف الصارم لمحمد ﷺ

والتمِس صراط الله المستقيم الذي ضل عنه الناس

[١] الاستفتاء (المترجم)، الخزائن الروحانية ج١١ ص ١١٩

[٢] بركات الدعاء، الخزائن الروحانية ج٦ ص ٣٣

في آل وأعوان محمد ﷺ

حذارِ يا من تنكر شأن محمد ﷺ

وحذار يا من تنكر نورا مبينا لمحمد ﷺ

لا شك أن الكرامات والخوارق قد اختفت اليوم من العالم

لكن تعال لتراها عند غلمان محمد ﷺ".[1]

وتتبين من هذه الأنباء كلها الأمور التالية:

أولا: إن ليكهرام سيهلك بعذاب يسبب الموت

ثانيا: هذا العذاب سينزل عليه في ست سنوات

ثالثا: أن هذا العذاب سينزل عليه متصلا بيوم العيد قبله أو بعده.

رابعا: إنه سيعامَل معاملة عجل السامري، وهي أنه حطِّم ونُسف وألقِي رماده في اليم.

خامسا: وقد عين لإهلاكه رجل تتدفق الدماء من وجهه.

سادسا: إنه سيكون عرضة لسيف الرسول ﷺ.

إن هذه الأخبار والعلامات لأوضح ما تكون في دلالتها بحيث لا تبقى فيها مظنة شك أو ارتياب، وبعد تمام خمسة أعوام مضت على هذه الأنباء حينما كان الأعداء يستهزئون بمضي هذه المدة الطويلة دون تحقق النبأ، وبأنه قد ظهر كذب الميرزا وكان عيد الفطر عامئذ يوم الجمعة، وفي اليوم التالي عند عصر يوم السبت، هجم على ليكهرام رجل مجهول بخنجر قاطع ولقي حتفه يوم الأحد، وتمت كلمة الله صدقا وعدلا. الوحي كان يتضمن أنه سيهلك خلال ست سنوات، فهلك في أثناء هذه المدة، وأن حادث قتله سيكون في اليوم المتصل بالعيد، وأن ذلك اليوم أيضاً سيكون عيدا للمؤمنين، فتحقق

[1] مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية ج٥ ص٦٤٩-٦٥١

كما قيل إنه أصيب بجراح مهلكة في اليوم التالي للعيد، وكان في النبأ أن رجلا تتدفق من عينه الدماء سيقتله، فكان كما قيل، وكان النبأ أن السيف الصارم المحمدي سيقضي عليه، فقتل به، وكان النبأ قد أخبر بأن مصيره كمصير عجل السامري، فكما أن عجل السامري مزّق وحطم يوم السبت فحرق فنسف في اليم نسفا، وكذلك ليكهرام بصفته هندوسيا حُرِّق أولا ثم ألقي رماده في النهر.

وتفاصيل اغتياله طبق الأخبار هي أن رجلا تقطر عيناه دما جاءه وأبدى رغبته في ترك الإسلام واختيار الهندوسية، وأبقاه ليكهرام عنده رغم أن الناس قالوا له أن إبقاءه خطير جداً، بل قويت ثقته به، وأخيراً حدد ليكهرام لانضمام ذلك الشخص إلى "الآريه" نفس اليوم الذي كان موعد قتله، وكان ليكهرام يكتب شيئاً يوم السبت، فأمر ذلك الشخص بإحضار كتاب، فتظاهر ذلك الشخص بحمل الكتاب إليه، لكنه ما لبث أن طعنه بخنجره بسرعة خاطفة فحركه في أحشائه تكرارًا ليتم تقطيعها، وكما يروي أقارب ليكهرام أنه اختفى عندئذ ذلك الشخص، وكان ليكهرام في الطابق الثاني من داره وكان أمام بوابته زحمة من الناس لكن لم يشهد أحد منهم بأن ذلك الشخص نزل وخرج من الباب، وكانت زوجه وأمه متأكدتين من وجوده داخل الدار، فسرعان ما فتش الناس عنه في جميع زوايا البيت لكنهم لم يجدوا أحداً، ولم يدركوا أنه غاص في الأرض أم صعد إلى السماوات، فهلك ليكهرام يوم الأحد الذي رأى فيه حضرته قبل عدة سنوات رجلاً تقطر عيناه وهو يسأل عن بيت ليكهرام، أجل هلك بعد أن تجرع عذاباً أليمًا مريرًا وكان هلاكه آية باهرة على صدق نبي الله المسيح الموعود، وصار عبرة لمن يتشدق عن سيدنا رسول الله ﷺ بكلام متفحش.

النبأ السادس

عن الأمير دليب سنغ الذي تمت به الحجة على السيخ

والآن أتناول نبأً من الأنباء التي تحققت في موعدها، وصارت للسيخ دليلاً ناصعاً على صدق الإسلام وصدق المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام.

حينما فتح الإنجليز البنجاب، أخذوا الأمير وولي العهد دليب سنغ- الذي كان عندئذ قاصراً- إلى إنجلترا حسب مقتضى المصالح الحكومية، فبقي هناك ولم يُسمَح له بالعودة إلى وطنه حتى تم استيلاء الإنجليز على البنجاب، وانتهت سيطرة حكومة دلهي بعد الثورة، ولم يبق ثمة أي خطر، فأراد عندئذ الأمير دليب سنغ أن يعود إلى البنجاب، وذاع بين الناس أنه لقادم قريباً، فأخبر الله العليم الخبير حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بأن الأمير لن يفلح في إرادته،[١] فأخبر حضرته بذلك كثيراً من الناس وبخاصة الهندوس، وأعلن في إحدى النشرات بأن أحداً من رؤساء البنجاب سيتعرض لابتلاء عظيم.[٢] ولم يكن بحسبان أحد عندئذ أن الأمير سيمنع من العودة إلى الهند بل كان الخبر الشائع يؤكد برجوعه إليها، غير أن الحكومة تبينت عندئذ أن عودة الأمير دليب سنغ ستكون مخالفة للمصالح الحكومية. إذ أن خبر عودته أخذ يثير في السيخ تقاليدهم القديمة وكانت الحكومة تخاف حدوث فتن بعد عودته. وأخيراً مُنِع من السفر بعد أن كان قد وصل إلى عدن في طريقه إلى الهند، فوصلت أخبار المنع حينما كان الناس قد تيقنوا بوصوله إلى الهند خلال بضعة أيام. وزعزعت هذه الأخبار آمال السيخ زعزعة شديدة،

---

[١] حقيقة الوحي، الخزائن الروحانية ج٢٢ ص ٢٤٨

[٢] مناظرة لدهيانه، الخزائن الروحانية ج٤ ص ١٢٤

غير أنه تبين جلياً أن جلال الله وقدرته فوق الجميع، وإنه ﷻ يطلع على ما في صدور الناس بينما هم لا يشعرون ما في نفوسهم.

النبأ السابع

عن الطاعون
الذي أثبت أن اللّه ﷻ هو وحده مالك أدق الوسائل

ولقد بيّنت أربعة أنباء تمت بها الحجة على ثلاثة شعوب بعد أن ذكرت الأنباء عن أفغانستان وجارتها إيران، والآن أتناول نبأ تمت به الحجة على جميع شعوب الهند وبواسطتهم على سائر العالم، ولقد حقق الله تعالى بهذا النبأ أنه مقتدر على أدق الوسائل وأخفاها ويستطيع أن يسخرها لتأييد رسوله وقد تنبأ حضرته بكثير من مثل هذه الأنباء التي بعضها قد تحققت في مواعيدها، وبعضها في المستقبل، غير أنني أنتخب منها النبأ بالطاعون الذي يمتاز خاصة بأن سيدنا محمداً ﷺ أيضاً كان قد تنبأ به وأخبر بأن هذا الوباء سينتشر في عصر المسيح الموعود.

حينما انخسف القمر وانكسفت الشمس في الثالث عشر من رمضان والثامن والعشرين منه بالترتيب طبق أنباء الرسول ﷺ أخبر عندئذ حضرته عليه السلام بأن الناس إذا لم يستفيدوا بهذه الآية ولم يؤمنوا به، نزل عليهم عذاب عام، كما يقول حضرته ما نصه[1]:

"وحاصل الكلام أن الكسوف والخسوف آيتان مخوفتان وإذا اجتمعا فهو تهديد شديد من الرحمن وإشارة إلى أن العذاب قد تقرر وأكد من الله لأهل العدوان."

---

[1] نور الحق الجزء الثاني، الخزائن الروحانية المجلد ٨

وبعد ذلك ألقى الله تعالى في روعه أن يسأل الله وباءً عاماً كما يقول حضرته في قصيدة نُشرت في ١٨٩٤م :

فلما طغا الفسق المبيد بسيله تمنيت لو كان الوباء المتبّر

فإن هلاك الناس عند أولي النهى أحب وأَولى من ضلال يدمر

وبعد ذلك، كتب حضرته في كتابه "السراج المنير" في عام ١٨٩٧م أن الله أوحى إليه:

"يا مسيح الخلق عَدوانا".

ثم يقول ما تعريبه:

"انظروا في هذه الأنباء بأي زمن تتصل وفي أي زمن سيتم ظهورها، لقد أتى حينٌ يهلك فيه الناس بالدعاء، وسيأتي زمان آخر يعطَون فيه الحياة بالدعاء". عندما نشر هذا النبأ الأخير كان وباء الطاعون مقصوراً على مومباي فقط بل قد زال عنها بعد أن استمر سنة، وقد سُرّ الناس بأن الأطباء قد نجحوا في الاحتواء به، لكن الأخبار السماوية كانت تنذر بعكس ذلك بينما كان الناس يحسبون هجوم الوباء عارضاً ومؤقتاً، وفي البنجاب أيضاً كان الوباء مقصوراً على قريتين بصورة ضئيلة وكانت سائر مناطق البنجاب محفوظة، والطاعون بمومباي كان قد اختفى ببادئ النظر. عندئذ نشر حضرته نشرةً أخرى قال فيها:

"إن أمرًا آخر دفعني إلى كتابته عاطفةُ مواساتي - وإنني لأعلم أن المحرومين من الروحانية سيهزؤون به - غير أنني أرى من الواجب علي أن أصرح به للناس مؤاساة لهم، وهو أنني رأيت اليوم الذي هو ٦ فبراير ١٨٩٨م ويوم السبت رؤيا وهي أن ملائكة الله يغرسون في طول البنجاب وعرضها أشجاراً سوداء قبيحة الصورة هائلة المظهر قصيرة القامة، فسألت بعض الغارسين ما هذه الأشجار؟ فقالوا إنها أشجار الطاعون الذي سينتشر في هذه البلاد، غير أنه اشتبه علي، ولم

أذكر أقال الملك في الشتاء المقبل يحدث ذلك أم في الشتاء الذي يليه، لكن منظر هذه الأشجار كان مفزعاً ومروعاً جداً." وكان قد سبق أن أوحى الله إلي عن الطاعون قائلاً: "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، إنه أوى القرية". أي أن الوباء الظاهري لن يزول ما لم يزل وباء المعاصي، وفي آخر هذا الإعلان سجّل حضرته بعض أشعاره الفارسية وتعريبها ما يلي:

"لو رأى الإخوة ما أراه لذرفت عيونهم، ولتابوا بعيون دامية.

لقد أظلمت الشمس المشرقة بسبب سيئات الناس، والأرض أيضا تُظهر الطاعون إنذارا

إذا أمعنتَ النظر فستجد هذه المصيبة كطامة كبرى، ولا راد لها سوى الأعمال الحسنة

لقد قلت هذا القول بدافع المواساة، فتدبر الآن أيها العاقل، إن الإنسان رزق العقل للتدبر في مثل هذه الأيام" [1].

ويتبين من هذه الأنباء أن حضرته تنبأ بصراحة قبل ١٨٩٤م بعذاب غليظ ثم بوباء مبيد، وأخبر حضرته بانتشار الطاعون وفتكه في البنجاب بصورة خاصة حينما لم يكد الطاعون يبدو في نواحي الهند، وعد الطاعون المقبل مثالاً للقيامة، وصرّح بأن هذا الطاعون لن يزول ما لم يصلح الناس نفوسهم.

والذي حدث بعد ذلك تعجز الكلمات عن بيانه، إن بداية الطاعون كان بمومباي والقياس كان يقتضي أن تكون وطأته فيها أشد، لكن الطاعون خلفها وألقى رحاله في البنجاب حيث اشتد هجومه، حتى قضى أحياناً على ثلاثين ألف نسمة في أسبوع واحد، وهلك مئات الألوف في سنة واحدة خلال ظهوره، تم تعيين مئات الأطباء واخترعت عشرات الأدوية لكن لم يجد كل ذلك نفعاً بل

[1] أيام الصلح، الخزائن الروحانية مجلد ١٤

هجم الطاعون كل سنة هجوماً أشد وأعنف من ذي قبل، والحكومة كانت تشاهد كل ذلك عاجزة مخذولة، ولقد شعر عندئذ كثير من الناس أن سبب هذا العذاب هو إنكار المسيح الموعود. وليس الألوف فقط، بل مئات الألوف من الناس آمنوا بمسيح الزمان بعد أن رأوا هذه الآية القاهرة. ولم تخفّ شدة الطاعون إلا بعد أن أخبر الله نبيّه المسيح الموعود بأن الطاعون قد ارتحل لكن الحمى بقيت. وبعد ذلك أخذت شدة الطاعون تخف حتى تضاءل شيئاً فشيئاً غير أنه يتبين من بعض أخبار الله أن لهذا المرض جولات أخرى في هذه البلاد وفي البلاد الأخرى أيضاً، حفظ الله عباده من كل سوء.

وعندي إن هذا النبأ من الإيضاح وإتمام الحجة على المؤمن والكافر بمكان لا يصرُّ معه على إنكاره إلا رجل يرثى لعقله، ويستطيع كل من له عينان أن يرى: (١) أن الطاعون كان قد أخبر به قبل مدة طويلة وليس من وسيلة طبية اكتشفت حتى اليوم تنبئ بظهور الأوبئة قبل حدوثها بمثل هذه المدة المديدة (٢) كان قد أخبر عند بدايته أن جولته هذه ليست مؤقته بل إن هجومه سيستمر عدّة سنوات متواليه (٣) وكان قد أخبر من قبل أن فتك هذا المرض في البنجاب سيكون أشد كما صدقته الحقائق التالية إذ اشتدت وطأته في البنجاب وكانت ضحاياه هنا أكثر من سائر الأقطار (٤) إن الأطباء ما برحوا يبشرون الناس بأنهم تمكنوا من تحديده غير أن حضرته أخبر بأن شدته لن تخف ما لم يأمر به الله ﷻ وحدث كما قال واستمرت جولاته تسع سنوات متتالية.

(٥) وأخيراً إن الله تعالى بنفسه رحم عباده ووعد بتخفيف شدته وحدته وأخبر حضرته بأن الطاعون قد ارتحل وبقيت الحمى. فبعد هذا الوحي السماوي انهار هجوم الطاعون وحلّت محلّه الحمّى في البنجاب بهجوم شديد حيث لم تخل منها دار، والتقارير الحكومية أقرت بأن هجوم الحمّى هذا كان غير عادي.

النبأ الثامن

عن الزلزلة العظيمة التي تمت به الحجة على جميع أهل الأديان والذي تحقق به أن الله يحكم أعماق الأرض كما يحكم جميع ما على وجهها

والآن أتناول نبأ من الأنباء التي تدل على تصرف الله في أعماق الأرض كمثل تصرفه فيما على وجهها، إن هذا النبأ عن الزلزال العظيم الذي حدث في البنجاب في ٤ أبريل ١٩٠٥م، وتمت به الحجة على سائر أهل الأديان عن صدق الإسلام وصدق المسيح الموعود عليه السلام، إن حضرته نشر عن هذه الزلزلة الوحي التالي:

"زلزله كا دهكا"،"هزة الزلزال."

"عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّها وَمُقَامُها."[١]

وكان هذا الوحي قد نشر عندئذ في صحف الجماعة، والتحقق اللفظي لهذا الوحي كان مستبعدا لدرجة أنْ قيل لعل المراد به شدة الطاعون، لكن الله عز وجل كان قد قدر أمراً آخر، إن بركان "كانجرا" الذي كان يحسب هامداً منذ مدة طويلة، والذي كانت براكينه لم تكن إلا ذكريات قديمة عند الهندوس المتوهمين الذين كانوا يظنون أن هذا البركان هدية لأحد من آلهتهم، والذي اتفق على هموده وخموده الأبدي علماء طبقات الأرض ولا خطر منه، كما نرى أن معابد عظيمة ثمينة شيدت على جوانبه خلال قرون مديدة، وألوف مؤلفة من الناس كانوا يزورونها كل عام، أجل، أمر الله تعالى هذا البركان الميت الهامد بأن يثور ثورة جديدة ويشهد بصدق نبي الله المرسل.

---

[١] التذكرة ص ٥١٥ الطبعة الرابعة.

وكما تبين من كلمات الوحي أن هدف أشد هجمات الزلزال سيكون موضعا يكتظ بالكتل السكنية المؤقتة إما بصورة الفنادق ودور الإقامة أو بصورة معسكرات الجيش التي يتردد إليها الجنود من حينٍ لآخر، ولا تستعمل للإقامة الدائمة، ولا يصح أن يقال أن تقدُّم كلمة "مَحَلُّها" ليس لأجل الأهمية أو التأكيد بل لأن الشاعر (وهو لبيد بن ربيعة العامري ﵁) الذي قال هذا الشطر هو الذي قدمه مراعياً السجع، ولأن الله لم يكن مضطراً لاختياره مثل لبيد ﵁ بل كان بإمكانه أن ينزل الوحي بكلمات أخرى، وبما أن هذا الشطر كان قد أُلهم لوحده وما كان متصلا بشطر آخر حتى تظهر حاجة للاهتمام بالسجع فكان يمكنه أن يتصرف في هذا الشطر بالتقديم والتأخير. فالحقيقة هذه الكلمات قد انتخبت بصورة خاصة للدلالة على أن موقع هذا الزلزال يكون مكاناً تكثر فيه أماكن السكن المؤقت، والظاهر أن مثل هذه الأبنية تكثر في المعسكرات، والمنتزهات والمصايف والمزارات، فأخبر بحدوث الزلزال في مكان يشابه هذه الأماكن.

وبعد نشر هذا الوحي السماوي بمدة، حدث ما لم يكن في حسبان أحد، إذ ثار بركان "كانغرا" الهامد منذ قرون ثوراناً شديداً، ففي صباح ٤ أبريل عام ١٩٠٥م لم يكد يفرغ الناس من صلواتهم الصباحية حتى أحدث هذا البركان زلزالاً شديداً هز الأرض إلى مئات الأميال هزاً، ودُمرت "كانغرا" ومعابدها وفنادقها تدميراً، ومعسكر "دهرمساله" الذي كان يبعد ثمانية أميال تقوضت بناياته، وجعل الله عالي القصور الشاهقة التي كان الإنجليز يصطافون بها سافلها، ودُكَّت المعسكرات في "دلهوزي" و "بكلوه" دكاً دكاً، وأصبحت المدن والقرى الأخرى عرضة لهذا الزلزال وغدا عشرين ألف نسمة ضحيته. وأخذت علماء طبقات الأرض الدهشة في دواعي هذا الزلزال المفاجئ، ولكنهم ما يدريهم أن الداعي إلى هذا الزلزال هو ذلك التكذيب الذي صدر من الناس ضد حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، وكان يهدف إلى توجيه الناس إلى صدق دعواه. إن علماء

طبقات الأرض هؤلاء كانوا يبحثون عن أسباب الزلزال في أعماق الأرض، لكن كان سببه الوحيد على وجه الأرض، وكان بركان "كانجرا" الهامد المنسي الخامل الذكر ينقاد لأوامر ربه. وعدا هذا الزلزال، تنبأ حضرته بزلازل أخرى حدثت بعضها في مواعيدها والأخرى ستحدث.

النبأ التاسع

عن الحرب العالمية وهو النبأ الذي تمت به الحجة على شعوب العالم كلها والذي تحقق به أن الله عز وعلا كما يتحكم في جميع الجمادات والنباتات، كذلك يسيطر على قلوب أولئك الذين جعلتهم سكرة الحكومة يظنون أنهم خارجون عن نطاق حكم الله ﷻ

والمثال التاسع اخترته من تلك الأنباء التي كانت حجة على أهل الأرض قاطبة وتحقق بها أن الله ﷻ كما له السلطة النهائية على قلوب الدهماء والجماهير كذلك إنه يسيطر على قلوب أرباب الحكام الجبارين، وأن بني الإنسان يخضعون له كما تخضع له سائر الأكوان، إن هذا النبأ نشر في ١٩٠٥م وكان أخبر به عن تلك الحرب العالمية التي ما برحت تسبب الاضطراب العام في جميع زوايا الأرض منذ سنين عديدة، وكانت أخلَّت بحواس الناس إخلالاً، ولم تندرس آثارها بعد بل لا تزال تضطرم نيرانها في بلد من البلاد.

ونص الكلمات التي أخبرت بهذه الحرب كان يتضمن الخبر بحدوث زلزلة عظيمة، لكن العلامات التي ذكرت لهذه الزلزلة تدل على أن المخبَر به كارثة أخرى غير الزلزال، وكان الوحي السماوي الآخر أيضا يؤيد هذا الرأي؛ فنص الوحي يخبر بهذه الحرب كما يلي:

"تازه نشان، تازه نشان كا دهكا"، أي: "الآية الجديدة، هزة الآية الجديدة".

"زلزلة الساعة، قوا أنفسكم".[١]

"نزلتُ لك، لك نري آيات ونهدم ما يعمرون. قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون. كففتُ عن بني إسرائيل. إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين".[٢]

"فتح نمايان"، أي: "الفتح المبين"، "همارى فتح"، أي: "فتْحُنا".[٣]

"إني مع الأفواج آتيك بغتة".[٤]

وتكرر الوحي: "خرَّ الجبل، ووقع الزلزال".[٥]

"البركان".[٦]

"مصالح العرب، مسير العرب".[٧] أي ستتكشف للعرب سبلٌ سينفعهم السلوك عليها، وأن العرب سيخرجون من بيوتهم.

"عفت الديار كذكري".[٨] أي ستُمحى البيوت كما انمحى ذكري من هناك.

"أريك زلزلة الساعة".[٩]

"يريكم الله زلزلة الساعة".[١٠]

---

[١] التذكرة ص ٥٣٤ الطبعة الرابعة.

[٢] التذكرة ص ٥٣٧ الطبعة الرابعة.

[٣] التذكرة ص ٥٤٣ الطبعة الرابعة.

[٤] التذكرة ص ٥٤٣ الطبعة الرابعة.

[٥] التذكرة ص ٥٥٩ الطبعة الرابعة.

[٦] التذكرة ص ٥٦٣ الطبعة الرابعة.

[٧] المرجع السابق

[٨] التذكرة ص ٥٦٦ الطبعة الرابعة.

[٩] التذكرة ص ٦٠٩ الطبعة الرابعة.

[١٠] التذكرة ص ٦٠٨-٦٠٩ الطبعة الرابعة.

"لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار". [١]

لقد أضاف حضرته إلى شرح هذه الزلزلة بعضًا من أشعاره التي ملخصها أن هذه الزلزلة ستكون شديدة لدرجة أنّ تدميرها يعم الأناس والقرى والمزارع. وستحدث فجأة حتى لن يتمكن شخص عارٍ من اللباس من أن يلبسه، وستكون مزعجة جداً للمسافرين حتى يتشرد بها بعضهم إلى مسافات شاسعة، وستتوهد الأرض، وستجري جداول الدماء، وستحمر أنهار الوديان بلون الدم وستحيط بالعالم هذه الآفة، وكل الناس صغاراً كانوا أو كباراً، وكل الدول مهما كانت قوية ستضعف بهزاتها وبخاصة إن أحوال قيصر روسيا ستتحول إلى أوضاع يرثى لها، وستتأثر بها حتى الطيور والوحوش والسباع وستفقد صوابها لشدة وطأتها لدرجة تنسى منطقها.

إضافة إلى ذلك، تلقى حضرته الوحي القائل: "تجري السفن، لتقع الصراعات". [٢]

"ارفعوا المرساة." [٣] وبعد ذلك تلقى حضرته الوحي الذي كان يدل على أن هذه الزلزلة ستحدث خلال حياته عليه السلام وفي أثناء ستة عشر عاماً، لكن بعد ذلك علمه الله الدعاء: ربِّ لا تُرني زلزلة الساعة. فتحقق كما تنبأ حضرته إذ أن هذه الحرب العظيمة حصلت أثناء ستة عشر عاماً، لكنها ما نشبت خلال حياة حضرته عليه السلام.

وكما سبق أن ذكرت أن النبأ يتضمن كلمة "زلزلة" لكن المراد بها الحرب العالمية، والآن أسوق الأدلة التي يتبين منها أن هذه الأنباء لا تحتوي إلا على أخبار الحرب العالمية.

---

[١] التذكرة ص ٦٢٥ الطبعة الرابعة.

[٢] التذكرة ص ٦١٥ الطبعة الرابعة.

[٣] التذكرة ص ٥٥٠ الطبعة الرابعة.

١- إن كلمة "زلزلة" تستعمل بمعنى الحرب أيضاً، كما يقول الله ﷻ في سورة الأحزاب:

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ١١-١٢).

يصح إطلاق كلمة "الزلزلة" على كل آفة وأُطلقت في القرآن على الحرب، فيمكن أن تُستنبط من كلمات النبأ معانٍ أخرى غير الزلزال المعروف.

٢- عندما نشر المسيح الموعود عليه السلام هذا النبأ، أضاف إليه تعليقا هاما: إن كانت الكلمات في ظاهرها تدل على الزلزال، لكنه من الممكن أن لا يكون هذا الزلزال زلزالاً عادياً، بل يكون المراد به إحدى الآفات الكبرى التي سوف تقدم للناس منظر القيامة، ولم يسبق لها مثيل في هذا العصر، حتى تكون الحيوانات والبنايات هدفاً للدمار الشديد.[١]

فقبل تحقق النبأ قد خطر ببال الملهَم أيضا أنه ليس من المستغرب أن يكون المراد بالزلزال كارثة أخرى، والمعترضون وإن ألحوا على ظاهر النبأ، لكن حضرته ما برِح يرد عليهم بأن كلام الله تعالى إذا كان يحتمل تعدد المعاني فلا يمكن لي إذن قصره على معنى واحد، ومن عظمة النبأ أنه يحتوي على علامات لا يمكن أن يسبق إليها علم الإنسان، ثم إنه يحدد التحقق ويصرح أيضاً بأن هذا الحادث منقطع النظير في سالف الأزمان.

٣- إن كلمات النبأ تدل دلالة واضحة على أنه لا يمكن أن يراد به زلزال، بل المراد بها آفة أخرى لأنه:

---

[١] التذكرة ص ٥٤٠ الطبعة الرابعة.

(١) يصرح النبأ أولاً بأن هذا الزلزال سيعم العالم أجمع، والزلازل الأرضية من المستحيل أن تعم العالم كله في وقت واحد، بل إنها تتناوب في مختلف الأقطار.

(٢) ويتبين من النبأ أن ساعة الزلزال ستكون أشد على المسافرين حتى أنهم سيضلون الطرق، والزلزال لا يتأثر به المسافر بتاتا بل إن الزلزال يكون موبقا للمقيمين بالمدن والديار. إن المصيبة التي تشرد المسافرين وتضلهم عن الطريق، إنما هي الحرب لأنه لا يمكنهم أن يجتازوا الخطوط الحربية فيتشردون.

(٣) وأيضا يتبين من النبأ أن هذا الزلزال سيدمر المزارع والحدائق، والحرب هي التي تسبب دمارها، إذ قذائف المدافع لا تبقي منهما باقية، وقد تستدعي المصالح الحربية حصدها.

(٤) وأيضا يتبين من النبأ أن الطيور أيضا ستكون هدفاً خاصا لهذا الزلزال حتى تنسى منطقها وتفقد صوابها، وهذا أيضا لا يحدث عند الزلازل الأرضية لأن الاضطراب الأرضي لا يبقى طويلا، والطيور إذا طارت عند حدوثها لا تشعر بها أبدا، غير أن الحرب تتضمن مثل هذه الأحوال إذ أن قذف النيران ليلاً ونهاراً كما يسبب اجتثاث الأشجار كذلك يؤدي إلى انقراض الطيور بمناطق الحرب وفقد صوابها.

(٥) ومن جملة الوحي المتصل بالزلزلة، جملة "كففت عن بني إسرائيل" أي أنقذتهم من الشر، ومفهوم هذه الجملة لا يمت إلى الزلزال الظاهري بسبب، فلذلك هذه الجملة تشير إلى حادث يؤدي إلى تحقيق مصالح بني إسرائيل، وإنني سأذكر فيما بعد أن ذلك أيضا من علامات الحرب العالمية التي تحققت، كما أنني سأذكر أن هذا النبأ مذكور في القرآن أيضا.

(٦) ويتبين من كلمات الوحي أنها الحرب، إذ نجد أن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين، ولعلها تشير إلى قيصر الألماني الذي كان يزعم بأنه مثل الإله في الأرض كما كان فرعون يدعي عن نفسه "أنا ربكم الأعلى". والمراد بهامان ملك النمسا، وزير قيصر الألماني، الذي لم يكن له رأي شخصي، بل كان ينصاع لأوامر

القائد الحربي الألماني. فإن أردنا بالزلزلة الزلزال الأرضي، تعذر علينا تحديد معنى "إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين".

(٧) وكذلك تكرر مع وحي الزلزلة: "إني مع الأفواج آتيك بغتة" التي يتبين منها أنها تتصل بالحرب.

(٨) ويتبين من الوحي أن البركان سينفجر، وعليه تتوقف مصالح العرب، وإنهم سيخرجون من بيوتهم، هذه الأمور ليست من الزلزال الأرضي في شيء ويتبين منها أن المراد بتفجر البركان هو ثورة الحماس الكامن في الطبائع التي ستهيج لبعض الحوادث، وسيرى العرب عندئذ أن سكوتهم يناقض مصالحهم فيخرجون من بيوتهم وينتهزون هذه الفرصة.

(٩) أوضح الوحي "لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار" أن الدول القوية ستضعف، وأن الله ﷻ سيؤسس حكومته في هذا الكون بآيات قوية.

(١٠) ومن الوحي المتصل بالزلزلة "خرَّ الجبل، ووقع الزلزال" ومما يعرفه حتى الصغار أن تهدم الجبال لا يسبب الزلزال بل بالعكس الزلزال يسبب تهدمها. فتبين أن المراد بتهدم الجبل وحدوث الزلزال ليس الزلزال الطبيعي، بل إنها استعارة تشير إلى أمر آخر وهو كارثة كبرى يضطرب لها جميع العالم وأنها ستضطر كل الشعوب لاقتحام الحرب.

٤- والدليل الرابع على أن المراد بالزلزلة آفة أخرى، إن الإلهامات الأخرى التي تلقاها حضرته في ذات الأيام تصرح بحدوث الحرب، ومنها ما تعريبه: "ارفعوا المرساة"، أي أن كل شعب سيأمر أساطيله بالتأهب للصراعات البحرية، وكذلك قيل في الوحي "تجري السفن، لتقع الصراعات"، أي ستتردد هنا وهناك وتتحين الفرص للحروب البحرية.

وبعد أن أثبتنا أن المراد بكلمات الزلزلة الواردة في النبأ الحرب العالمية التي حصلت مؤخرا أريد أن أبين أجزاء النبأ على حدة، فأولاً وقبل كل شيء نرى أن

النبأ يحدد بداية هذه المصيبة بأنها حينما تبدأ، يليها زلزال عظيم في جميع أقطار الأرض، فحدث بادئ ذي بدء أن قُتل أمير النمسا والمجر مع زوجته، فسببت مأساة القتل هذه بداية الحرب، ولم تسببها الخلافات السياسية الدولية.

والأمر الهام الثاني الذي يتضمنه النبأ هو أن هذه الآفة الكبرى ستحدق بالعالم كله، فتحقق ذلك كوضح النهار، ولم تسبقها مصيبة أخرى وسعت أقطار الأرض بهذه الصورة. أما أوروبا فكانت مركزها الذي تدور رحى الحرب حوله، والدول الآسيوية أيضا دارت عليها دوائرها، والصين واليابان أيضا أقحمتا فيها، وجُرّت الهند إلى الحرب جرا إذ هاجمت السفن الألمانية سواحلها، وتصادمت الجيوش الإنجليزية والجيوش التركية بإيران، وهجم الإيرانيون على القنصلية الألمانية بإيران، وحصلت معارك طاحنة في العراق والشام وفلسطين وسيبيريا، وأحاطت الحرب بإفريقيا من الزوايا الأربع، وهاجمت حكومة إفريقيا الجنوبية إفريقيا الغربية الألمانية، وهاجت الثورات في إفريقيا الجنوبية نفسها، وحصلت مناوشات في المستعمرات الألمانية بإفريقيا الشرقية كما شبت نيران الحرب في الكاميرون على السواحل الغربية، كما حدثت الحرب على السواحل الغربية عند نهر السويس وحدود مصر المتاخمة لطرابلس، وهجمت السفن الألمانية على أسترالاسيا أو المنطقة الأسترالية الآسيوية حتى أحيط بها، وحدث قتال في غينيا الجديدة، وتصادمت الأساطيل الإنجليزية والألمانية على السواحل الأميركية وتدخلت في الحرب كندا والولايات المتحدة الأميركية، وأعلنت ولايات أمريكا الجنوبية الحرب ضد ألمانيا. وبالجملة لم تسلم في العالم منطقة من نيران هذه الحرب.

وكان من علامات الزلزلة، أن الجبال والمدن ستنسف بها نسفا، والحقول والمزارع ستصير جرداء فحدث كما قيل، وعشرات من الجبال طمست عن آخرها لقذف النيران وغرس الألغام، واندرس كثير من المدن، حتى أن ألمانيا المهزومة اضطرت لدفع البلايين كتعويضات لبنائها، ولا تزال تدفع الغرامات حتى اليوم، ولا يعرف

مدى الخسائر التي لحقت بالحدائق والمزارع. وكانت الجيوش المتقدمة نحو خطوط العدو تدمر في طريقها المزارع والحدائق ولم تبق من الخضرة باقية. وإن المدفعية كانت منتشرة إلى ألوف الأميال فسببت أضرارًا فادحة تفوق التقدير والقياس.

وكان من علامات الزلزلة أن الحيوانات ستفقد صوابها، فحدث كما قيل، إن الحيوانات في المناطق الحربية تلاشت كليا.

وكان من علاماتها أن الأرض سينقلب عاليها سافلها، إن فرنسا وصربيا وروسيا أصبحت وهاداً لشدة القذف، وبعضها كانت أعمق ما تكون حتى انفجرت فيها المياه من الأرض، وكثرة الخنادق الحربية جعلت من البلاد حفائر لا تنقطع، وكان من المستحيل أن نعرف أن هذه البلاد كانت عامرة نضرة في يوم من الأيام، بل كانت تبدو وكأنها سلسلة مصانع اللَبِن أو كهوف الجبال.

وكان من علاماتها أن مياه الأنهار ستلون بلون الدماء وستجري جداول الدم، فحدث كما قيل بلا مبالغة، وأحيانا كانت الدماء تسفح بكثرة تجعل جداول الماء حمراء عدة أميال، وكانت المعارك الدامية بكل جبهة على أشدها، حتى يصح القول بأن الجداول جرت دماء.

وكان من علاماتها، أن تلك الساعة ستكون عصيبة على المسافرين حتى يضل بعضهم الطريق، فتحقق كما قيل. إن طرق البر كانت مسدودة بتحركات الجنود بكل مكان، والطرق البحرية كانت معطلة لأجل هجمات الغواصات، وحينما بدأت الحرب مئات الألوف من الناس أصبحوا محصورين مشردين في بلاد العدو، واضطر بعضهم لقطع مئات الأميال للوصول إلى بيوتهم، وكانت الجنود تضطر أحيانا لقطع مسافة مئات الأميال جرّاء استيلاء العدو على الطرق الهامة. والجنود الإنجليز بفرنسا كانوا يضلون الطريق لكونهم غرباء، فلتجنب هذه الحوادث، عُلّقت في أعناقهم ألواح باللغة الفرنسية تحدد مراكزهم وسماتهم لكي يصلوا بمساعدة هذه الألواح إلى غاياتهم.

وكان من علامات الزلزلة أن المباني الفخمة التي تشيدها أوروبا ستسوى بالأرض، فحدث كما قيل. إن هذه الحرب العالمية فضلاً عما دمرت من المباني المادية قد زعزعت أسس الحضارة الأوروبية أيضا، وإنها اليوم تحاول جهدها للتخلص من هذا الشراك الذي نسجته بيديها، لكنها لم تفلح في ذلك حتى اليوم، وإن الدنيا سترى بأعينها أن الحضارة الأوروبية قبل الحرب لن تعود إليها، بل سيحل محلها عوائد وتقاليد تدفعها نحو الإسلام، وإنه من المحتم من الله ولن يحول دونه حائل.

وكان من علاماتها، أن بني إسرائيل سينقَذون من المصائب التي كانوا يقاسونها، فتحقق ما قيل تمام التحقق، وخلال هذه الحرب ومن أجلها أعلن اللورد بلفور[١] أن اليهود المشردين عن وطنهم سترد إليهم فلسطين وطنهم القومي. إن دول الحلفاء ستضع إزالة الاضطهاد والجور الذي ظلوا يعانونه نصب أعينها، فطبق هذا الوعد فصلت فلسطين عن السلطنة العثمانية وجعلت وطنا قوميا لليهود. واليوم إن الحكومة بفلسطين تعمل على تحويلها إلى وطن لليهود، ويجلب إليها اليهود من جميع أطراف العالم. ولقد حققت أمنية اليهود القديمة من تشكيل مجتمع يهودي.

والأمر الغريب عن هذه العلامة الأخيرة، أن القرآن الكريم أيضا أشار إليها، قال عَزَّ وَجَلَّ في سورة الإسراء:

﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ (الإسراء: ١٠٥).

أي قلنا لبني إسرائيل بعد هلاك فرعون، أقيموا بهذه الأرض (فلسطين) فإذا جاء موعد الساعة الآخرة سقناكم للاجتماع بها.

---

[١] آرثر جيمس بلفور (Arthur James Balfour) سياسي بريطاني تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا من ١١ يوليو ١٩٠٢ إلى ٥ ديسمبر ١٩٠٥، عمل أيضاً وزيرًا للخارجية من ١٩١٦ إلى ١٩١٩ في حكومة ديفيد لويد جورج. اشتهر بإعطاء وعد بلفور الذي نص على دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

ولقد فسر بعض المفسرين "الأرض" بأرض مصر، وفسر "الآخرة" بالقيامة، لكن لا يصح كلا الأمرين لأن بني إسرائيل لم يؤمروا أبدا بالإقامة بمصر، بل إنهم كانوا قد أمروا بالإقامة بالأرض المقدسة، وفعلا أقاموا بها. كذلك ليس المراد بـ "وعد الآخرة" القيامة، لأن قيام القيامة لا يتعلق بالإقامة بالأرض المقدسة، والصحيح أنهم أمروا بالإقامة في الأرض المقدسة. وقد أشار الله تعالى بذكر مجيء "وعد الآخرة" وجمعهم بها مرة أخرى، إلى أنه سيأتي حين يضطرون فيه لمغادرة الأرض المقدسة. لكن عند ظهور وعد الآخرة- أي عند البعثة الثانية للمسيح- سيجمعهم إليها مرة أخرى، فقد ورد في تفسير "فتح البيان": "وَعْدُ الْآخِرَةِ": نزول عيسى من السماء.[1]

ذكر الله تعالى في بداية هذه السورة فترتين لليهود، يقول تعالى عن الفترة الثانية:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ (الإسراء: ٨)

ويتبين من هذه الآية أن المراد بوعد الآخرة هنا الزمن الذي يأتي على اليهود بعد المسيح الناصري، وبما أن اليهود كانوا قد شُتّتوا بعد "وَعْدُ الْآخِرَةِ" هذا، لذلك فالمراد بوعد الآخرة في الآية الأولى هو النزول الثاني للمسيح. والمراد من "جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا" هو اجتماع اليهود الذي يتم اليوم في فلسطين إذ يُجمَعون إليها من جميع أصقاع العالم. والمراد بالوحي القائل "كففتُ عن بني إسرائيل" زوال تلك المخالفة العامة التي كان بنو إسرائيل يلاقونها من قبل دول العالم، إذ لم تكن ترضى لهم بتأسيس وطن قومي.

وكان من علامات هذه الحرب أنها ستحصل خلال ستة عشر عاما حتما، فتحقق كما قيل، والوحي عنها نزل في ١٩٠٥م، وبدأت هذه الحرب بعد تسعة أعوام في ١٩١٤م.

---

[1] تفسير فتح البيان، سورة الإسراء آية ١٠٤ المجلد الخامس ص٣٧١ طبعة مصر ١٣٠١هـ

ومن علامات هذه الحرب في الوحي أن جميع الأساطيل ستؤمر بالاستعداد التام لكل مفاجأة، ونرى أن الشعوب غير المتحاربة أيضا كانت مضطرة لحشر أساطيلها البحرية لكيلا يتدخل أسطول شعب آخر في بحورها بعمل عدواني فيجرها إلى أتون الحرب، ولكي تتم المحافظة على حقوقها أيضا.

ومما أُخبر به في الوحي من علامات هذه الحرب أن البواخر ستتردد في البحار هنا وهناك للفتك ببواخر العدو، أي التأهبات للمعارك البحرية ستكون على أشدها، والبواخر لا تنقطع عن التجول في البحار. فنرى أن العدد الضخم للبواخر التي استعملت في هذه الحرب لم يسبق له نظير، وكذلك الحراسة الشديدة للبحار أيضا يتعذر مثيلها، وبخاصة البواخر الخفيفة من السفن المدمرة والغواصات قد لعبت في هذه الحرب دوراً لم تلعبه من قبل. وكلمة "كشتيان" (السفن الخفيفة) تدل على أن استعمال السفن الخفيفة في هذه الحرب سيكون أكثر من استخدام السفن الكبيرة الثقيلة.

ومن علامات هذه الكارثة في الوحي أنها ستفاجئ الدنيا، فإن هذه الحرب كانت مفاجأة دُهش لها الناس، وقد اعترف كبار المفكرين بأنهم كانوا يتوقعون حربا غير أنهم لم ينتظروا وقوعها المفاجئ بهذه السرعة، ولم يكد يحدث قتل أمير النمسا وزوجته حتى وثبت جميع الدنيا في نيران الحرب.

ومن علاماتها أنها تتيح للعرب فرصا تساعد على تحقيق مصالحهم، والعرب سينتهزون هذه الفرص فيخرجون كلهم للحرب فتحقق كما قيل. عندما انضمت تركيا إلى صفوف المتحاربين، رأى العرب أنه قد حان أصلح الأوقات لتحقق أمنيتهم الغالية للتحرر والاستقلال التي كانت ولا تزال تختلج بها صدورهم منذ قرون، فخرجوا لتوِّهم على الأتراك جميعا حتى ظفروا بحريتهم.

ومن علاماتها: أن الديار ستدمر كما اندرست آثار ذكري في القلوب، فحدث كما قيل؛ إن فرنسا الشرقية كانت أكثر استغراقا في الخلاعة والدعارة، وكانت وحدها تزود سائر أوروبا بالخمر، وكان المترفون المنعمون من جميع البلاد الغربية يجتمعون فيها، فكانت هذه المنطقة بصورة خاصة عرضة لأشد الخسائر، فكما كان ذكر الله تعالى معدوما في هذه المنطقة كذلك طمست ديارهم طمسا.

ومن علاماتها: "الفتح المبين"، "فتحُنا": أي أن الحكومة التي تساعدها جماعة المسيح الموعود عليه السلام ستنتصر، فتحقق كما قيل، إن الله عز وجل نجا بريطانيا من هذه الكارثة بفضل أدعية حضرة المسيح الموعود، ولعل زعماءها يزعمون أن هذا الفتح تم بمكائدهم الحربية، لكن إذا أنعمنا النظر في الحقائق، تبين لنا أن المصادفات المدهشة سببت هذا الفتح العظيم، الأمر الذي يدل على أن الانتصار حصل بالتدخل السماوي وليس بالتدابير الإنسانية فحسب.

ومن علاماتها، علامة تتضمن عدة آيات، وهي أن أحوال قيصر روسيا ستتدهور تدهوراً عظيما، وعندما أخبر الله هذا النبأ، كانت الظروف لتحققه معاكسة تمامًا، لكن النبأ السماوي تحقق رغم كل ذلك، وكان تحققه مدهشا للجميع.

والنبأ سالف الذكر يحتوي في الواقع على عدة أنباء، أولا قد أخبر أن قيصر روسيا سيكون آمناً مطمئناً إلى نشوب هذه الأزمة، فحينما تبدأ تكون مبدأ لمأساته وآلامه، لكن هذه المأساة لا تكون قاضية عليه فجأة، لأن الذي يُقتل لا يقال أنه مر بالظروف القاسية المريرة. فكلمات الوحي توضح أنه لن يذوق الموت المفاجئ بهذه المأساة، بل سيقاسي تعذيبات أليمة، كما يتبين منها أن هذه الآفة ستقضي على جيل القياصرة نهائيا، لأن مورد هذه الكارثة ليس فرداً معينا، بل ذكر "قيصر" في الوحي كمنصب ممتاز. فانظروا الآن كيف تحققت هذه العلامة في

جلال وروعة. إن عدة دسائس دبرت ضد قيصر روسيا قبل الحرب لكنه ظل في منجاة منها، وبعدها حصلت هذه الحرب، فحان الموعد المحدد من قبل الله ﷻ، فأخذه الله عز وعلا أخذاً أدهش الجميع، وكما يتبين من الأوضاع عندئذ، أن القيصر كان عند انفجار الثورة ضده على حدود البلاد يتفقد جنوده، وحينما غادر عاصمته، لم يكن هناك شيء من آثار الفتن، وبعد ذلك ثارت الجماهير فجأة على بعض أخطاء الوالي القيصري، لكن مثل هذا الهياج ليس بأمر غير عادي في شؤون الدول، والحكومات الراسخة كمثلها لا تنقرض فجأة. لكن يد الله تعالى هي التي كانت قد تحركت للعمل، فحينما بلغ القيصر هياج الناس، أمر واليه باستعمال القوة ضد الهائجين، لكن استعمال القوة والقسوة في هذه المرة أثَّر تأثيراً غير عادي إذ قد زاد الناس هياجاً وثورةً، والملك استبدل واليه بآخر، واتجه إلى العاصمة لكي تهدأ الثورة بوجوده، لكن بلغه في الطريق أن الثورة على أشدها، وأنه ينبغي أن لا يتقدم إلى العاصمة. لكن الملك لم يحفل بذلك، وظن أنه لا يمكن حدوث الشغب في حضوره، ومضى قُدماً، ولم يلبث القطار أن يتحرك حتى أدرك أن الثورة العامة قد اندلعت نيرانها، وأن الثوار قد احتلوا دوائر الوزارة، وأن الحكومة الوطنية قد تأسست، وأن كل ذلك تمّ خلال يوم واحد، وذلك في ١٢ مارس ١٩١٧ من الصباح إلى المساء، إن أعظم عواهل العالم وأكثرهم سلطة الذي كان يلقب نفسه بالقيصر، أي المستبد برأيه الذي لا يخضع لأحد، أجل هذا العاهل العظيم اضطر للاعتزال عن عرشه وخضع لأوامر الشعب، وأرغم في ١٥ مارس على أن يكتب بيده إعلانا يصرح بأنه هو وأولاده يعتزلون عن عرش روسيا. وبذلك تحقق نبأ حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام، وانتهى سلطان بيت القياصرة بروسيا للأبد. لكن حتى الآن بعض أجزاء النبأ كانت في طريق التحقق والتمام، لأن "نيقولا الثاني" (قيصر روسيا) كان يحسب أنه باعتزاله عن

العرش سيخلص عائلته من المصائب المقبلة، وأنه سيستغل ممتلكاته الشخصية في هدوء وأمن، لكنه لم يتحقق ما كان يتمناه، إذ اعتزل عن الحكم في ١٥ مارس، فاعتقل في ٢١ مارس وسيق إلى قصر بلدة (Skocilo) "سكو سيلو" واعترفت أمريكا بحكومة الثورة في ٢٢ مارس، وتبعتها إنجلترا، وفرنسا وإيطاليا بالاعتراف بها في ٢٤ مارس، وتبددت آمال القيصر وأحلامه، لأنه قد شاهد أن الدول الصديقة التي كان هو بدعمها ولأجلها يحارب ألمانيا قد اعترفت كلها بحكومة الثوار في أسبوع واحد، ولم ترفع لتأييده حتى أضعف صوت. لكنه كان المحتم أن يذوق القيصر أقسى وأشد من هذه الآلام لكي يحقق بحالته المتدهورة كلام الله العليم الخبير. وإن كان عندئذ معتقلاً، لكن الحكم حتى الآن كان بيد أحد أمراء العائلة الملكية اسمه (Dilvao) "دلواؤ" الأمر الذي سبب استمرار معاملة الاحترام له أثناء الاعتقال، وكان القيصر مع عائلته يقضي أوقاته في الأعمال البستانية وغيرها، لكن في يوليو اضطر ذلك الأمير للاعتزال وتولى (Kerensky) "كرنسكي" الذي زادت بمجيئه مصائب القيصر. لكنها مع ذلك لم تتجاوز حدود الإنسانية، لكن الثورة البلشفيّة في ٧ نوفمبر أقالت حكومة كرنسكي أيضا، وبدأ بذلك دور الاضطهاد الشديد الذي يرتعد له أقسى الناس قلبا. فنُقل القيصر من القصر الملكي في (Skocilo) "سكوسيلو" وسيق من مكان إلى آخر، وأخيرا وليذكّر الاستبداد الذي مارسه على شعبه المسكين في سجن سيبيريا فإنه نقل إلى (Ekaterinburg) "إيكاتيرنبورغ" وهي بلدة صغيرة تقع في شرق جبال الأورال وهي على بُعد ألف وأربعمائة وأربعين ميلا من موسكو، وفي هذه البلدة نفسها كانت تصنع الماكينات التي تستخدم في مناجم في "سيبيريا"، حيث كان السجناء السياسيون الروس يؤدون أعمالاً شاقة. وكأن القيصر كان يشاهد كل يوم ما اكتسبت يداه.

إن الحكام القساة لم يكتفوا بتعذيبه الفكري المتواصل، بل أخذوا يقللون طعامه، حتى أن الجنود المتوحشين كانوا يذيقون ابنه المريض أمام عينه هو وزوجته أشد العذاب. وكانوا أيضا يزعجون بناته إزعاجا ظالما، لكن هذه التعذيبات القاسية لم تكن لتبرد نيران غضبهم، فكانوا يخترعون ألوانا من التعذيب الوحشي، حتى حدث في يوم من الأيام، أنهم ساقوا بناته واعتدوا عليهن اعتداء وحشيا بالاغتصاب، أمام عيني القيصرة الأم، وعندما كانت القيصرة تولي وجهها عن هؤلاء الوحوش باكية منتحبة، أرغموها بخناجرهم على مشاهدة هذا المنظر الأليم الذي يندى له جبين الإنسانية. إن القيصر الروسي قُتل مع عائلته في يوليو ١٩١٨م شر قتلة بعد أن ظل يتذوق أمرّ العذاب وأشد المصائب والآلام ما لم يتذوقه أحد من الناس، وتحقق قول نبي الله المسيح الموعود عليه السلام:

"إن قيصر أيضا سيكون ساعتئذ بحالة يرثى لها".[١]

إن القيصر قتل بعد أن ذاق الأمرّين من الآلام والمصائب، ألقت الحرب أوزارها، عزل القيصر وملك النمسا عن الحكم، خربت المدن، ونسفت الجبال ودكت، وقتل مئات الألوف، جرت جداول الدماء، وجُعل عالي الدنيا سافلها، لكن مع الأسف الشديد، إن الدنيا مع ذلك كله لا تبرح تطلب الآيات على صدق رسول الله المسيح الموعود. إن خزائن الله لا تخلو من العذاب أيضا كما أنها عامرة بالرحمة الواسعة، لكن طوبى للذين يدركون الحق في وقته ويسعون للمصالحة مع الله دون محاربته، ولا يمرون بآياته صما وعميانا، فأمثال هؤلاء الناس تنالهم رحمة الله ويصيبون حظاً وفيراً من بركاته حتى يكون وجودهم بركة للعالم أجمع.

[١] التذكرة ص ٥٤٠ الطبعة الرابعة

النبأ العاشر

عن ازدهار قاديان

سردت إلى الآن الآيات السماوية التي إما أنها تحتوي على الإنذار أو تشتمل على كلتا الناحيتين، والآن أسجل هنا ثلاث آيات فقط تتضمن ناحية التبشير، وهذه الأمثلة الثلاثة من الآيات هي أيضاً بعمومها شائعة بين الأعداء والأصدقاء ويمكن أن نجد الشهداء عليها في أهل كل دين وملة، وكانت ولا تزال تنشر في مؤلفات حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام ومذكراته.

أولًا أذكر النبأ الذي يتعلق بقاديان وازدهارها، وهو أن الله تعالى أخبر حضرة المسيح الموعود عليه السلام بأن قرية "قاديان" ستتوسع حتى تصير مدينة عظيمة مثل "كولكتا و بومباي" كأن سكانها سيتضاعفون حتى يبلغون ما يقرب مليون نسمة، وأنها ستتوسع شرقا وشمالا حتى تتصل بنهر "بياس"[١] وهو نهر يجري على بعد تسعة أميال من قاديان. لما نشر هذا النبأ كانت أحوال قاديان ما يلي:

- كان سكانها لا يعدون ألفين فقط، كانت معظم بيوتها من الطين، وكانت أجرة البيوت أرخص ما تكون، من الممكن أن تستأجروا بيتا بربع روبية، وكان سعر الأرض السكنيّة أخفض ما يمكن، وكان من الممكن أن تشتروا بعشر روبيات أرضا صالحة لبناء بيت، وكانت السوق تافهة جداً حتى كان لا يمكن أن تشتروا منها مرة واحدة طحيناً بثلاث روبيات، لأن سكانها كانوا من الفلاحين الذين يطحنون القمح في بيوتهم ويخبزون. وكانت هناك مدرسة ابتدائية وحيدة للتعليم من قبل الحكومة، ومعلمها الوحيد كان يقوم بأعمال البريد أيضا بأجرة زهيدة، والبريد

---

[١] التذكرة ص ٧٨٢ الطبعة الرابعة

كان يأتي مرتين في الأسبوع، وكانت مساكن القرية كلها داخل السور. لم تكن هنالك وسائل مادية لتحقق هذا النبأ لأن هذه القرية كانت تبعد عن أقرب محطةٍ لسكة الحديد أحد عشر ميلا، والطريق المؤدي إليها غير معبد، والسكان في البلاد التي يُستخدم فيها القطار لا يزدادون إلا في المدن والقرى المتصلة بسكة الحديد. ولم يكن بقاديان مصنع حتى يزداد سكانها بكثرة العمال والأجراء، ولم تكن هناك دوائر حكومية أيضا كي يمكن توسعها، ولم تكن مركزا للمحافظة ولا المديرية حتى ولم يكن هناك مخفر للشرطة، ولم تكن بها سوق تجارية حتى يتوسع عمرانها. حينما تنبأ حضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام بهذا النبأ لم يتجاوز عدد أتباعه عن بضع مئات حتى يؤمروا بالهجرة إليها فتتوسع القرية.

ويمكن أن يقال بما أن حضرته كان قد ادعى النبوة، فلذلك كان من المتوقع أن يهاجر إليها أتباعه، ويمكن أن نرد أولا بأنه من كان متأكدا من تكاثر الأتباع حتى يزيد سكانها؟ وثانيا، لا نجد مثالا واحدا لأن يهجر جميع الأتباع أعمالهم في مواطنهم ويلازموا متبوعهم طوال الحياة فيتخذوا موطنه موطنا لهم إن مولد حضرة المسيح الناصري "الناصرة" ما زال حتى الآن قرية صغيرة، وإن موالد كبار المشائخ المتصوفين كأمثال شهاب الدين السهرودي والشيخ أحمد السرهندي، والشيخ بهاء الدين النقشبندي رحمهم الله أو مساكنهم كانت قرى مجهولة بسيطة وظلت كذلك اليوم لم تتوسع ولم تتقدم إلا ما يحصل دوما في عصر الرقي. إن توسع المدن والقرى لأصعب ما يكون من الأعمال، حتى أن الملوك أيضا إذا شيدوا مدينة بصرف النظر عن النواحي الاقتصادية كان من المستحيل أن تتوسع أمثال هذه المدينة ولا تلبث أن تصير خرابا، وإن موقع قاديان سيئ جدا نظرا للأوضاع الاقتصادية الراهنة، إذ لا تقع قرب سكة الحديد حتى يهاجر الناس إليها للتجارة، وليس بأبعد عنها حتى يتخذها الناس مركزا ثقافيا لبُعدها عن السكة الحديدية. فكان توسع عمران هذه المدينة مستحيلا في الأوضاع الراهنة. والأمر الغريب أن قاديان لا تقع

على ضفة نهر أو قناة أيضا، لأن هذين الأمرين أيضا يساعدان في بعض الأحيان على ازدياد السكان وذلك بنمو التجارة وازدهارها.

- وقصارى القول إن حضرته عليه السلام تنبأ بتوسع قاديان وازدهارها في ظروف معاكسة وبلا وسائل مادية. وبعد نشر هذا النبأ أخذت جماعته أيضا تتوسع وتتقدم، وكذلك جعل الله تعالى يحرضهم على الهجرة إلى قاديان وشرعوا يهجرون المدن والقرى إليها، وتبعهم الآخرون. إن تمام ظهور هذا النبأ سيأخذ وقتا طويلا، غير أن مدى ما تم منه إلى الآن يدعو إلى الاستغراب، وفي هذا الوقت قد تضاعف عدد السكان. إن هذه القرية أخذت تمتد خارج السور ببنايات مشيدة جديدة، حتى توسعت المنطقة العامرة قديما بهذه البنايات إلى ما يقارب ميلا. إن هذه المباني الفخمة والشوارع الواسعة حولت هذه القرية إلى مدينة، أسواقها أيضا توسعت ويمكن للمشترين أن يشتروا منها حاجاتهم بالألوف متى شاؤوا، وتضاعف عدد المدارس أيضا، إذ أُسست هناك مدرستان ثانويتان بدلا من مدرسة ابتدائية واحدة، إحداهما للهندوس، كذلك هناك مدرسة ثانوية للبنات، وكلية للعلوم الدينية. ودائرة البريد -التي كان البريد يرد إليها مرتين في الأسبوع وكان يديرها المدرس الوحيد في المدرسة الابتدائية كعمل إضافي- أصبحت الآن يشتغل فيها ثمانية أشخاص طوال النهار للقيام بأعمال متنوعة، ودائرة التلغراف أيضا ستنشأ فيها قريبا، وتصدر فيها صحيفة مرتين في الأسبوع، ومجلتان أرديتان أسبوعيتان وأخرى أسبوعية إنجليزية وصحيفة نصف شهرية ومجلتان شهريتان، وفيها خمسة مطابع إحداها مطبعة آلية، تنشر منها كتب عديدة. وأصبحت قاديان أعرف ما تكون، لا تكاد تكتب اسم قاديان في العنوان إلا والبريد يصل إليها دون تأجيل بينما البريد في المدن قد يذهب إلى هنا وهناك. وبالجملة إن قاديان قد توسعت رغم الظروف المعارضة توسعا لا نجد مثيله على وجه البسيطة وذلك على رغم انعدام الأسس الاقتصادية المقررة لتوسع المدن، الأمر الذي أظهر صدق كلام الله

ﷻ واضطر الذين يعرفون حالة قاديان الأولى والأخيرة وإن كانوا غير مسلمين إلى الاعتراف بأن ذلك "مصادفة غير عادية" لكن مع الأسف إنهم لا يفكرون في سبب أن جميع هذه المصادفات غير العادية كانت تجتمع لحضرة مؤسس الجماعة الأحمدية عليه السلام وحده.

النبأ الحادي عشر

عن النصرة المالية

والمثال الثاني من الأنباء المبشرة الذي أريد أن أسرده الآن، وهو يتعلق بالنصرة المالية التي أتاحها الله تعالى لحضرته عليه السلام، وهذا النبأ أيضا أُنبئ به في ظروف غريبة وبصورة عجيبة جداً، وكان هذا النبأ في الواقع أول نبأ من أعظم أنبائه. وبيان ذلك أن والد حضرته عليه السلام مرض مرة، ولمّا يبدأ نزول الوحي عليه، وفي يوم من الأيام، لما بدا المرض زائلا عن والده، ولم يبق منه إلا بعض الزحير، نزل على حضرته أول وحي، وهو:

"والسماء والطارق."[١]

وبما أن من معاني الطارق: الآتي بالليل أيضا، فظن حضرته أن والده سيتوفى في هذه الليلة، وأن هذا الوحي كتعزية من الله تعالى وشفقة منه ومؤاساة من قِبله تعالى. وبما أن معظم موارد عائلته كانت متوقفة على حياة والده، إذ كان يتسلم المعاش والجوائز الحكومية الأخرى. وكذلك كان الكثير من الضيعات مقصور على حياته، فاهتم حضرته لوفاة والده بحسب مقتضى البشرية، وظن أن وفاته ستؤدي إلى الحرمان من أكثر الموارد. معاش التقاعد والمنح الحكومية

---

[١] التذكرة ص ٢٤ الطبعة الرابعة

ستنقطع، وأن معظم الضيعات ستنتقل إلى أيدي الشركاء، ولم تكد هذه الهموم تختلج بصدره حتى تلقى الوحي الثاني الذي هو بحد ذاته نبوءة عظمى وهو:

"أليس الله بكاف عبده."[١]

وبما أن هذا الوحي الأخير كان بشارة بكفالته تعالى له في جميع الحاجات فأخبر حضرته بذلك كثيراً من الهنادك والمسلمين ليكونوا شهداء عليه، وبعث هندوسيا إلى "أمرتسر" كي ينقش هذا الوحي بصورة الخاتم. وبذلك أطلع على هذا الوحي مئات الناس، ولإيضاح هذا النبأ أحدث الله بعض النزاعات العائلية حول استحقاق العقارات، الأمر الذي أدى إلى ادعاء كثير من أقاربه بحقوقهم في ممتلكات العائلة. كان أخوه الأكبر يقوم بشؤون العقارات، فحدث بينه وبين المدعين نزاع، فنصحه حضرته بحسن المعاملة لكنه لم يقبل مشورته.

وفي نهاية المطاف رفعت القضية إلى المحاكم، فطلب إليه أخوه الدعاء للنجاح، فدعا حضرته عليه السلام فتبين له أن الخصوم هم الناجحون، وأن أخاه هو الخاسر. فتحقق كما قال حضرته، إذ أن الشركاء ظفروا بأكثر من ثلثي العقارات، وكان نصيب حضرته وأخيه قليلا جداً، إن هذا النصيب من العقارات وإن كان يكفي حاجاته الشخصية لكنه لم يكن يكفي أعماله العظيمة التي كانت ملقاة على عاتقه في المستقبل، وكان حضرته مستغرقا عندئذ في تأليف كتاب عظيم اسمه "البراهين الأحمدية"، وكان من المقدر لهذا الكتاب أن يثير ضجة كبرى في عالم الأديان. وكان نشر هذا الكتاب يقتضي نفقات طائلة، وخلال هذا اليأس المطبق فتح الله عز وجل أبواب الأمل، وحرض بعض الأغنياء- الذين لم تكن لهم صلة بالدين- على دفع هذه النفقات الباهظة لنشر هذا الكتاب، ولم تنتشر أربعة أجزاء من هذا الكتاب حتى تضاعفت النفقات، إذ تحقق صرف تيار الهجوم على الإسلام الذي كان حضرته يريد

[١] التذكرة ص ٢٥ الطبعة الرابعة

أن يتصدى له ويصرفه، لكن اشتد هياج الناس ضده، وتألب المسيحيون والهندوس والسيخ ضده. كانوا يبتغون بكل ذلك أن يستهزئوا بإلهاماته ليزيلوا وقعة كتبه من قلوب الناس وبالتالي ليجتنبوا الهزيمة إزاء الإسلام، هذا وبعض الحساد من المسلمين أيضا عزموا على مخالفته، فكأن الهجوم عليه اندفع من كل الجهات، ويمكن أن ندرك بسهولة مدى المشاكل التي يلقاها رجل أجمع على مهاجمته ذويه وأغياره. فمست به الحاجة إلى الأموال الوفيرة للرد على اعتراضات الناس ورفع لواء الإسلام. فالله تعالى هيأ له الوسائل الكفيلة بها. ثم بدأ بعد ذلك التطور الثالث، وهو أن الله ﷻ أخبره بأنه هو المسيح الموعود، وأن المسيح الأول قد مات. وعند صدور هذا الإعلان انفصل عنه الذين كانوا معه إلى ذلك الحين، ولم يبق معه إلا أربعون رجلا بايعوه. فكأن حربا بدأت عمليا مع الناس جميعا، والذين كانوا ينصرونه من قبل أخذوا يعادونه بكل قوة. وبذلك تضاعفت نفقاته لأجل الرد على التهم المتزايدة من ناحية، ولعرض دعواه الجديدة ودعمها بالأدلة من ناحية أخرى، وللنشرات الوجيزة للتوزيع بين الناس من جهة ثالثة، لكي يدرك الناس حقيقة دعواه. كل هذه النفقات كانت كثيرة جداً، لكن الله ﷻ أحدث حاجات عديدة أخرى إظهاراً لقدرته؛ أي أن حضرته أُمر من الله ببناء دار لضيوف قاديان وأن يعلن في الناس بأن يأتوا إليه بقاديان ضيوفا، لكي يستزيدوا من العلوم الدينية أو يزيلوا أي شبهة يواجهونها. إن مفارقة أكثر الأنصار وتوسّع أعمال النشر والتأليف مع أعباء بناء دار الضيافة ونفقات الضيافة الفادحة نفسها قد توجب كل هذه الأعمال مشاكل وعقبات تبدد جميع الآمال، غير أن الله ﷻ، أثار في بضع عشرات من أنصاره الذين كانوا معه حماساً وإخلاصا خارقا، ولم يكن أحد منهم غنيا بل أكثرهم كانوا من أفقر الناس، فكابدوا أشد المصائب وصبروا عليها. ولكنهم لم يرضوا بضعف يعرقل الأعمال الدينية، وفي الواقع لم تكن هِمَمُهم هي التي تُقْدِم على كل ذلك، بل إن وعد الله عز وعلا: "أليس الله بكاف عبده" هو الذي كان يتحقق.

وكان ذلك حين صارت الجماعة الأحمدية عرضة للمعاملة القاسية من جميع الجهات، كان العلماء قد أفتوا ليس فقط بجواز قتل الأحمديين ونهب بيوتهم وسلب ممتلكاتهم والزواج بنسائهم قهرا بلا طلاق من أزواجهن، بل وعُدّت هذه الأعمال مجلبة للثواب. وانتهز الأشرار الفساق والأنذال الذين ينتهزون الفرص لإظهار طمعهم وجشعهم هذه الفتاوى، وأخذوا يطبقونها في كل مكان، وكان الأحمديون يُطردون من بيوتهم ويُعزلون من وظائفهم وكان الأعداء يستولون على ممتلكاتهم عنوة. وكان بعضهم يضطر للهجرة إذ لم يجدوا منجاةً من هذه المصائب. وبما أن مأواهم الوحيد كان قاديان، فلذلك تضاعفت نفقات الضيافة عدة أضعاف. كان عدد الجماعة عندئذ قد بلغ زهاء ألفين، لكن كل واحد من هؤلاء كان عرضة لهجمات الأعداء. إذا كان الشغل الشاغل لألف أو ألفين من الناس هو الذود عن نفوسهم وأعراضهم وحفظ ممتلكاتهم وأموالهم وكانوا مستغرقين في مناظرات ومجادلات ليل نهار، كان من المدهش جداً أن يضطلعوا بالأعباء المالية لأجل نشر دعوة الإسلام في العالم، ويتحملوا نفقات الضيوف القادمين إلى قاديان لتعلم الدين، ويساعدوا إخوانهم المهاجرين المضطهدين. مئات الضيوف كانوا يتناولون وجبتين على موائد الجماعة، ما عدا الحاجات الحيوية الأخرى للفقراء التي كان من واجب الجماعة أن تسدها. وإضافة إلى دار الضيافة فإن كثرة الضيوف والمهاجرين جعلت من كل دار بقاديان دار ضيافة، وكل غرفة من غرف دار سيدنا المسيح الموعود عليه السلام غدت بيتا بوجه دائم يحله ضيف أو عائلة من المهاجرين. وبالجملة إن أعباء الضيافة وإيواء المهاجرين كانت تفوق الطاقة البشرية، كل صباح كان يشرق بمصاعب وواجبات جديدة وكل غروب كان يسود على هموم ومسؤوليات عديدة، غير أن نسيم البشرى "أليس الله بكاف عبده" كانت تبددها وتذهبها أدراج الرياح. وإن الرياح الشديدة والسحب العاتية التي كانت تهدد باجتثاث أسس الجماعة، لا تلبث أن تتحول إلى سحب الرحمة والفضل. وكانت كل

قطراتها تثير صوتا مشجعا: "أليس الله بكاف عبده". إن صورة ذلك الزمن العصيب يمكن أن يتصورها أهل أفغانستان تصوراً صحيحاً لأنه قد هاجرت إليهم أخيراً طائفة من المهاجرين. وكانت بأفغانستان عندئذ حكومة محكمة تهتم بشؤون هؤلاء المهاجرين. أضف إلى أن معظمهم كانوا يتحملون نفقاتهم بأنفسهم. وكان المضيفون أكثر من الضيوف بكثير، وكانوا زهاء عشرة ملايين وكان الضيوف لا يتجاوزون المائتي ألف، لكن مع ذلك تعرض الضيوف لمشاكل لا تحصى. وبهذا المثال يمكن أن تقاس تلك الأعباء الفادحة التي كادت أنْ تقصم ظهر جماعة قليلة فقيرة لا تعدو ألفي شخص. أجل هذه الجماعة الفقيرة كانت ترحب كل يوم بمئات من الضيوف والمهاجرين الفقراء. وكانت مع ذلك تقوم بتضحيات مالية جسيمة لنشر دعوة الإسلام، في حين كانوا يواجهون المعارضة والمشاكل في بيوتهم، فكم كانت أعناقهم ترزح بالأعباء.

إن هذه الضرورات الجماعية لم تكن ليوم أو يومين أو لشهر أو شهرين ولا لسنة أو سنتين، بل كانت الجماعة تتقدم وتتوسع كل سنة. والله تعالى هو الذي كان يهيئ الوسائل لكل هذه الأعمال بفضله. ثم فتح حضرته عليه السلام في ١٨٩٨م مدرسة ثانوية للتعليم الديني لصبيان الجماعة، وزادت بذلك النفقات. ثم أصدر لنشر دعوة الإسلام مجلة باللغة الإنجليزية وأخرى بالأردية، فزادت النفقات توسعا لكن الله عز وعلا ما انفك يتيح الوسائل الكفيلة بهذه النفقات كلها، حتى اليوم علاوة على مدرسة، هناك كلية للعلوم الدينية ومدرسة ثانوية للبنات وعدة مدارس ابتدائية وجماعة من المبشرين، والمراكز التبشيرية في موريشيوس وسيلان وإنجلترا وأمريكا، عدا دوائر التأليف والنشر والتعليم والتربية والشؤون العامة والقضاء والإفتاء وغيرها. وميزانية الجماعة السنوية اليوم بين ثلاثمائة إلى أربعمائة ألف روبية، وكل هذه الأموال الباهظة إنما يهيئها الله تعالى من فضله تحقيقا لوعده "أليس الله بكاف عبده".

إن جماعتنا جماعة الفقراء، إذ أن من سنة الله تعالى أن الفقراء هم الذين يدخلون في حزبه أول الأمر، وهم الذين يقول الناس فيهم:

﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ (هود: ٢٨)

والحكمة الكامنة في ذلك أن لا يزعم أحد بأن هذه الجماعة تقدمت بمساعدته، ولئلا يعترض الأعداء بذلك أيضا، فتحَمُّل مثل هذه الجماعة الفقيرة هذه الأعباء الفادحة من النفقات لا يمكن بدون النصرة الإلهية الخارقة. إن هذه الجماعة الفقيرة تدفع ضرائب الحكومة كما يدفع الآخرون، كما تؤدي الضريبة الزراعية أيضا، وتساهم في نفقات الشوارع والمستشفيات. وباختصار إنها تتحمل ما يتحملها الآخرون من الواجبات المالية، وإضافة إلى ذلك تتبرع بأموالها لنشر دعوة الدين والشؤون الدينية الأخرى، ولا تزال تتحمل هذه الأعباء الفادحة منذ خمس وثلاثين سنة، واليوم وإن كان الآن قد انضم إلى هذه الجماعة بعض الموسرين والأشخاص البارزين مقارنة مع ما كانت عليه من قبل، لكن النفقات أيضا تضاعفت بنفس القدر. أفليس من المدهش أن هذه الجماعة لا تبرح تبذل مئات الألوف من الروبيات سنويا تباعا ودون انقطاع؟ بينما سائر الدنيا، رغم كونها أثرى منها وأغنى، تشكو ضيق ذات اليد عن حاجاتها الشخصية وأن أفراد هذه الجماعة مستعدون بفضل الله لأن يقدموا جميع ما يملكون كلما أمروا بذلك. كيف طرأ هذا التطور العظيم؟ إن الله عَزَّ وَجَلَّ الذي بشر عبده "أليس الله بكاف عبده" هو الذي أحدث في القلوب هذا التغير العظيم، وإلا فأية قوة بشرية يمكن أن تُعِدّ وتؤمّن هذه الوسائل الطائلة بينما كان حضرة المسيح الموعود عليه السلام مشغول البال في أول الأمر لأتفه النفقات؟ يوجد في العالم الملايين من المسلمين، ولكن كم من الأموال يقدمونها لأجل الإسلام؟ لو بذل المسلمون الآخرون بنفس النسبة الفردية التي تبذله الجماعة لنشر الإسلام لأمكن لهم أن يبذلوا حوالي مئة مليون روبية سنويا. وذلك إذا كانت أوضاعهم الاقتصادية مثل أوضاع الجماعة،

لكن نجد بينهم عدداً من كبار الولاة والأغنياء وأصحاب مئات الملايين من التجار، فإن حُسب حسابهم، فوجب على المسلمين الهنود وحدهم أن يبذلوا لنشر دعوة الإسلام مائة وخمسين مليونا على الأقل، غير أن هذه الأكثرية الساحقة من المسلمين لا يبذلون سوى مئة أو مائتي ألف إزاء حوالي أربعمئة أو خمسمائة ألف تبذلها هذه الجماعة الفقيرة. هذا البون الشاسع سببه أن وعد الله عز وعلا: "أليس الله بكاف عبده" هو الذي يحقق كل ذلك.

النبأ الثاني عشر

عن تقدم الجماعة التي بتحققها تقوم الحجة على الأحبة والأعداء على السواء

والآن أقدم من الأنباء المبشرة مثلا نبأ يتصل بانتشار الدعوة التي بُعث بها حضرته عليه السلام (أي العلوم والمعارف التي يتضمنها القرآن) والناس غافلون عنها لأنهم لم يقفوا عليها، هذا النبأ أيضا يشهد بتحققه مئات الألوف، ولقد تنبأ به حضرته في حين لم تكن الظروف والوسائل متوفرة لذلك، وكانت كلمات النبأ مع كما يلي:

"سأبلّغ دعوتك إلى أقصى أطراف الأرضين." [1]

"سأزيد جماعةَ محبّيك المخلصين، وأبارك في نفوسهم وأموالهم، وأكثّرهم تكثيرًا[2]. سينمي (الله تعالى) هذه الجماعة تنمية حتى تكون كثرتهم وبركاتهم عجيبة في أعين الناس.

---

[1] التذكرة ص ٢٥ الطبعة الرابعة

[2] التذكرة، الطبعة الرابعة، ص ١٤١

"يأتون من كل فج عميق".[١]

أي سيدخل الناس جماعتَك من كل بلد من بلاد العالم.

"إنا أعطيناك الكوثر".[٢] سنعطيك الكثرة في كل شيء بما فيه الجماعة أيضا.

وتلقى حضرته إلهاما عن هذا باللغة الإنجليزية:

"I shall give you a large party of Islam".[٣]

أي: سأهَبُ لك جماعةً كبيرة من أهل الإسلام.

ثم تلقى بالعربية: "ثلة من الأولين وثلة من الآخرين".[٤]

ومن معاني هذا الوحي أن طائفة عظيمة من أتباع الأنبياء السابقين سيؤمنون بك، كما أن الجماعة الكبيرة من المسلمين سيؤمنون بك.

ثم بالعربية:

تقول الأرض- *أي أهلها*: "يا نبي الله كنت لا أعرفك".[٥]

"إنا نرث الأرض، نأكلها من أطرافها".[٦]

وإن كثيراً من هذا الوحي تلقاه حضرته ونشره في ظروف لم يكن فيها ولا أحد قد آمن بحضرته، وبعض هذا الوحي أنزل عليه فيما بعد حينما تأصلت الجماعة، لكنها مع ذلك كانت في حالة بدائية. وإنّ نشْر حضرته إلهاماته في مثل هذه الظروف بأنه سيأتي حين من الدهر تؤمن فيه بحضرته جماعة عظيمة من الناس، وسينتشر أتباعه لا في الهند فحسب بل في سائر بلاد الدنيا أيضا، وسوف ينضم

---

[١] التذكرة ص ٣١٢ الطبعة الرابعة

[٢] التذكرة ص ٤٧٦ الطبعة الرابعة

[٣] التذكرة ص ١٠٣ الطبعة الرابعة

[٤] المرجع السابق

[٥] التذكرة ص ٥٩٥ الطبعة الرابعة

[٦] التذكرة ص ٤٦٦ الطبعة الرابعة

إلى جماعته أناس من كل الملل، وسيزيد الله جماعته زيادة مدهشة، ولن يخرج بلد من بلاد الدنيا من نطاق دعوته، هل كل ذلك أمر عادي؟ وهل يمكن لإنسان أن يدعي بذلك بمجرد تخمينه؟

إن هذا العصر عصر العلوم، والناس قد أخذوا يعرضون عن أديانهم التي نشئوا عليها منذ ولادتهم. والنصارى والهندوس واليهود لم يعودوا نصارى وهندوسا ويهودا في هذا العصر ولا الزرادشتيون بزرادشتيين. بل إن دينا عقليا ملفوفا برداء تقاليد هذه الأديان قد أخذ في الانتشار بكل مكان. أسماؤه مختلفة لكن نظرياته متحدة. إن ادعاء حضرته بأن هؤلاء الذين قد تبرؤوا من الدين وأصبحوا عبيد العلوم الطبيعية سيؤمنون به، كان أمراً مستحيلا في بادئ النظر. ثم إن حضرته لم يكن يعرف من اللغات إلا الأردية والعربية والفارسية، وكان من سكان الهند، وهي بلاد كان أهلها يحقرون قبل ثلاثين سنة في بلاد العرب وفارس، فهل كان يعقل أن يؤمن برجل هندي أهلُ بلاد العرب وفارس وأفغانستان وبلاد الشام ومصر؟ من كان يستطيع أن يدعي بأن الهنود المثقفين بالثقافة الغربية الذين كانوا قد أخذوا يصفون القرآن بكلام محمد ﷺ، سيؤمنون بأن الله ﷻ يكلم عباده في هذا العصر أيضا، ويصدقون شخصا لا يعرف من الإنجليزية حرفا، الأمر الذي كان عندهم من أكبر الكبائر. ثم أي عقل يسيغ أن الشخص الذي لا يعرف من اللغات الغربية شيئا، ولا يلم بالعلوم الغربية إلماما، ويجهل التقاليد والطقوس الغربية كل الجهل، حتى ولم يخرج عن إقليمه إلا شاذاً (كان حضرته قد توجه مرة إلى "عليغره" خارج إقليم البنجاب) ستبلغ دعوته إلى أهل تلك البلاد، فيستمع إليه هؤلاء العلماء البارعون في العلوم والفنون- الذين كانوا يعدون الآسيويين أحقر حتى من حشرات الأرض- فيؤمنون به؟ من كان يظن أن أهل إفريقيا المنقطعين عن آسيا كل الانقطاع سيصغون إليه

فيؤمنون به، مع أنه لم يكن يوجد عندئذ بين أهل الهند من يتقن لغتهم. هذه العوائق والعقبات كانت تعترض طريقه من جهة، وفي جهة أخرى كان كلام الله المحتم. فتحقق أخيراً ما أراد الله أن يكون، إن الشخص الذي كان يتمشى في فناء داره وحيدا مسجلا ما يتلقى من الوحي، وكان يخبر الدنيا بقبوله العام مع أن أهل منطقته أيضا لم يكونوا يعرفونه يومئذ، أجل رغم هذه العقبات الكأداء، قام هذا الشخص بنصر الله وتأييده، وأرعد كسحاب عظيم غطّى السماء كلها فجأة مخيّبا آمال الحساد والأعداء وسقى الهند وأفغانستان وبلاد العرب ومصر وسريلانكا وبخارى، وانصب على شرق إفريقيا وعلى جزيرة موريشيوس وجنوب إفريقيا، وجاد على بلاد إفريقيا الغربية: نيجيريا وغانا وسيراليون، ونزل غيثه على أستراليا وإنجلترا، وأروى ألمانيا وروسيا أيضا كما أحيا أرض أمريكا.

واليوم ليست في الدنيا من قارة لا توجد فيها الجماعة الأحمدية، وما من دين إلا وقد أخذت منه الجماعة حظاً من المعتنقين. وإن أعضاءها انضموا إليها من جميع الأديان، بما فيها المسيحية والهندوسية والبوذية والزرادشتية، والسيخية واليهودية. وقد آمن به الأوروبيون والأمريكيون والإفريقيون والآسيويون. فلو لم يكن من عند الله ما تنبأ به لما تحقق منه شيء، أليس عجبا أن أوروبا وأمريكا اللتين كانتا تتهمان الإسلام، قد أصبحتا اليوم بفضل المسيح الموعود عليه السلام لقمة سائغة للإسلام؛ فقد أسلم إلى الآن مئات الناس من بريطانيا وعلى غرارها من الولايات المتحدة الأمريكية، كما أسلم بعض الروس والألمان والإيطاليين. إن الإسلام الذي كان يتجرع الأمرّين من الهزائم المتتابعة على يد الأديان الأخرى قد أصبح اليوم بدعاء المسيح الموعود يهزم الأعداء في كل ميدان، ويزداد تقدما في جميع العالم، فالحمد لله رب العالمين.

الدليل الحادي عشر: حبّ حضرته عليه السلام لله ولرسوله ﷺ

والآن أذكر الدليل الحادي عشر على صدق حضرة المسيح الموعود عليه السلام بعد أن ذكرت بضعةً من أنبائه، وهو أنّ الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٧٠).

وكذلك يقول عز وجل: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران: ٣٢).

ويتبين من هاتين الآيتين أنّ عشق الله والحبّ الصادق له وعشق الرسول وحبّه يؤدي دوماً إلى الاتصال بالله تعالى، حتى يجعل العبد من أحباء الله وأصفيائه. فأحد الأدلة الناصعة على صدق أحدٍ من هذه الأمة أن يكون مفعماً فياضاً بعشق الله وعشق رسوله ﷺ، وفي ضوء هذا الدليل نرى صدق حضرة المسيح الموعود عليه السلام جلياً كوضح النهار.

إنّ موضوع الحبّ لا يستدعي إيضاحاً، والشعراء في كلّ بلدٍ كانوا ولا يزالون يتناولون حقائقه منذ أقدم العصور المجهولة، والأديان كلها كانت ولا تزال تعده أساساً للإيمان بالله والاتصال به، لكنّ القرآن الحكيم قد فاق أحاسيس جميع الشعراء ومشاعرهم وشرح حبّ الله شرحاً كاملاً، حيث يقول الله عز وعلا:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة: ٢٤)

أي أنّ علامة الحب الكامل أن يضحّي الإنسان لأجله بكل ما يملك، فإن لم يكن مستعداً لذلك، فلن ينفعه مجرد التفوه بكلمات باللسان. ولكلّ رجلٍ أن يدّعي حبَّ الله وحبَّ رسوله بل ما من مسلمٍ يقول إنه لا يحبّ الله ورسوله، لكنّ

المهم هو تأثير هذا الادّعاء في أعماله وجوارحه وأقواله. إنّ الذين يدّعون بأنّ قلوبهم قد شغفت بحبّ رسول الله ﷺ، وينشدون في مدحه قصائد حيناً ويسمعونها من غيرهم في أحيانٍ أخرى، بل بعضهم يؤلّفون قصائد بأنفسهم، لكنهم لا يعيرون أدنى اهتمامٍ لاتباع أحكام الرسول ﷺ. إنّهم يدّعون بحب الله تعالى، لكنهم لا يسعون للاتصال به أدنى سعيٍ. نرى أنّ أحداً إذا أقبل عليه رجلٌ من أعزّائه هرول للقائه واستقباله تاركاً وراءه جميع أشغاله الهامة، وإذا أتيحت له فرصة الاجتماع بأصدقائه وأحبائه اهتزّ سروراً وحبوراً، وإذا ظفر بحظوةٍ لدى الحكام سرّ غاية السرور، لكنّ الناس وإن ادّعوا حبَّ الله لا يقربون الصلاة، وإذا صلوا فلا يداومون عليها وإذا داوموا عليها صلّوا مستعجلين لدرجة لا يُعرف سجودهم من قعودهم، لا متخشّعين ولا متضرّعين، كذلك الصوم الذي يقول الله تعالى فيه بأنه هو الذي يجزي به، فعلى الرغم من أن الناس يتباهون بحبّ الله لكنهم لا يتوجهون إلى الاعتصام بعروته الوثقى، ولا يجتهدون للتقرّب إليه، إنهم يتظاهرون بحبّ الله، لكنهم يسلبون حقوق الناس ويكذبون ويفترون ويبهتون ويغتابون، إنهم يتشدّقون بتعشّق الله لكنهم لا يتدبّرون القرآن. أإنهم يعاملون اليوم كلام الله معاملة رسائل أعزائهم وأحبائهم التي يتلقونها؟ أيهملونها ولا يقرؤونها ولا يتدبرون فيها؟ كلا: إن مجرد الادعاء بالحب شيء والحبُّ الحقيقي شيء آخر يغايره. إن الحبَّ لا يخلو أبداً من العمل والتضحية والفداء، وإن مثل هذا الحب الحقيقي لا نجده في هذا العصر إلا في حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام وأتباعه.

إن تاريخ حياته يدل على أن حضرته، منذ بلوغه مبلغ الرشد، كان مشغوفا بحبّ الله ورسوله وكان حبهما يجري منه مجرى الدم في عروقه، وكان حضرته متمسكاً بالأحكام الشرعية منذ الصّغر، وكان يحبُّ العزلة والخمول. ولما فرغ من

دراسته أصر والده على أن يعمل كموظف، لكن حضرته لم يرض بذلك، وظلّ يرفض رغم الإصرار المتكرر من قبل والده، بل وآثر ذكر الله وعبادته على جميع أشغال الدنيا. كان حضرته من عائلة محترمة فلو أراد التوظيف لوجد وظيفة ممتازة كما كان أخوه الأكبر يحتل منصباً محترماً، لكن حضرته تعمَّد الابتعاد عنه. ولم يكن ذلك عن كسل أو تهاون، لأنه أثبت في حياته المقبلة أنه لا يمكن أن نجد مثيله في الاجتهاد وتحمل المشقات على وجه الأرض. كان هناك رجل سيخي من القرى المجاورة لقاديان، وكان من معارف والد حضرته- ورغم الاختلاف الديني كانت عيناه تدمعان خلال الحديث- يقصُّ قائلا: مرةً بعثني والد حضرته إليه وأوصاني بأن أصر عليه وأمنّيه بأنني سأتوسل إلى بعض الحكّام لكي أجد له وظيفة في دائرة المفوضية. فقال: لما ذهبت إليه، وجدته منعزلا في حجرة مستغرقاً في دراسة كتابٍ، ولما أخبرته بما أراد والده بصدد الوظيفة وأنه يجب أن يخضع لرغبته، قال حضرته: قولوا لوالدي بكل احترام، إنني قد توظفت عند من أحببت خدمته، فتفضلوا عليّ بالإراحة من الوظائف الدنيوية.

وكان شغله الشاغل في تلك الأيام دراسة القرآن والتدبر فيه أو مراجعة كتب الحديث النبوي، أو مطالعة "مثنوي الرومي"، وأحياناً كان يتردد عليه طائفة من اليتامى والمساكين، وكان حضرته يوزع بينهم طعامه، وأحياناً كان يمضي النهار بلا أكلٍ ويقتات أحيانا أخرى من الحمَّص المحمَّص، وكانت العزلة والتبتل قد بلغ به إلى خمولٍ سبب أحياناً غفلة أهل البيت حتى عن طعامه.

وذات مرة سافر من قاديان إلى "سيالكوت" ليبتعد عن أنظار والده لعله يتخلى عن فكرة إقحامه في أشغال دنيوية، واضطر هناك أن يتوظف مؤقتا لكسب لقمة العيش، لكن هذا العمل لم يكن حائلاً دون عبادته وتبتله، إذ اختار هذا العمل للتجنب عن السؤال ولم يبتغ من ورائه مطمعاً دنيوياً. هنالك عرف

حضرته لأول مرة أنّ الإسلام يمر بوضع حرج جدا، والأديان الأخرى تتصدى لالتهامه نهائياً، وذلك لأن "سيالكوت" كانت مركز نشاط القساوسة المسيحيين الذين كانوا ينشرون دعوتهم في الأسواق والشوارع ويشكّكون المسلمين في دينهم، وكانت الحيرة تأخذ حضرته إذ رأى أن أحداً من المسلمين لا يقاومهم. وكان ذلك في عصر كانت المسيحية فيه دين الحكومة، وكان الناس يخافون أن يتعرّضوا لها فيؤذَوا، ومعظم علماء المسلمين كانوا يحذرون أن يكذِّبُوا المسيحيين، ومن تجرأ منهم على الرد عليهم عاد مغلوباً مهزوماً، إذ كانوا لا يعرفون من علم القرآن شيئاً. فنظراً إلى حالة الإسلام هذه، شمّر حضرته عن ساعد الجدّ لمقاومة القساوسة، واقتحم معارك البحث والمناظرات ضدّهم، ثم فتح باب البحث والنقاش هذا للآريين وأهل الملل الأخرى أيضاً، وبعد مدة قصيرة استعاده والده، وألحّ عليه مرة ثانية، نظراً لتوظّفه في "سيالكوت" على إقناعه بالعودة إلى الوظيفة، لكن حضرته أبى إلا أن يبتعد عنها. غير أنه اقتنع نظراً لمشاكل والده المادية بأن يقوم عنه بمتابعة القضايا المرفوعة من قبله في المحاكم، وخلال متابعة القضايا ظهرت إنابة حضرته إلى الله بشأن آخر، وحدث مرةً أنه ذهب لمتابعة قضية، فتأخر عقد المحكمة حتى حانت الصلاة، فذهب حضرته للصلاة رغم منع الناس، فنودي عليه من المحكمة أثناء غيابه، لكن ظلّ حضرته مستغرقاً في عبادته. فلما فرغ منها اتجه إلى المحكمة، وكان على الحاكم طبق القانون الحكومي أن يحكم للفريق الحاضر على الفريق الغائب، لكن الله عَجَلَّ أعجب بعمل حضرته أيّما إعجاب فشغل الحاكم عن هذا الأمر، فحكم لوالده بصرف النظر عن غياب حضرته. وكان أحد زملائه منذ الصغر يقصّ أنه كان موظفاً بلاهور، وجاء حضرته أيضاً إليها لمتابعة بعض القضايا الهامة المرفوعة في المحكمة العليا، وكانت هذه القضية من الأهمية بمكان، إذ كانت خسارتها بمنزلة الخسائر الفادحة في حقوق والده ومن ثمَّ حقوق

نفسه أيضاً. يروي هذا الشخص أن حضرته كان مسروراً جداً بعد متابعة القضية، فحسبتُ أنه قد ربح القضية، فهنأته على هذا النجاح، فقال حضرته: أما القضية فقد خسرناها وأما السرور فلأني الآن سأتفرغ للعبادة بضعة أيام.

فلما سئم حضرته من مثل هذه الأشغال، كتب إلى والده رسالة طلب بها إليه أن يريحه من هذه الأشغال، وأسجل هنا نصّ تلك الرسالة التي كانت قد كتبت بالفارسية طبق العادة في تلك الأيام، وذلك ليتبين مدى كراهية حضرته للدنيا منذ الصّغر، وشدة استغراقه في ذكر الله عز وعلا.

الرسالة بالفارسية، وتعريبها ما يلي:

حضرة والدي المحترم السلام عليكم، بعد أداء واجبات الاحترام أقدم إلى حضرتكم التماسا وهو، بما أنني أرى كل سنة وفي كل البلاد رأي العين وباءً عظيماً يفرّق الأصدقاء عن الأصدقاء والأهل عن الأهل، ولم أشهد عاماً لا أرى فيه هذه الكارثة العظمى والمأساة الكبرى التي تثير قيامة الأحزان. فنظراً إلى كل ذلك، فقد خمدت في قلبي نيران الأهواء الدنيوية، وقد امتقع لون وجهي حذر الموت، وكثيراً ما أردد الشطرين التاليين لمصلح الدين سعدي الشيرازي فتفيض عبراتي حسرة:

"لا تتَّكئ على العمر الفاني، ولا تكن بمأمنٍ من صروف الدَّهر".

وكذلك أكرر الشطرين التاليين لنفسي:

"أيُّها الفتى لا تربط قلبك بهذه الدنيا الدنيئة لأن الأجل مفاجئك".

ولذلك أريد أن أقضي بقية حياتي في زوايا العزلة والتبتل، وأسلّ ذيلي من صحبة رجال الدُّنيا، وأستغرق في ذكر الله تعالى لكي أتدارك ما فات.

إن معظم العمر قد انقضى ولم يبق منه إلا بضع خطوات، والخير أن أسهر بضع ليالي حتى الصباح في ذكر الله المحبوب.

والدنيا ليس لها أساس محكم كما ليس على الحياة اعتماد." والكيّس من خاف على نفسه من آفة غيره. والسلام

فحينما توفي والده انقطع حضرته عن جميع الأشغال، وأخذ يقضي أوقاته في دراسة الدين والصيام والتهجد، ولم يبرح يرد على حملات أعداء الإسلام بالصحف والمجلات. إن حضرته سلم جميع ممتلكاته إلى أخيه الأكبر بينما نرى الناس يتقاتلون على فلس واحد، والطعام كان يأتيه من بيت أخيه، وكان يهيئ لحضرته بعض الملابس إذا أراد، بينما لم يكن حضرته يأخذ من نصيبه من الضيعة شيئاً، ولا يقوم بشيء من أعمالها. كان يوصي الناس بالصلاة والصوم، كما كان يبلغ دعوة الإسلام مع تفقد أحوال الفقراء والمساكين. وبما أن حضرته كان لا يملك من ملكه الخاص شيئاً، فلا يجد عنده إلا طعامه الذي كان يأتيه من بيت أخيه، فكان يوزع هذا الطعام أيضاً على الفقراء، فأحياناً كان يقنع بأقل من الأوقية من الطعام، وإذا لم يبق من طعامه شيء أمضى يومه بلا طعام. ولم يكن سببه يعود إلى قلة عقاره، بل كان شريكاً مع أخيه في ملك قرية كاملة، وكذلك كانت له موارد من الضيعة أيضاً.

وفي تلك الأيام بدأ حضرته بالابتهال والتضرع نظراً لحالة الإسلام الحرجة، وألف كتابه الشهير "البراهين الأحمدية" بعد أن تلقى من الله الإرشاد إلى تأليفه، وأعلن عنه أنه سيضمنه ثلاثمائة دليل على صدق الإسلام، فصار ذلك الكتاب العظيم ضربة قاضية في ذب الاعتراضات على وجود الله تعالى ورسوله ﷺ ودينه القويم الإسلام، وإن هذا الكتاب، وإن لم يتم، لكن مع ذلك لم يلبث أن نال الاستحسان من الأصدقاء والأعداء على السواء، وعلق عليه كبار العلماء قائلين إنهم لم يجدوا لهذا الكتاب نظيراً خلال ثلاثة عشرة قرناً. وهذا الرأي أوضح من أي شرح أو إيضاح، وعلاوة على ذلك، لم يَدعْ حضرته أي صحيفة أو مجلة إلا ونشر

فيها مقالات عديدة ليزيح الغطاء عن وجه الإسلام الأغر ويرد على هجمات أعدائه، حتى عادته سائر الملل، غير أن حضرته لم يهتم لذلك أدنى اهتمام.

كان ذلك في عصر كان المسيحيون يسبون رسول الله ﷺ ويشتمونه أشد الشتائم بينما الآريون من الهندوس أيضاً كانوا يطلقون لسانهم الفاحش على عرض رسول الله ﷺ، لكن العلماء المسلمين كانوا في شغل شاغل عن كل ذلك إذ كانوا يتبادلون فتاوى التكفير، والإسلام كان يُداس تحت الأقدام، لكن العلماء كانوا مستغرقين في النزاعات التافهة من رفع اليدين في الصلاة، ووضع اليدين على الصدر أو تحته، والجهر بآمين وإخفائه، وغيرها. في تلك الأيام العصيبة كان حضرته عليه السلام هو الرجل الوحيد الذي ما زال يذود عن حياض الإسلام وكان يوجه جهوده نحو حث المسلمين على الأعمال الصالحة، كان لا يهمه دعم مذهب الأحناف أو تصديق أهل الحديث، بل كان دوماً يوصي الناس بأن يُطبقوا ما يصح عندكم بالعمل، ويتمسكوا بأحكام الله وأن يتركوا الإباحية والإلحاد جانباً. إن حضرته بارز "الbانديت ديانند" مؤسس الآرية واقتحم في معركة المناظرات مع "ليكهرام"، "جيون داس"، "مرلي دهر"، "إندرمَن" وغيرهم من قادة الآرية، ولم يزل يطاردهم في كل ميدان حتى امتنعوا من الهجوم على الإسلام أو يقضي الله عليهم بالهلاك. كذلك كان حضرته يقاوم القساوسة المسيحيين المتفحشين مثل "فتح مسيح" حيناً و"آتهم" حيناً آخر، و"مارتن" و"هاول" و"رائيت" و"طالب مسيح" أحياناً أخرى، ولم يكن يتوقف عند هذا الحد، بل كان يبعث مئات الألوف من النشرات المترجمة إلى الإنجليزية إلى أوروبا وأمريكا. وكان يراسل كل من كان يبدي الاهتمام بالإسلام، داعياً إياه إليه، وكان السيد "ويب" المسلم الأمريكي القديم من ثمرات هذه الجهود. هذا الشخص كان رجلاً محترماً في المجتمع الأمريكي، وكان في حين من الأحيان يتبوأ منصب السفارة البارز من قبل

الولايات المتحدة الأميركية، فلما بلغ حضرته اهتمامه بالإسلام كتب إليه واستمر على ذلك حتى أسلم ذلك الرجل السليم الطبع، واستقال عن منصبه. وبالجملة كان حضرته تواقا لنشر توحيد الله تعالى وإثبات صدق الرسول ﷺ، ولم يكن يغفل عن ذلك ولا لدقيقة واحدة. وبعد ذلك لما ادعى حضرته النبوة، توسع نطاق أعماله، فما من عدو بارز للإسلام إلا بارزه، وما سمع أحداً يهجم على الإسلام إلا قاومه، إن "ألكسندر دوئي" النبي الأميركي الكذاب، لما سمع عنه حضرته بارزه من وراء البحار. ولما ادعى "بيغوت" الإنجليزي بالألوهية، لم يلبث حضرته أن تحداه. قصارى القول أنه ما من عدو للإسلام ظهر على وجه الأرض، إلا وداهمه حضرته في موطنه، ولم يتركه حتى يقلع عن شره أو يلقى حتفه. إن حضرته عُمّر أربعاً وسبعين سنة وظل عاكفاً على خدمة الإسلام ليل نهار طوال حياته. كان في بعض الأحيان ينقطع للتأليف أشهراً متتالية، حتى لم يعرف أحد متى ينام. وكان يحب الله ورسوله حباً جماً بحيث يضحي في سبيله بكل غال ورخيص، وإذا قام أحد من الناس بهذه الخدمة امتن له، وكان أحياناً يسهر معظم الليل متتابعاً، ويكب على عمله، وإذا ساعده أحد على تصحيح نُسَخِ الطباعة أو مراجعتها فاضطر للسهر معه، كان لا يرى في ذلك أنه قد قام بخدمة دينية وأدى واجباً من واجباته، بل كان يفرط في إبداء الامتنان له وكأنه قام له بخدمة شخصية خاصة فوجب عليه أن يمتن له. إن حضرته رغم ضعف صحته ومرضه المتواصل، ألّف نيفاً وثمانين كتاباً، ومئات النشرات لتبليغ دعوة الإسلام، كما أن حضرته قد ألقى مئات الخطابات، وكان يوميا يعلم الناس خصائص الإسلام، وكان قد بلغ به استغراقه في العمل أن الأطباء كلما أشاروا عليه بالاستراحة، رد عليهم قائلاً: إنما استراحته في القيام بقهر أعداء الإسلام، فظل عاكفاً على هذه الأعمال إلى يوم وفاته، حتى قضى الليلة التي توفي في صبيحتها في تأليف كتاب

دعا به الهندوس إلى الإسلام، الأمر الذي يتبيّن منه مدى حرقته وتوقه وحماسه في الأمور التي كان يضمرها لإظهار جلال الله وصدق نبيه الكريم ﷺ.

وقد سبق أن ذكرت أن مجرد الادعاء ليس معياراً حقيقياً لمعرفة مدى الحب، غير أن الشخص الذي حقق صلة العشق بأعماله وبكل حركة من حركاته، فدعواه أقوى وسيلة لإظهار عواطفه القلبية، لأن عواطف العاشق الصادق لتفوق أعماله الخارقة أيضاً، وأنقل فيما يلي قصيدتين فارسيتين لحضرته عليه السلام إحداهما في حب الله والأخرى في حب الرسول ﷺ، وتعريبهما:

"فدتك نفسي يا حبيبي ويا محسني، ما قصَّرتَ بحقي شيئا حتى أقصّر بحقك

كل أمنية ومرام طلبتُه من الغيب، وكل بُغية كانت في ذهني

قد حققتَها كلها بفضلك ورحمتك، فقد حللت بيتي بلطفك

ما كنتُ أعرف عن الحب والوفاء شيئا، فأنت الذي وهبتني كل هذه الثروة

فقد جعلت هذا التراب الأسود إكسيرا، وقد راقني جمالك وحدك فقط

إن جلاء قلبي ليس ناتجا عن الزهد وكثرة العبادة، بل أنت الذي نوَّرتني بألطافك

لستُ إلا حفنة من التراب وقد أسديتَ إلي آلاف المنن، وكل ذرة من كياني مثقَلة بمننك

إنّ ترك العالَمينِ سهل للغاية إذا حظيتُ برضاك يا ملاذي وملجئي ويا دار الأمان

لا يهمني فصل الربيع وموسم الأزهار، لأنني بسبب ذكرى وجهك في بستانٍ دائم

أنّى تكون لي حاجة لمعلِّم آخر، فقد تربيتُ في حضن ربي المهيمن

لقد دنتْ مني رحمته الأزلية بحيث بدأ صوت الحبيب يتصاعد من كل زقاق من أزقتي

ربِّ اجعلني ثابتا وقويا في كل خطوة، وأرجو ألا يطلع يوم أنقض فيه عهدي معك

إذا جرت سنَّة أن تُقطع رؤوس المحبين في زقاقك، فسأكون أول من يهتف بحبك"[1].

---

[1] مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية، المجلد٥ ص٦٥٨

وقال عليه السلام أيضا:

"إن أعجبَ الأنوارِ لهو نورُ نفسِ محمدٍ ﷺ

وإن أروعَ الجواهرِ لجواهرُ معدنِ محمدٍ ﷺ

تتطهر من جميع الظلمات

قلوب أولئك الذين يصيرون من طائفة محمد ﷺ

إنني لأستغرب من أولئك الجاهلين

الذين يُعرِضون عن مائدة محمد ﷺ

لا أرى أحدا في كلا العالَمَينِ

يبلغ سمو وعظمة محمد ﷺ

إن الله بريء من ذلك

القلب الذي يكنّ الضغينة لمحمد ﷺ

سيحرق الله تلك الدودة الخسيسة

التي تصير من أعداء محمد ﷺ

إذا أردتَ التخلص من سكرات النفس

فكن من المنتشين بعشق محمد ﷺ

وإذا أردتَ أن يُثني عليك إلهك الحق

فكن ممّن يمدحون محمدًا ﷺ

وإذا طلبتَ على صدقه دليلا، فكن من عُشاقه

لأن وجوده هو أكبر دليل على صدق محمد ﷺ

إن رأسي فداء غبار قدمَي أحمد ﷺ

وقلبي فداء في سبيل محمد ﷺ

بل أنا فداء شَعر رسول الله ﷺ

وأنا فداء وجه محمد ﷺ

إنني وإن أُقتَلُ في هذه السبيل وأُحرَق

فلن أُوَلّي دُبري عن إيوان محمد ﷺ

لا أخشى أحدا في سبيل الدين

لأني متصبّغ بصبغة إيمان محمد ﷺ

ما أسهلَ الانقطاعَ عن الدنيا كلها

بذكرِ حُسنِ وإحسانِ محمد ﷺ

إن كل ذرّة من كياني فداء في سبيله

لأنني قد شاهدت جمالا خفيا لمحمد ﷺ

لا أعرف اسم أي أستاذ

فقد تعلمتُ في مدرسة محمد ﷺ

مالي ولأي حبيب آخر

فإني قتيل جمال محمد ﷺ

إني أتوق إلى نظرة تحنن من محمد ﷺ

ولا أرضى إلا برياض محمد ﷺ

لا تبحثوا عن قلبي الملتاع في صدري

لأني قد ربطتُه بأذيال محمد ﷺ

أنا من طيور القدس السعيدة

التي اتخذت أعشاشها في بستان محمد ﷺ

يا نفسَ محمدٍ قد نوّرتِ نفسي بعشقك

فدًى لكِ نفسي يا نفسَ محمد ﷺ

إنني ولو فديتُ بمئة نفس في هذه السبيل

لما لاق ذلك بعظمة محمد ﷺ

ما أروعَ الهيبةَ التي وهبها الله لهذا الفتى

فلا أحد يجرؤ على مبارزة محمد ﷺ

احذرْ أيها العدو الجاهل الغبي الضال

وخفْ السيف الصارم لمحمد ﷺ

والتمِس صراط الله المستقيم الذي ضل عنه الناس

في آل وأعوان محمد ﷺ

حذارِ يا من تنكر شأن محمد ﷺ

وحذار يا من تنكر نورا مبينا لمحمد ﷺ

لا شك أن الكرامات والخوارق قد اختفت اليوم من العالم

لكن تعال لتراها عند غلمان محمد ﷺ"[١].

فتفكروا الآن، إنّ شخصاً قد بذل كلّ ساعةٍ من الطفولة إلى يوم وفاته في ذكر الله تعالى وإظهار جلاله وفي سبيل نشر كلام الله والتفاني في حبّ الرسول ﷺ وطاعة دينه وأحكام شريعته، وقد جعل المسلمين وغير المسلمين أعداء له في سبيل الدفاع عن جلال الله وشرف رسوله ﷺ، وقد ضحّى بكل ذرةٍ من وجوده في سبيل خدمة الإسلام، أجل، هل يمكن أن يكون شخص بهذه الصفات ضالاً مفسداً ودجالاً؟! وإذا كانت هذه الأعمال مفسدة، وإذا كان مثل هذا العشق كفراً، وإذا كان هذا الحبّ والتفاني من آثار الضلال، فوالله سأسعد:

إنْ جعل الله مثل هذا الضلال كله من حظّي، ووهب لي مثل هذا الكفر وإن كان كفر العالم جميعًا.

إن الله تعالى ليشهد؛ وإنّ كلامه تعالى ليشهد؛ وإنّ رسوله ليشهد، وإنّ العقل السليم ليشهد أنّ مثل هذا الشخص لا يمكن أبداً أن يكون ضالاً وكاذباً. وإذا

[١] مرآة كمالات الإسلام، الخزائن الروحانية المجلد ٥، ص٦٤٩.

كان هذا القدر من عشق الله ورسوله وهذه الدرجة من الطاعة والخضوع، ومثل هذه الجهود الجبارة لنشر أحكام الله، ومثل هذه الغيرة التي تفوق الأولين والآخرين، كل أولئك لا يجعل الإنسان إلا ضالّا ودجالاً، فليس من أحدٍ في هذا العالم استحق الهداية ولن يستحق أبداً.

الدليل الثاني عشر: قوته عليه السلام للإحياء

أقدم الآن قوة إحياء حضرة المسيح الموعود عليه السلام بصفتها الدليل الثاني عشر على صدقه. إن هذا الدليل أيضا على غرار الأدلة السابقة يتضمن ألوف الأدلة. والمسلمون اليوم يعتقدون كالمسيحيين أن المسيح الناصري عليه السلام كان يحي الأموات جسدا، غير أنني كما سبق أن ذكرت، أن هذه العقيدة شرك بواح في ضوء تعاليم القرآن ومضيعة للإيمان أيما تضييع، غير أنه مما لا شك فيه أن المسيح الناصري عليه السلام كان كسائر الأنبياء يحي الأموات، وكلام الله يشهد بذلك، والمنكر لمثل هذا الإحياء لا شك منكر لكلام الله تعالى، إن هؤلاء الأموات هم الموتى الروحانيين، وفي الواقع إن الأنبياء لا يبعثون إلا لإحياء مثل هؤلاء الأموات. وما من نبي في الأولين إلا وقد أحي مثل هؤلاء الأموات، والأنبياء من آدم إلى رسولنا ﷺ كلهم إنما كانوا قد بعثوا لأجل هذه الغاية، وأحد الأدلة على صدق أولي العزم من الرسل هو أن يتم بيدهم إحياء الأموات، وإن لم يستطع أحد منهم أن يقدم مثل هذه المعجزة، فلا بد أن يكون ادعاؤه بالنبوة مشكوكا فيه، والنبي الذي يحيي مثل هؤلاء الأموات فلا شك في أنه مرسل من عند الله، لأن هذا الإحياء لا يتم إلا بإذن الله تعالى؛ فالذي يحظى بإذن الله، فلا شك في صدقه.

أيها الملك، إن هذه الآية البينة قد أظهرها الله تعالى لحضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام إظهارا لا نجد مثيله في حياة نبي آخر ما عدا رسولنا الأعظم ﷺ، والله أعلم بالصواب. كان حضرته قد بعث في زمن لم يكن يسوده الموت الروحاني فحسب، بل إن الأموات الروحانيين كان قد أكل عليهم الدهر وشرب ومضت عليهم أحقاب طويلة لـمّا جعلت أجسامهم بالية، وكان التشتت والافتراق بدا في صفوفهم. وهذا الموت الزؤام الشامل لجميع العالم هو الذي ظل الأنبياء ينذرون به أممهم، كما يقول رسول الله ﷺ:

"إنه لم يكن نبي بعد نوح إلا قد أنذر الدجال قومه وإني أنذركموه".[1]

فالأموات والقتلى بسبب فتنة الدجال هم أبعد الأموات عن الحياة، فإحياء هؤلاء الأموات الميؤوس من شفائهم كان لا شك من أصعب الأعمال قاطبة، لكن حضرته عليه السلام قام بهذا العمل وأحيا مئات الألوف من الأموات، وأوجد جماعة لم يسبق لها مثيل عدا جماعة الرسول الأعظم ﷺ. إن حضرة موسى عليه السلام كان على صلة سياسية بقومه أيضا، فلم يكن معه المؤمنون به فحسب، بل كثير من الآخرين اضطروا لمسايرته نظرا للأوضاع السياسية، والذين آمنوا به قال الله تعالى فيهم: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ (يونس: ٨٤)

هذا ما حدث بمصر، أما بعد الخروج من مصر فلم يكن معظم قومه يؤمنون به من صميم أفئدتهم، بل كانوا متعلقين به لأجل العوامل السياسية، كما يقول الله سبحانه وتعالى في قوم موسى الذين قالوا لموسى بعد الخروج من مصر:

﴿يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٦)

وكذلك يتبين من القرآن الحكيم والأناجيل والتواريخ أيضًا، أن المؤمنين بعيسى عليه السلام كانوا قليلين جدا. والمخلصون منهم الذين نالوا الحياة الحقيقية كانوا أقل من القليل، لكن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بما أنه كان مأمورا بإجراء فيوض الرسول ﷺ الروحانية ومكلفا بنشر بركاته في الدنيا وكان متبوّئًا مكانة المسيح المحمدي العليا، فلذا أحيا الله بيده كثيرا من الأموات الذين لو ما رُشّ عليهم بمياه العين المحمدية لما كان من أمل لحياتهم.

أوَليس ذلك من العجيب أن حضرة مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية عليه السلام في عصرٍ تسوده البدعات والتقاليد البالية والمادية والفسق والإعراض عن

---

[1] سنن الترمذي، أبواب الفتن

الدين وعدم الاكتراث لكلام الله، وهتك حرمات الشرائع، والاستغناء عن الأعمال الصالحة والدعاء، وضآلة الغيرة الدينية، قد أنشأ في مثل هذه الأوضاع جماعة هي- رغم ثقافتها العالية- توقن بالملائكة والدعاء والمعجزات وكلام الله والحشر والنشر والجنة والنار كل الإيقان، وتتمسك بأحكام الشريعة قدر المستطاع، حتى قلما تجد في هذه الجماعة من يترك الصلاة متعمدا. وهذا النقص النادر أيضا ناتج عن ضعفهم الديني قبل الانضمام إلى الأحمدية، وهو في طريق الزوال. أوَليس من الغريب أنه في حين أن طلاب الجامعات والمثقفون يستنكرون الدين أشد الاستنكار ويحسبونه أداة للاجتماع السياسي فحسب، نجد أن حضرته عليه السلام - في مثل هذه الأوضاع - قد أعد من المثقفين المستنيرين جماعة تبتل مساجدهم بالدموع وتغلي صدورهم بالتضرع والبكاء غلي المرجل. وأن هذه الجماعة توثر نشر الإسلام وإعلاء كلمة الإسلام على المصالح المادية والجاه الدنيوي، وتضحي في سبيل ذلك بكل غال ورخيص، وكثير منهم مؤهّلون للمكاسب الدنيوية، لكنهم- نظرا لضعف الدين وشعورا بالحاجة إلى الجهاد العلمي- عكفوا على خدمة الدين معرضين عن جميع المطامع الدنيوية، فآثروا القليل على الكثير، وفضّلوا الجوع على الشبع. إن ألسنتهم لا تنطلق إلا بذكر الله ورسوله ﷺ، وقلوبهم عامرة بحب الله تعالى وحب رسوله المصطفى، وإن أعمالهم لتشهد بعظمة الله ورسوله، وإن وجوههم تفيض من عشق الله ورسوله ﷺ، ولا شك أنهم يعيشون في هذه الدنيا وتتناهى إلى مسامعهم أصوات الحرية الفكرية، ولا تغيب عن عقولهم أفكار هذه الحرية المزعومة، وعيونهم ليست بغافلة عن حركة الكفاح لأجل هذه الحرية. إنهم تعلموا وتلقنوا مثلما يتعلم ويتلقن غيرهم، لكنهم رغم ذلك كله، حينما رأوا أن الإسلام ليس بحاجة إلى هذه الحرية مثلما يحتاج إلى الخضوع لأحكامه، وأن الفتنة الدجالية إن أضرت بالإسلام إضرارا بالغا من النظام الواسع الذي أسسته لاستئصال شأفة الإسلام، وأن

ازدهار الإسلام ورقيه ليستدعي أمرًا واحدًا ألا وهو أن يصبح الجميع لله تعالى ويجتمعوا تحت راية واحدة، ويركز الأغنياء منا والفقراء وصغارنا وكبارنا وعلماؤنا وجهلاؤنا طاقاتهم الموحدة على نقطة واحدة، ونتحد على يد واحدة لكي نساهم في مقاومة الكفر والفساد متكاتفين متضافرين؛ فآثروا أحكام الله ومصالح الإسلام على آرائهم الشخصية وأبوا الخضوع للعوامل العصرية، وألقوا بأنفسهم نير الطاعة على أعناقهم، فاستعدوا متطوعين لأن يستسلموا لإشارة يد اتحدوا عليها، كلما وجهتهم إلى مصلحة دينية أسرعوا إليها غير متهاونين. وأنهم لن يدّخروا وسعا في تقديم التضحيات ولا يحفلون بمشقة أو مصيبة، ولم يتفوهوا بكل ذلك بأفواههم فقط، بل طبقوا كل ما قالوا بأعمالهم، واليوم إن عدة أبطال من هؤلاء الفدائيين يقومون بنشر دعوة الإسلام امتثالا لأمر الخليفة في بلاد نائية عن أوطانهم بعيدين عن أهليهم وذويهم، غير طامعين في الأموال، مكابدين أقسى الأوضاع المالية ومواجهين أشد العقبات والمشقات الجسمانية، وكثيرون آخرون منتظرون لأوامر الرحيل عن بيوتهم منقطعين عن جميع العلائق الدنيوية إظهارا لجلال الله تعالى وعظمته. مِنهُم مَن قَضَى نَحبَه وَمِنهُم مَن يَّنتَظِر، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء.

إنهم يتذوقون أنواع الضرب والإيذاء في سبيل الله، ويُطردون من بيوتهم ويشتمون، إنهم يستصغرون ويحقرون، لكنهم يتحملون جميع هذه الآلام مستبشرين، لأن قلوبهم أصبحت منورة بنور الله، وأن أعينهم الباطنية قد تفتحت، فتبينوا ما لم يتبينه الآخرون. إنهم يتعرضون لأشد أنواع الإيذاء والإيلام لكنهم يختارون النصيحة للناس، إنهم يلقون الهوان، لكنهم يريدون العزة والاحترام لغيرهم.

من الذي يذود اليوم عن حياض الإسلام وحده في أمريكا ويناضل بمفرده؟ وإنه -أي الداعية- وإن كان كفقاعة ضئيلة في بحر زاخر واسع، لكن قلبه مع ذلك لا يضطرب، كان ميتا من الأموات فأحياه المسيح المحمدي بيده، فدفعته

هذه الحياة السرمدية إلى أن يكافح وحيدا لضم أمريكا كلها إلى لواء الإسلام، وذلك لأنه يوقن حق اليقين بأن حيًّا واحدًا أقدر وأقوى من مئات ملايين الموتى.

من هم أولئك الذين ينشرون الإسلام في إنجلترا، وإنْ هم إلا الذين أحياهم المسيح المحمدي الطَّيْلِا، وإن الإنجليز وإن احتلوا الهند من الناحية المادية لكن هؤلاء المؤمنون المخلصون على يقين تام بأن إنجلترا ميتة من الناحية الروحانية وأنها قد ابتعدت عن الله الحق، فلذلك إن هؤلاء المؤمنين قد خرجوا من أوطانهم بزجاجات بمعين الحياة الصافي الذي أحياهم به المسيح لكي يهبوا هذه الحياة للآخرين. إن أبهة إنجلترا وثروتها لا تروعهم، لأنهم على يقين قوي بأنهم هم الأحياء، وأهل إنجلترا هم الميتون، فكيف يمكن إذن أن يخاف الحيّ الميتَ ويضطرب؟

إن سواحل إفريقيا الغربية حيث كانت المسيحية قد بدأت تخطو خطوات واسعة للتوسع والانتشار، ونجحت في ضم مئات الألوف منهم إلى صفوفها وحشرتهم لعبادة إنسان عاجز، مَن الذين ذهبوا إلى هناك لرفع لواء التوحيد وجابهوا مدافع الشرك؟ ليسوا إلا أولئك الذين نالوا الحياة من يد المسيح الموعود وهم قد قاموا للدفاع عن الإسلام في حين كان الآخرون قد أيقنوا بموت الإسلام وأخذوا يرون زوال آثاره.

مَن الذين اهتموا بموريشيوس واضطلعوا بإحياء سكان هذه الجزيرة المنزوية؟ ومن الذين نبهوا أهل سريلانكا وهي موطن أقدم التقاليد التاريخية؟

ومن الذين اتجهوا إلى روسيا وأفغانستان ليهبوا لسكانهما معين الحياة؟ ليسوا إلا الفدائيين الذين أحياهم المسيح الموعود الطَّيْلِا.

أوَليس من علامات الحياة، أنه ليس من أحد من أربع مئة مليون شخص هجر وطنه وأهله لأجل تبليغ دعوة الإسلام ونشر الدين المتين إلا حفنة من الأحمديين

الذين يكرس منهم المئات حياتهم لهذه الغاية النبيلة ويُدخلون في الإسلام مَن لم يكن يُتصور أن يبلغه ولا اسم الإسلام.

فإن لم يحدث في هؤلاء المخلصين أي تطور من الحياة الجديدة، فكيف استطاعوا وحدهم إذن أن يبدلوا خريطة العالم ويجترؤوا على مقاومة العالم كله؟ وما الذي اضطرهم لأن يغربوا عن أوطانهم متشردين في جميع أصقاع الأرض؟ أوَليس لكل منهم أبوان؟ أوَليست لهم أزواج وأولاد؟ أوَليس لهم إخوة وأصدقاء؟ أوَليس لهم شغل دنيوي غير هذا الشغل؟ فما الذي صرفهم إذًا عن الدنيا إلى الدين؟ ليس ذلك كله إلا لأنهم نالوا روح الحياة الجديدة، فأعرضوا عن المادية الهامدة لأجل ذلك الإله الحق الذي هو منبع جميع أنواع الحياة، فحل منهم حلولا فتفانوا فيه تفانيا، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وستبقى قوة إحياء حضرته عليه السلام مشتبهة إذا لم أذكر آثار تلك الحياة التي هي المعيار الحقيقي للحياة، وهي أن حضرته عليه السلام أحيا قلوب الناس إحياءً لم يقتصر على نفوسهم فحسب، بل إن هذه الحياة أورثتهم أيضا قوة إحياء الموتى. فلو كانت هذه القوة مقصورة على حضرته وحده، لاشتبه الأمر على الناس على أنه قد وُهب وحده هذه القوى الخارقة لأجل كيانه الفكري الخاص الذي يفتح له أبواب العلوم ويمكّنه من رؤية أمور تحقق في مواعيدها، وإن تفكيره قد حاز على درجة حيث تتحقق رغباته تلقائيا بصفة استجابة الدعاء، لكن كلا! لم يقصر هذا الكنز على نفسه وعلى حياته فقط، بل الذين يتبعونه حق الاتباع هم أيضا يلقون نصيبا من هذه الميزة الخارقة حسب مراتبهم. إن الله تعالى يُنزل مطر علومه على القلوب لأجل الحب والإخلاص الذي تضمره لحضرته عليه السلام، واليوم نجد عديدا من أتباعه يسبقون كالجياد في ميدان بيان معارف القرآن. فإنهم يملكون قوة بيان تمزق أحابيل الشك والارتياب. وإن القرآن الذي كان للناس كلاما مختوما غامضا قد أصبح لنا

كتابا مفتوحا مبينا، تُسْهَل لنا مشاكِلُه، وتُبيَّنُ لنا دقائقُه، وما في الدنيا من مذهب أو رأي يعارض الإسلام، إلا ونحن نستطيع أن نحطمه بصوارم القرآن وحده. وما في القرآن من آية هي عرضة اعتراض من جهة أي علم، إلا وألهم الله في قلوبنا الرد عليه.

ولم يقتصر الوحي والكشف أيضا على حضرته عليه السلام وحده، بل هناك عدد ممن أحياهم يتلقون الوحي ويرون الرؤى الصالحة التي تتحقق في مواعيدها وتجدد لهم إيمانهم وإيمان أصدقائهم، والله تعالى يكلمهم ويفتح لهم طرق مرضاته التي تساعدهم على سلوكها، وتقوّي قلوبهم وتشجعهم تشجيعا.

إن استجابة الدعوات ونزول النصرة السماوية أيضا لم يقتصر على حضرته وحده بل تأثيرها سار في الآخرين أيضا، والمحظيون بالحياة من إحياء حضرته يشعرون بهذه القوة في نفوسهم، وإن أتباع هذه الجماعة أكثر استجابة للدعوات من غيرهم، وإن الله تعالى ينزل لهم نصرته، ويهلك عدوهم ويجعل جهودهم مثمرة ثمرات حسنى، ولا يخذلهم، ويجلي لهم غيرته. قصارى القول أن حضرته عليه السلام لم يحي الأموات بنفسه فحسب، بل إن من أحياه من المؤمنين هم أيضا يستطيعون أن يحيوا الموتى، وهذا العمل العظيم لا يمكن أن يصدر إلا من الأنبياء المختصين برحمته وقربه، وإننا لنوقن يقينا جازما بأن كل هذه الأعمال الخارقة لحضرته لم تكن إلا بفضل اتباع سيده ومطاعه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخدماته عليه السلام الجليلة يجب أن تُعزى إلى مطاعه صلوات الله عليه وسلامه.

"كل بركة من محمد صلى الله عليه وسلم فتبارك من علّم وتعلّم".[1]

---

[1] التذكرة ص ٤٥، الطبعة الرابعة. البراهين الأحمدية، الجزء الثالث، الخزائن الروحانية، مجلد أول، ص ٢٦٥ - ٢٦٨، الحاشية في الحاشية ١

الملحق

أرى أنّ هذه الاثني عشر دليلاً التي بينتها آنفاً تكفي لإثبات صدق حضرة المسيح الموعود عليه السلام، والذي يفكّر فيها باحثا عن الحقّ، ستؤدي به إلى حقّ اليقين بأنّ حضرته عليه السلام هو المسيح الموعود المرسل من الله، وأنّ الانتظار لمسيح آخر الآن عبث، وبالتالي سيسرع إليه للإيمان به كالظمآن، وسيرى الانخراط في هذا النظام الذي أسسه حضرة المسيح الموعود عليه السلام موجباً للفلاح.

وما من شهادةٍ أوثق وأقوى عند مسلمٍ من شهادة الله ورسوله، وكما سبق أن ذكرت أنّ الشواهد السماوية على صدق حضرته عليه السلام موجودة، كما توجد شهادات الرسول ﷺ على صدقه أيضا، بل إنّ كلّ نبيٍ بقي كلامه مصوناً ليشهد على صدقه عليه السلام. والعقل يستدعي مصلحاً في هذا العصر بإلحاحٍ شديد، وقد تحققت العلامات التي بينها الرسول ﷺ عن ظهور المسيح الموعود والمهدي المعهود. إنّ حياته الطاهرة النقية لأدلّ على صدق دعواه، وإنّ أعداء الإسلام -الذين كان بعثه مقدراً لمقاومتهم وهزمهم- لموجودون اليوم، وهزمهم المسيح الموعود هزيمةً واضحة. وبلغ الانحلال والانهيار الداخلي في المسلمين إلى مدى يستحيل معه المزيد، ولقد قام حضرته بإصلاح هذه الأحوال بأحسن الطرق الممكنة، وعامله الله تعالى طول حياته معاملة رسله الأخيار. فنصره الله في كلّ ميدانٍ، ووقاه من كلّ شرٍ، وقد عامل الله تعالى أعداء حضرته معاملة أعداء الرسل، وسخّر له الله سننه الطبيعية وجعل السماوات والأرض تؤيده، وفتح عليه أبواب علوم القرآن، وهيأ له وسائل نشرها، حتى تحدى حضرته بالمبارزة العلماء الذين كانوا يُعَدُّون معادن العلم ومنارات المعرفة، لكن لم يجرؤ أحدٌ على مواجهته، وغلب كلامه كلام سائر الناس على وجه الإعجاز، وإنّ وعد الله

الحق: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (الواقعة: ٨٠) صدّق دعواه. ثم فُتحت عليه فتوح الغيب، وأطلعه الله على ألوف المغيبات التي تحقُّقها جلى بجلال الله وكبريائه. ومن سنته الأزلية أنه لا يظهر على غيبه إلا رسله، إنّ حضرته عليه السلام بذل طوال حياته في حب الله وحب رسوله ﷺ، وأمثال هؤلاء الناس لا يطردون من جناب الله. إنّ حضرته أوجد جماعةً طاهرةً فعّالةً فيها طائفةٌ مختارةٌ تتمتع بقرب الله الخاص، وبها كفاءة للإحياء وتبيين الأمور الروحانية. إنهم يفدون الدين بأنفسهم، ويبتعدون عن العلائق الدنيوية كلّ الابتعاد، هم أنصار الإسلام وبراءٌ من غيره. فرفْض دعوى حضرته رغم هذه الشواهد كلّها والإصرار على الإعراض عنه لا يصحّ بأي حال، وليس بمرضيٍ عند الله أبداً. وفي الواقع إنّ الشخص الذي يحبّ الإسلام ويحبّ رسول الله ﷺ، ويؤثر مصالح الإسلام على مصالح نفسه، لا يرجى أبداً من مثل هذا الشخص أن يسكت ويتأخر عن قبول الحقّ بعد هذا القدر من الإيضاح. وإذا كانت الأدلة التي سقناها فيما سبق لا تحقّق صدق حضرته عليه السلام، فما هي إذن الأدلة التي تثبت صدق الأنبياء؟ وذلك لأن دلائل صدق الأنبياء عدا سيدنا ومولانا محمد ﷺ لا تصل بهذا القدر من الكثرة لِما قد بيناه آنفا، فما الذي يضطرنا إذن إلى أن نقنع بالإيمان بهم فقط. وإذا لم يكن الإيمان عبارةً عن مجرّد تصديق ما يعتقد به الآباء، بل هو عبارةٌ عن تصديق أمرٍ بعد البحث والتحقيق، فلا بدّ إذن من أن نسلّم بأحد الأمرين؛ إما أن ننكر سائر الأنبياء أيضاً أو نصدق دعوى المسيح الموعود. يا أيها الملك الفهيم والذكي، إنني لآمل منك أن تختار الطريق الثاني، ولا تتأخر عن الإيمان بالمرسل الذي بعث لإظهار صدق النبي ﷺ وغلبة الإسلام وإعادة المسلمين المزعومين إلى الإسلام الحقيقي، لأنّ الخضوع لحكم الله تعالى يورث الإنسان بركاتٍ كثيرةً، ومعارضةُ إرادته عزّ وعلا لا تجلب إلّا الهلاك.

إنّ الإسلام اليوم بحالةٍ يرثى لها، ومن المستحيل لكلّ من يحبّ الإسلام حباً صادقاً أن يرضى بهذه الحالة المحزنة حتى يهيئ لغلبة الإسلام ما استطاع من الوسائل، ويراه مصوناً من كلّ الأخطار. ولقد تمادى الأعداء في عداوته حتى إنهم لا يجدون فيه أية مزية، ولا يرونه إلا كتلةً من العيوب، أما أصدقاؤه المزعومون، فإما أنهم يكرهونه في قرارة نفوسهم، أو أنهم لا يهتمون به أدنى اهتمام. ألسنتهم تنطق بلفظ الإسلام لكنه لا يكاد يجاوز تراقيهم، إنّ كلّ اهتماماتهم مبذولة لأجل المصالح السياسية، وإذا خرج بلدٌ من سيطرتهم رفعوا عقيرتهم في كلّ العالم، لكن إذا ارتد ألوفٌ بل مئات الألوف عن الإسلام واعتنقوا المسيحية أو الهندوسية، لم يحركوا ساكناً. يوجد فيهم المتطوّعون لأجل المصالح الدنيوية، لكن ليس منهم من أحدٍ يتطوّع لنشر دعوة الإسلام. وإذا أنكر أحدٌ خلافة السلطان التركي ثارت عليه ثائرتهم، لكن إذا أنكر أحدٌ رسالة النبي ﷺ، خمدت غيرتهم. وحالتهم هذه تتضاعف سوءاً يوماً فيوماً. أما حالتهم في الهند فهي أنّهم لا يرضون حتى أن يرد أحدٌ على هجمات الأعداء على الإسلام، فضلاً عن أن يردوا عليها بأنفسهم، بل يعدون ذلك مخالفاً لمقتضى الوقت. وبالجملة إنّ الإسلام قد طُرِح خارج البيوت وطُرِد منها كشيءٍ رديء تافه، ولم يبق منه إلا اسمه الذي يستغلّ لأجل تحقيق المصالح السياسية. فلم يبق من وسائل إنقاذ الإسلام من هذه الأوضاع المخزية إلا أن نؤمن بالمسيح الموعود عليه السلام، ونضمّ أنفسنا إلى صفوف جماعته. وليس أمامنا طريقٌ للتقدم إلا أن نستظلّ بظلّه. واليوم الجهاد بالسّيف لا يجدي نفعاً ما لم يصحّ الإيمان بأحكام الإسلام ويدرك الناس حقيقته، وما لم يتمسكوا بحبل الله جميعاً. إنّ أهل الدنيا اتهموا الرسول ﷺ بأنّه نشر الإسلام بقوة السيف- والعياذ بالله- ولم يملك الأدلة والبراهين البالغة إلى أعماق القلوب، والمسلمون أنفسهم كانوا يدعمون هذه التهمة ويصدقونها، واليوم قد أراد الله أن يمحو آثار هذا الاعتراض عن وجه الرسول ﷺ، ولذلك إنه بعث من أمته شخصاً بصورة

المسيح الموعود كي يغلب الأعداء بقوة الأدلة والبراهين فيصير الإسلام غالبا. وذلك لتتبيّن الدنيا أنّ العمل الذي يستطيع أن يقوم به الخادم، فمولاه وسيده ﷺ كان أولى وأقدر على القيام به. ولا سبيل لانتصار الإسلام اليوم سواه، والله تعالى يريد أن يدخل أعداء الرسول ﷺ في حظيرة طاعته وعبوديته، ولا سبيل إلى ذلك إلا أن يقدّم إلى العالم الإسلام الذي أتى به المسيح الموعود بطريق دلّ عليه حضرته عليه السلام وبالإيمان الذي جدده هو أيضاً ويهدى به الضالون إلى الصراط المستقيم، ولو شاء الله أن يتقدّم الإسلام بطريقٍ آخر فلماذا سدّ جميع الطرق المعلومة من قبل؟ فكأنّ الابتعاد عن المسيح الموعود عليه السلام حائلٌ دون تقدّم الإسلام، وإتاحة الفرصة للأعداء كي يهجموا على سيرة الرسول ﷺ المطهّرة ويتخذوا عِرضَه عُرضةً لسهامهم، الأمر الذي لا يرضاه أيّ مسلمٍ غيور.

يقول رسول الله ﷺ:

كيف تهلك أمة أنا في أولها والمسيح ابن مريم في آخرها[١].

القول الذي يتبينُ منه أنّه لا يمكن أن يحفظ إيمان أحدٍ إلا إذا وضع نفسه بين هذين السورين. فالذي لا يؤمن بالمسيح الموعود بعد نزوله، فإنّه يخرج نفسه عن حماية الله، والذي يسدّ طريق المسيح الموعود عليه السلام فإنّه حقاً عدوٌ للإسلام ولا يرضى بتقدم الإسلام وازدهاره، وإلا فلم يكن حائلاً دون بناء هذا السور الذي يمنع به الإسلام، ومثل هذا الشخص هدفٌ لسيف غضب الله، ولكان خيراً له لو لم تلده أمه وظلّ تراباً هامداً، فلم ير هذا اليوم المشئوم.

أيها الملك، إنّ وعود الله العظيمة مرتبطة بظهور المسيح الموعود عليه السلام، والإسلام، سيوهب بيده حياةً جديدةً كما أنّ شجرة جافةً تعود خضراء بعد أن يصيبها مطرٌ غزيرٌ في أوانه، كذلك الإسلام سيعود مخضراً مزدهراً بمجيء المسيح

---

[١] كنز العمال: المجلد ١٤، الإكمال من خروج المهدي، الحديث رقم ٣٨٦٨٢

الموعود عليه السلام. والذين يؤمنون بالمسيح الموعود سيوهبون روحاً جديدة. إنّ الله عز وجل صبر طويلاً وظلّ ساكتاً، لكن الآن لن يصبر ولن يسمح بأنْ يتخذ أحدٌ من عباده نداً له وشريكاً، بعد اتخاذه ابناً أو عدِّه حيًّا في السماوات، أو محييًا للأموات ومبدعاً لمخلوقٍ جديد. إنّه لرحيم، لكنه غيورٌ أيضاً، إنه انتظر طويلًا لكي يلتفت الناس إلى كتابه الأقدس، لكن المسلمين أعرضوا عنه، وانصرفوا عنه إلى اللغو، فلم يقْدروا كلام الله تعالى حقّ قدره، ونسوا أو تناسوا ما ذكّروا به:

﴿يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ (الفرقان: ٣١).

فنسيهم الله وأعرض عنهم، ولن يُقبل عليهم ما لم يؤمنوا بالمسيح الموعود عليه السلام ويقرّوا بأنهم لن يعودوا إلى ما فعلوا أبداً، وأنّهم سيتداركون أخطاءهم. إنهم استحبوا الدنيا معرضين عن الله، فالله سلبهم الدنيا، وضرب عليهم الذلّة، إنّهم دفنوا أحبّ الأحباء عند الله صلى الله عليه وسلم في الأرض، لكنهم رفعوا المسيح الناصري إلى السماء حيًّا، فضربهم الله بالحضيض وسلّط عليهم النصارى. ولا يمكن أن تتبدل حالتهم هذه ما لم يأخذوا أنفسهم بالإصلاح. إنّ المكائد المادية لا تجديهم اليوم نفعاً، لأنّ كلّ هذه الآلام نتيجة غضب الله عليهم. وسيزداد المسلمون ذلاً وهواناً ما لم يصالحوا الله عز وجل. فطوبى لمن يسرع إلى مصالحة الله، لأنّه سينقذ من الذلّ، ويصحبه نصر الله حيثما كان، والله تعالى سيأخذ يده بنفسه.

أيها الملك، إنّ مجيء المسيح الموعود عليه السلام ليس بأمرٍ عادي، بل إنّه لأمرٌ جلل. إنّ المسيح الموعود عليه السلام هو الذي سلّم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه، وقال يجب أن تشدوا إليه الرحال ولو تجشمتم في الطريق إليه المصائب والمشقات المضنية.[1] إنّ الأنباء بظهوره لموجودةٌ في جميع الملل والأديان، وما من نبيٍ إلا وأخبر بمجيئه. فما

[1] سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب خروج المهدي.

أعظم شأنا هذا الرجل الذي تنبأ بظهوره هذا العدد الكبير من الأنبياء، وأوصوا أممهم بانتظاره، فما أسعد من شهد زمانه فحظي ببركاته.

أيها الملك، إنّ رسل الله لا يبعثون كلّ يوم، وبخاصةً هذا النوع من الرسل العظام الذين منهم المسيح الموعود، ولم يُروَ عن الرسول ﷺ بخصوص أحدٍ من الأخبار ما رويَ عنه، وليس من المرجوّ أن يبعث أحدٌ أعظم منه. وإنّه لخاتم الخلفاء لأمة محمد ﷺ، ولا يمكن أن يُنتظر بعده إلا القيامة. فكلّ يومٍ من أيامه لثمينٌ جدًّا حتى إنّ الدنيا وما فيها لأحقر وأهون مقابله. فما أسعد الإنسان الذي يقدره حقّ قدره، ويؤمن به ناشداً مرضاة الله، لأنّ هذا الرجل السعيد بلغ غاية حياته، وتبين له سرّ العبودية.

أيها الملك، حينما يبعث رسول، فلا تبقى جماعته بحالة واحدة. إنها تبدأ من الفقراء وتنتهي إلى الملوك. ويأتي عليها زمانٌ تملك فيه البلاد التي بعث إليها ذلك النبي الذي أسس هذه الجماعة. فجماعتنا لن تدوم على هذه الحالة من الفقر، بل إنها ستمضي قدماً بخطواتٍ حثيثة واسعة فيتضاعف تقدّمها ليل نهار. فلن تستطيع الدول كلها أن تحول دون تقدّمها ولو اجتمعت، وسيأتي يومٌ تأتي فيه هذه الجماعة على جميع الطوائف والفرق، كما أوحي إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام أنّ أتباعه سيظلّون غالبين على أعدائهم إلى يوم القيامة[1]، وأنّ الله سيأتي أرض المخالفين ينقصها من أطرافها[2]، وستكون ملوك الأرض من هذه الجماعة، ولن تبقى مغلوبةً بل ستكونن غالبة. ولن تظل مفتوحةً بل ستكونن فاتحة، كما أوحي إلى حضرة المسيح الموعود عليه السلام: **"إن الملوك سيتبركون بثيابك"**[3]، لكن لكلّ أمرٍ ميعاد، وقد يأتي على الإنسان حينٌ يورث فيه عمله الشرف والكرامة،

[1] التذكرة ص ٢٧٩ الطبعة الرابعة
[2] التذكرة ص ٢٧٥ الطبعة الرابعة
[3] التذكرة ص ١٠ الطبعة الرابعة

لكن هذا العمل نفسه إذا كان في غير حينه فلا قيمة له ولا أهمية. إنّ أوائل المؤمنين بالرسول ﷺ ما زالوا سادة العالم وأشرافهم، لكن الذين أسلموا عند غلبة الإسلام، لا يعرف الناس حتى أسماءهم. فالذي يدخل في هذه الجماعة اليوم وهي مستضعفةٌ في أعين الناس، فإنّه سيحلّ في السابقين ويرث أخصّ نعماء الله، وسينال البركات العظيمة. واليوم أيضاً قد مضى على الجماعة زمن، غير أنّ أبواب الشرف والكرامة ما زالت مفتوحة، وإنّ قرب الله تعالى لميسّرٌ لمن أراد، فأوجّه اهتمامكم إلى أن تنتهزوا هذه الفرصة وتلبّوا هذا النداء الذي رفعه الله تعالى بنفسه الكريمة حتى تنالوا الشرف والقبول لديه:

﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ (آل عمران: ١٩٤)

الحق، والحق أقول: إنه لا يمكن الآن أن تنالوا قرب الله إلا في الأحمدية، وكل من يتطلع في أعماق قلبه يتبين أنّ قلبه عاطلٌ من ذلك اليقين الذي يكون بالأمور القاطعة المحتمة، كما أنّه سيجد قلبه محروماً من ذلك النور الذي لا يمكن للإنسان أن يرى وجه الله إلا به. مثل هذا اليقين الأكيد ومثل هذا الإيمان القوي والنور لن تلقوه إلا في جماعة المسيح الموعود عليه السلام، لأنّ الله تعالى يريد الآن أن يجمع الجميع على مركزٍ واحد. لكن هل من أحدٍ يوقن بالموت يمكن أن يطمئنّ بالحياة التي تبعده عن الله عز وجل وتحرمه من نوره؟ فأقبلْ على هذا النور، فاسعَ نحو ذلك اليقين الذي مصدره الأحمدية وحدها، والذي بدونه الحياة عقيمةٌ وخيمةٌ لا متعة فيها، فاسْبقْ غيرك، لكي تنظر إليك الأجيال المقبلة بنظر الاحترام والإجلال ولكي يبقى من يصلون عليك إلى أواخر الأيام.

إنّ المنضمين إلى الجماعات السماوية يحملون بلا مراء أفدح الأعباء، لكن ليس كلّ عبءٍ بمتعب؛ هل الفلاح الذي يحمل في آخر العام محصول جهودٍ مضنية إلى بيته، يستثقلها؟ وهل الأم التي تحتضن وليدها تستثقله؟ كذلك المساهمة في خدمة الدين والسعي لها ليس بعبءٍ على المؤمن. إن الآخرين يعدونه عبئاً

ثقيلاً، لكن المؤمن يرى ذلك العبء عين الراحة، فلا تفزعْ من هذه المسئوليات التي تُفرض على الإنسان بعد الإيمان بالحق، وأخضعْ عنقك لهذا العبء الذي حمله فرض على كلّ مسلم، ذاكرا منن الله عليك ومفكّرا في إحسانات الرسول ﷺ وعطفه، وإنك- وإن كنت ملكاً أيضا - وغيرك سواءٌ عند الله، فتفرض عليك خدمة الإسلام كما تفرض عليهم، وكما يجب عليهم أن يؤمنوا برسل الله، كذلك يجب عليك أن تؤمن بهم. فاخضعْ لأحكام الله وشريعته وارض بحظوظه المقسّمة، وانضمّ إلى حزب الله لكي يكون لك حظٌ من النعم السماوية، لأنّ أصغر هذه النعم أكبر من مملكتك كلها وأثمن.

إنّ رسول الله ﷺ قال: من فارق الجماعة شبراً فقد فارق الإسلام.[1]

فمفارقة جماعة الله لأمرٌ خطير، وخاصةً للملوك الذين تكون عليهم المسئوليات مضاعفة؛ مسئوليات شخصية ومسئوليات من يخضع لهم من الناس. وكثيرٌ من الجاهلين يصدقون في أمر الدين أيضاً القول المشهور: "الناس على دين ملوكهم"، فالمسئولون عند الله عن أخطائهم هم الملوك، إذ نرى أنّ رسول الله ﷺ لما كتب رسالةً إلى قيصر الروم، فإنّه رغبه في الإيمان مستلفتاً أنظاره إلى مسئوليته المزدوجة عن إثم رعيته، فكتب فيها الرسول ﷺ:

"فإن تولّيت فعليك إثم الأريسيين."[2]

فإنك إن قبلت الحقّ أزحتَ عقبةً عن طريق من يخضع لك لكيلا تحمل سيئاتهم بل تعطى حسناتهم، فكما أنّ الملك الذي يحول دون إيمان الناس منكرا الحقَ يستحق عقاب سيئاتهم، كذلك الملك الذي يؤمن فيمهد الطريق لإيمان الآخرين ينال حظه من أجورهم.

---

[1] مجمع الزوائد ج٥ ص ٢٢٤ طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ.

[2] مسند أحمد بن حنبل، مسند عبد الله بن العباس.

إنّ هذه الدنيا أيام معدودة، والآجال مجهولة، وكلّ واحدٍ سائرٌ إلى الموت، ومسئول عند الله، ولن تغنيه عندئذٍ إلا العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة. إنّ الغني يفارق هذه الدنيا صفر اليدين كالفقير، لا الملوك يستصحبون من هذه الدنيا شيئا ولا الفقراء، ولا يغني يومئذٍ إلا الإيمان والعمل الصالح. فآمنْ برسول الله لكي تنال الأمن من الله. وأجبْ دعوة الإسلام لكي تظفر بحظك من السلام. وإنني اليوم قد قمت بواجبي، وقد بلغت رسالة ربكم؛ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فلينكر. وإنني لآمل أملاً وطيداً بأنك ستفكر فيما كتبتُ، فإنْ وجدته حقا وصوابا فلن تتردد في الإيمان بالمبعوث من الله. اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.